433

HARLEQUIN

روايات أحلام

وداعاً يا ملاكي !

ديانا هاملتون

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

وداعاً يا ملاكي!

حظيت ميرسي هاورد بتربية محافظة. لذا فإن عملها كمدبرة منزل لدى رجل الأعمال الإيطالي أندريو باسكالي، المفعم بالرجولة والحيوية، امر يعني أن عليها التكيف مع نمط حياة جديدة تماما ...

أدركت ميرسي خلال إقامتها لدى أندريو باسكالي، أنه ينبغي عليها تغيير مظهرها الخجول المهمل ... أما أندريو فأدرك أن مدبرة منزله لم تعد تلك الفأرة المسكينة بل أصبحت ثعلباً ماكراً! وذلك بعد التعديلات التى قامت بها على مظهرها وتسريحة شعرها ...

فكر أندريو أنه يسهل عليه إضافتها إلى قائمة غزواته النسائية، إضافة إلى المهمات التى تؤديها في المنزل ولكن ميرسي ليست من الصنف الذي يرضى بعلاقة غرامية بدون زواج ...

ديانا هاملتون

إنها فتاة رومنسية جداً والدليل على ذلك أنها وقعت في حب زوجها من النظرة الأولى. إنهما يعيشان حتى الآن في بيت أشبه بقصور الحكايات الخرافية، وفي هذا المنزل تربى أولادهما الثلاثة. تتقاسم العائلة منزلها الآن مع ثماني قطط أنقذوها من الشارع وجرو صغير. وعلى الرغم من هذه الحياة الصاخبة داخل المنزل، لا تستطيع ديانا أن تذكر وقتاً لم تكن فيه ممسكة بكتاب، إما تقرأه أو تكتبه، وهذا ما تنوي أن تفعله لوقت طويل بعد.

١ - فرصة من ذهب

لعن أندريو باسكالي اليوم الذي اضطرت فيه كنوكس إلى ترك وظيفتها لديه. فقد استقالت مدبّرة منزله لتستقر في كنت مع شقيقتها التي ترمّلت منذ فترة غير طويلة. رفع أندريو الورقة الأخيرة بنفاد الصبر. تفحصها بدقة في أقلّ من ثانية، ثم رماها جانباً بنفاد صبرٍ أكبر من السابق.

علّق بإيجاز: «لا تفاصيل».

ألقى نظرة عدم رضى باتجاه صديقته الحالية، فيما ضاق فمه الواسع المكتنز مظهراً انزعاجه.

في الواقع، صديقته «الحالية» هي على وشك أن تصبح «السابقة»، فتريشا أصبحت شديدة التطلّب وشديدة التعلّق به، وهذا حتماً يتعارض مع الشروط الأساسية التي وضعها أندريو بكل تشديد وتأكيد. عاد مساء الأمس بالذات من الوكالة، وهو مصمم على فكرة ما لعمل دعائي تلفزيوني. هو يريد فكرة خلاّقة محرّكة للعواطف، تستحق أن تحمل توقيع باسكالي الأصيل، بحيث تتحلّى بالتميز وتحقق النجاح في المبيعات، حتى لو كان الأمر يتعلق بمنتوج غير ملهم على الإطلاق، كماركة وجبات طعام جاهزة. عندما وصل وجد أن تريشا دخلت إلى منزله بنفسها، وهي تنتظره برفقة وجبة طعام صينية جاهزة ورديئة، بعد أن سرحت شعرها بتلك الطريقة التي تجعله منتفخاً جداً، وبالغت في وضع أحمر الشفاه على شفتيها، وهو أمر كان فيما مضى مثيراً وممتعاً، لكنه أضحى الآن مملاً تماماً. قالت له وهي تبدو مفرطة في الجدية: «إن ما تحتاجه فعلاً يا نور حياتي هو زوجة. عندئذٍ لن تضطر إلى إجراء هذه المقابلات الكئيبة، ولن تضيّع وقتك الثمين سدى».

www.elromancia.com

ازداد تجهم أندريو، وهو مؤشر على ارتفاع درجة انزعاجه. تريشا تعرف حق المعرفة أنه ليس بحاجة إلى زوجة، كما أنه لا يريد واحدة. جل ما يرغب به الآن، هو مدبرة منزل غير فضولية أو متطفّلة. لكن إن سارت الأمور على هذا المعدل، يبدو أنه لن يحظى بواحدة! ردّ بكلماتٍ لاذعة: «بدت لي الفتاتان الأخيرتان جيدتين تماماً، على الرغم من أنني أقرُّ لك بأن المرشحة الأولى كانت كابوساً فعلياً».

تلك المرشحة هي امرأة تناهز الثمانين من عمرها، بالرغم من أنها كتبت في الطلب الذي قدّمته أنها في الخمسين فقط. طلب أندريو من تريشا إعداد فنجان شاي لتلك المرأة، ثم أوصلها بنفسه إلى سيارة الأجرة. بعدئذ أعطت المرأة السائق عنوان دار للعجزة، ثم لوّحت له بهوسٍ فيما أقلتها السيارة. كرّر أندريو كلامه قائلاً: «أما الأخيرتان فلم يكن هنالك من خطب بهما».

ثم وقف على قدميه بعد أن كبح طاقته الحيوية لفترة طويلة، فأخذ يسير بخطوات واسعة داخل غرفة المكتب. تابع مذكراً تريشا وهو يعض على شفتيه: «مؤهلات جيدة، مراجع ممتازة».

هدأته تريشا بابتسامة منافقة متملّقة: «عزيزي! لا تبدأ بالعبوس والاعتراض الآن. أنا عرضت عليك مساعدتي ونصيحتي عندما قلت إنك لا تجيد القيام بالأعمال المنزلية. أما نصيحتي فهي أن أياً من هاتين الفتاتين لن تبقى لمدة تزيد عن بضعة أسابيع. إنهما تملكان إطلالة مشرقة وجمالاً مقبولاً، لذا فهما سترحلان لتتزوجا بعد وقت قصير. أنت بحاجة إلى امرأة في متوسط العمر. أما هذه الأخيرة فلم تعط أية تفاصيل لأنها لم تقم بإرسال طلب توظيف. كل ما قامت به هو أنها ببساطة اتصلت هاتفياً بعد ظهر يوم أمس، وطلبت إجراء مقابلة عمل».

بدا ذلك نوعاً من التحكم، وأندريو لا يجد مسألة التحكم به أمراً مثيراً على الإطلاق. أما المرأتان السابقتان... رأت تريشا ميرسي هاورد، ما إن دخلت إلى منزل أندريو، ورأتها مجدداً وهي تغادره بعد إجراء المقابلة. وعلى الفور فكرت تريشا أن ميرسي ستؤدي الدور المطلوب بشكل جيد. إنها في الثانية

والعشرين من عمرها، ومع أنها ليست في متوسط العمر، لكنها بسيطة المظهر وعادية جداً. قررت تريشا أنها لا تشكل منافسة بالنسبة إليها، فهي مهملة غير مهتمة بمظهرها.

بدأت تريشا نفسها تشعر أن علاقتها بأندريو لم تعد ثابتة كالسابق، لذا فهي لا ترغب بالحصول على تعقيدات إضافية، كوجود منافسة لها على مدار الساعة. أندريو لم يفكر أبداً بالزواج، وقد صرّح لها قبل أن تبدأ علاقتهما بأنه لا يحبّذ العلاقات الطويلة الأمد. أما هي فقد جارت الأمر حينها، إذ بدا لها من الغباء أن تضع العصي في الدواليب في تلك المرحلة من علاقتهما. أما بعد ذلك فأصبح هدفها الوحيد هو حمله على تغيير رأيه بالأمر، لكي يقرر الزواج منها، ويسمح لها بالتالي بحياة من الرخاء، ويدخلها إلى عالم من الثراء الفاحش.

آه، كلا! لم تولد بعد المرأة التي تظن أن من حقها الحصول على أندريو باسكالي، ذي البنية القوية والجسد الطويل المتناسق والمظهر اللاتيني الجذاب. هذا من غير أن نذكر حسابه المصرفي المثير للاهتمام.

قالت تريشا مناغية وهي تمرّر أناملها من خلال شعره الأسود كالليل: «يمكنك أن تقابلها ما دامت هنا. ما أدراك؟ ربما تكون هذه المرأة ما نبحث نحن عنه تماماً».

لم يُعجَب أندريو بكلمة «نحن» التملّكية، كما لم يعجبه ذاك الانطباع بأنه يتم استخدامه كهدف. أرجع رأسه بخفة إلى الوراء، وتصلبت كتفاه العريضتان، فيما عاد ليجلس من جديد خلف مكتبه. ظهر على وجهه عبوسٌ كبير، جعل حاجبيه يندفعان نزولاً كما لو أنهما قضيبان سوادوان مستويان.

من المؤكّد أن وقت تريشا قد انتهى. غداً صباحاً سوف يطلب من أحد موظفيه في الشركة أن يختار قطعة مجوهرات مناسبة غالية الثمن، ثم يقوم بإيصالها إلى شقة تريشا مع الملاحظة التي يدونها عادة، والتي تقول: «الوداع من غير ندم». في تلك اللحظة قرر أن الوظيفة ستكون من حظ المتقدمة الرابعة إلاّ إذا كانت تتجاوز الثمانين من عمرها أو خرقاء كئيبة تماماً. أما هو، فلديه

عملٌ أكثر أهمية يتطلب منه الإبداع والتركيز، ويجب أن يتولّى أمره.

بدأت ميرسي تشعر بغثيان رهيب حالما وجدت العنوان الذي كانت تبحث عنه. إن أحد المباني الواقعة في إحدى المناطق العصرية إلى جانب نهر التايمز، بالكاد يلائم فتاة قروية متواضعة مثلها.

لطالما أغاظتها كارلي قائلة لها: «عليك أن تتأقلمي مع حياة المدينة يا فتاة».

وذلك حينما كانت ميرسي تعترف لها بفزعها وحيرتها ومخاوفها المتعلّقة بالحياة المتسارعة في هذه المدينة العالمية المتطورة.

بالرغم من أنها تعيش في لندن منذ سنتين، إلا أن ميرسي ما تزال فتاة ريفية قديمة الطراز، فهي ما زالت ابنة القس في قلبها وتفكيرها، وهي تؤمن بقيم باتت قديمة الطراز، وتتوق إلى الحياة البطيئة الخطى التي هي معتادة عليها. لكنها فتاة تتحلى بالعزم والتصميم، لذا تقدمت صعوداً نحو الباب الخشبي الأملس، وهي تمسك بشدة حقيبة يدها الواسعة الرثّة، ثم ضغطت على زر الجرس. فاجأها الصوت القادم من علبة معدنية صغيرة، فأطاعت التعليمات التي أعطيت لها، فأبلغت عن اسمها وعملها.

فُتِحَ الباب في نهاية الأمر، كما لو أن الأمر تم بفعل السحر. وجدت ميرسي نفسها تدخل إلى ردهة ضخمة جداً، ذات سقفٍ يرتفع حوالي الثلاثة طوابق، وينتهي بمطلع درج محاط بسياج يلتفُّ صعوداً، ويؤدي إلى الطوابق العليا.

قابلتها امرأة ذات شعر أشقر منفوش، وجسد فاتن رشيق. ترتدي سروالاً زهرياً، مع قميصٍ تبهر الأبصار بلونها اللامع، تبدو ملتصقة تماماً بجسدها. شعرت ميرسي على الفور أنها أشبه بفأرة رمادية صغيرة سمينة، حيث بدا لها كأن طولها البالغ خمسة أقدام وثلاثة إنشات يتقلّص إلى مجرد إنشٍ أو اثنين.

أعلنت المرأة الشقراء بعد أن رجعت إلى قائمة مثبتة بمشبك: «لا بد أنك الآنسة هاورد».

أتبعت إعلانها هذا بابتسامة عريضة كشفت عن أسنان بيضاء، وبعد دقيقة من الفحص والتدقيق في بذلة ميرسي الرمادية غير المتكلفة وغير الجديرة بالإطراء، والتي تشبه الصندوق، ثم في حذائها الكبير وفي حقيبة يدها

القديمة الطراز، قالت المرأة الشقراء: «أنا صديقة السنيور باسكالي».

فيما قوّست بحجل أحد حاجبيها المرسومين باللون الأسود بمهارة، مشددة على كلمة «صديقة» بصوتٍ أبحّ. أتبعت ذلك بابتسامة مصطنعة ذات معنى، ثم قالت: «إنه يقوم بمقابلة إحداهن في هذه اللحظة، لذا إذا رغبت بالجلوس، أنا متأكدة من أنه لن يدعك تنتظرين طويلاً».

بدا المقعد المصنوع من الجلد والكروم الذي اختارت ميرسي الجلوس عليه مريحاً، وقد وضعت إلى جانبه طاولة ذات سطح زجاجي. لكن ميرسي لم تكن قادرة على الاسترخاء، على الرغم من أنها وضعت قدميها إلى جانب بعضهما، واحتضنت حقيبة يدها القديمة المريحة في حضنها. فالغثيان قد بدأ ينتابها منذ الصباح الباكر عندما أخذت كارلي تعلمها بفرح عن كامل هوية الرجل الذي تأمل ميرسي بأن يصبح رب عملها في المستقبل.

– سهرت معظم الليل وأنا أبحث عن معلومات عن الرجل على شبكة الإنترنت. إنه أسطورة حيّة، وهو في الحادية والثلاثين من عمره فقط! إنه صاحب وكالة باسكالي للإعلان، وهو نابغة بالمعنى الحرفي للكلمة. فهو من ابتكر مجمل أعمال الشركة. إنه يساوي الملايين بمفرده، من غير أن نحسب مجموعة كبيرة من الممتلكات المتوارثة عائلياً. يقع منزله الأساسي هنا في لندن حيث يفترض بك أن تعملي وتقيمي. بالإضافة إلى ذلك فهو يمتلك فيلا بالقرب من أمالفي وشقة في روما. إنه يهتم بالفن المعاصر، وليس لديه زوجة ولا أولاد، لذا لن يكون هنالك الكثير من الأعمال المنزلية لتقومي بها، باستثناء تمرير ممسحة الغبار على لوحات بيكاسو وهوكني التي يملكها.

هزّت كارلي كتفيها وارتدت سترة البذلة الكحلية التي تحمل على طيّة ياقتها علامة تجارية مطرّزة، تخصُّ شركة مستحضرات التجميل العالمية التي تعمل لديها. أما قماش البذلة ذو اللون الغامق فيلفت الانتباه إلى شعرها الأشقر الرمادي الأملس الذي يصل طوله حتى ذقنها، وهو شعر تُحسد عليه.

نفخت كارلي قبلة باتجاه ميرسي، قائلة: «عليَّ أن أنطلق الآن، قبل أن أتأخر مجدداً. أتمنى لك الحظ الجيد، وتذكري أن ابتسامتك جميلة، لذا أكثري من

استعمالها!».

كانت عينا ميرسي ما تزالان متعبتين بسبب قلّة النوم. فقد أمضت معظم الليل في تنظيف المكاتب، وهو العمل الوحيد الذي وجدته لها وكالة الأعمال المنزلية. وكما يقول أحد زملائها في العمل، هي امرأة يمكن الاعتماد عليها دوماً، فهي متمكّنة، ولا تغيب عن عملها تكراراً بحجّة المرض. وجدت ميرسي من المستحيل أن تحظى بساعتين من الراحة أو ما يقاربهما، مثلما تفعل عادةً، وذلك بسبب توترها المتزايد.

رأت الإعلان عن هذه الوظيفة الشاغرة وهي تتصفح مجلة معروفة في السوق، وذلك خلال فترة الغداء حينما كانت تنتظر في عيادة طبيب الأسنان، لإجراء الفحص الروتيني لأسنانها. بدا لها كأن ملاكها الحارس يعمل بشكل مزدوج لصالحها. يطلب شخص اسمه أندريو باسكالي مدبرة منزل لتقيم في منزله، أما الراتب المعروض فهو كبير بما يكفي لجعل عيني ميرسي تقفزان خارج وجهها اندهاشاً.

بمبلغ من المال كهذا سوف تتمكن من تقديم مساعدة كبيرة لشقيقها من أجل دراسته في مجال الطب. إذا حظيت بهذه الوظيفة سوف تتخلّص من المصاريف المعيشية، ولا بد أن الطعام سيكون مؤمناً وكذلك المسكن.

تردى الوضع المالي لشقيق ميرسي إلى حد بعيد، وخشيت أن يؤدي به ذلك إلى نوع من الاضطراب الذهني الناتج عن معاناته الكبيرة خلال فترة تدريبه المرهقة. لكنه أخذ في نهاية الأمر يتحدث عن تصميمه على حيازة شهادة أعلى في مجال الجراحة، فاستفاق عائداً إلى الواقع ليجد نفسه غارقاً في ديون هائلة.

اتصلت ميرسي بالرقم المدون في المجلّة، وهي مقتنعة تماماً بأن الوظيفة الشاغرة التي صادفتها، أرسلت إليها من السماء. عندما تحدثت عبر الهاتف، أبلغتهم، بل بالأحرى طالبتهم بحاجتها إلى موعدٍ لإجراء مقابلة لأجل الوظيفة. أما الآن فتورد خداها خجلاً، وشعرت بالارتباك وهي تتذكر ما فعلته. بدا الأمر ملائماً تماماً لها، لكن ذلك كان في اليوم السابق لإسقاط كارلي المفاجىء لقنبلتها عليها.

كارلي هي صديقة ميرسي منذ أيام المدرسة، وهي تتشارك معها في السكن في شقة صغيرة، منذ عامين. لكنها تنوي مغادرة هذه الشقة لكي تقيم مع صديقها الحميم، لأنهما سوف يتزوجان بعد حين.

شعرت ميرسي بالسرور من أجل صديقها. كيف عساها تشعر بشيء معاكس في حين أن كارلي أحسنت معاملتها كثيراً؟

منذ سنتين، وبعد مرور أيام معدودة على عيد مولدها العشرين، كانت ميرسي يائسة محطمة، وقد صعقها الأسى والحزن لوفاة والديها. لم تكن تعلم كيف عساها تتدبر أمر مساعدة شقيقها الذكي اللامع لإنهاء سنوات تدريبه الطويلة. إذ كيف ستستطيع الصمود بالقليل الذي تجنيه من عملها؟ لقد توقف راتب والدتها التقاعدي الذي كانت تحصل عليه من الكنيسة بعد وفاتها.

غادرت ميرسي المدرسة لدى بلوغها السادسة عشرة من عمرها على أثر وفاة والدها. وافقت والدتها الرأي بأن من واجبها أن تكسب شيئاً من المال، فيتوفر بذلك جزءاً من نفقة دراسة شقيقها الذي هو أكثر ذكاءاً وأصغر منها سناً. عملت ميرسي في كل وظيفة توفرت لها في القرية التي انتقلت إليها عائلتها، فقد ترك والدها مسكن القساوسة لكي يقيم في كوخ صغير تمتلكه الكنيسة، وظل هذا المكان المنزل المتوفر لها ما دامت والدتها حيّة ترزق.

مرّت أوقات عصيبة على ميرسي، لكنها فتاة قانعة بما لديها. لطالما رغبت بأن تعمل بدوام كامل لكي تكتسب خبرة في مهنة تقديم الطعام والأعمال المنزلية. وذلك كي تتمكن في المستقبل من العمل في هذا المجال المتخصص بصورة مستقلة، أو ربما تخاطر أكثر بافتتح شركة صغيرة تقوم بتقديم الطعام خلال حفلات العشاء الخاصة والأعراس. تركت ميرسي طموحها ذاك في خانة الانتظار حالياً ورغم ذلك فقد استمتعت بأداء الأعمال التي توفرت لها، كتنظيف المكاتب، وتنسيق الحدائق، والتسوق لمن لا يقدرون على مغادرة منازلهم، وأخذ الكلاب في نزهات مشياً على الأقدام.

كانت كارلي هي التي مدّت لها يد العون خلال تلك الأوقات الصعبة

المقلقة. هذه الأخيرة تعمل حالياً في مجال التجميل في أحد متاجر لندن الفخمة. يومها قالت لميرسي: «يمكنك أن تشاركيني السكن. صحيح أن الشقة ليست أكبر من علبة الأحذية، لكننا سوف نتدبّر أمرنا. يمكنك مشاركتي في دفع الإيجار، وبذلك تسدين لي خدمة. كما أن هنالك المئات من وكالات الأعمال المنزلية التي تتوق للحصول على موظفين جدد. يمكنني تدبير بعض المقابلات لك».

حصلت ميرسي على منزل ووظيفة. أما شقيقها فقد قبل عرض عمته العانس، وهي مدرسة متقاعدة وفرت له منزلاً ليقيم فيه خلال إجازاته، وعمتهما هذه تقيم في قرية حيث يمكنه أن يقوم بمراجعة دروسه بهدوء وسكينة. أما خلال الفصل القادم، فسوف يعود إلى مستشفى لندن التدريبي الشهير.

أما الآن، فها هي الشقراء الشبيهة بالتمثال، تتجه نحو الباب الأمامي برفقة امرأة سمراء طويلة جميلة رقيقة الملامح، وعلى الأرجح أنها تحمل في محفظة كتفها الجلدية الأنيقة رزمة من المؤهلات للوظيفة. قالت الشقراء للمتقدمة السمراء: «سوف يتم الاتصال بك خلال اليومين المقبلين لإعلامك إن كنت على لائحة المقبولين للوظيفة».

هبطت معنويات ميرسي حتى كعبي حذائها البني ذي الشرائط، ما إن سمعت كلام المرأة، إذ أحسّت أنها ليست في المكان الملائم مطلقاً.

فكرت أنها لن تحظى بأي فرصة للحصول على الوظيفة بوجود تلك المرأة التي تبدو واثقة تماماً من نفسها. تُرِكَتْ ميرسي لمدة عشر دقائق إضافية وهي ممزقة بين رغبتها في الحصول على الوظيفة ورغبتها في الابتعاد من هنا. سوف تقوم بنشر إعلانٍ لإيجاد شريكة مستعدة لمشاركتها في شقتها الصغيرة، ما إن تغادر كارلي عند نهاية الأسبوع. أما هي فسوف تتابع حياتها كما في السابق، فتحاول جهدها توفير كل قرش يمكنها الاستغناء عنه. بينما رغبتها الأخرى حثّتها على البقاء قوية وعنيدة، وأن تقوم بأداء أفضل ما عندها للحصول على الوظيفة. مهما يكن، فليس هنالك ما تخسره سوى أجرة مترو الأنفاق.

كانت ميرسي ما تزال مترددة بين قراري الهروب أم البقاء والمقاومة، حينما خرج القرار من يدها. أومأت لها الشقراء فجأة من أمام مدخل الغرفة الواقعة في الجانب البعيد من الردهة الواسعة، والتي دخلت إليها قبل قليل.

نهضت واقفة على قدميها، متمنيّة لو أنها على الأقل ارتدت ثياباً أكثر أناقة من بذلتها الرزينة الفضفاضة. تلك البذلة التي اشترتها خصيصاً لمأتم والدها منذ عدّة سنوات.

لكنها عادت وشجّعت نفسها مقرّرة بأن «الرزانة» هي ميزة قد يبحث عنها أي رب عمل لدى مستخدمه. إنها رزينة، منطقية وعملية جداً بغض النظر عن هذه البذلة. لا يتوجب على الفتاة أن تكون مثالاً للجمال والروعة لتتمكن من جلي الأطباق وتلميع الأرضيات. أليس كذلك؟

مهما يكن الأمر، فالسينور باسكالي، الرجل الأسطورة ذو الثراء الفاحش، ليس سوى رجلاً عادياً شأنه شأنها هي، أليس كذلك؟

آه... ! في الواقع، هناك رجال من نوع آخر من البشر. تلك كانت أول فكرة مجنونة راودتها حينما راقبها ذلك النموذج الإنساني البالغ الوسامة، متفحصاً هيئتها المهملة عبر امتداد مكتبه المليء بالأشياء المبعثرة.

بدا وجهه النحيل القوي أنيقاً مشدوداً، وبالكاد يخفي نفاد صبره. كما سيطرت عليه هالة من السكون الضاري تغلف مزاجه المشحون بالقوة والمشدود كالسوط. مظهره ذاك أوحى لها أنه مستعد للانقضاض على أي شخص يخرج عن حدّه، فيمزقه إرباً إرباً.

استمرت عينا أندريو الرماديتين الغامقتين بتقييم ميرسي إلى أن شعرت بأنها تودّ الهروب خجلاً وأن تذوب عبر ألواح خشب الأرضية. شعّت عيناه بتوهج حيوي، وهو أمرٌ جعلها تشعر ببعض الارتياح. فكّرت أنه لو كان حقاً عبقرياً مبدعاً، فلعلّه على الأرجح لن يلحظ تموجات شعرها الملونة. فالتفافات شعرها هذه تجعلها تبدو كما لو أنها وقفت في مهب الريح لساعات، بغض النظر عن محاولاتها الجاهدة لجعلها تبدو جيدة، أو لتحسّن من مظهر وجهها الباهت. لكن الرجل على الأرجح يسبح بعيداً في أحد خيالاته

المبدعة الرائعة.

تشتت وهمها المريح حينما وصلت تلك العينان نزولاً حتى حذائها. بعدئذٍ أشار لها أندريو بحركة موجزة من يده، بأن تجلس على المقعد المواجه له، واستدار في الوقت نفسه نحو «صديقته» الشقراء التي تحوم حوله، فقال: «أنا بحاجة إلى القهوة، تريشا، الآن».

إنه ينوي تولّي آخر مقابلة بنفسه، من غير أن يحظى بمقاطعات ثرثرة مزعجة بخصوص المؤهلات والخبرة والمراجع. فقد أضاع ما يكفي من الوقت حتى الآن. أضاف حين استشعر بعض التردد من قبل الشقراء، وبعد أن راجع صفحة من الأوراق بين يديه: «وكوبٌ آخر للآنسة ميرسي هاورد».

لاحظت ميرسي أن الأمر الذي أصدره أندريو بتلك النبرة المتشددة قليلاً والصوت المخملي الخشن، جعل الشقراء تريشا تنطلق مسرعة إلى الخارج.

بدأ شعور غريب بالخجل يتصاعد داخل ميرسي، فيما استقرت عيناها على وجهه الوسيم. لم يخالجها من قبل شعور كهذا تجاه أي رجل، الأمر الذي جعلها تشعر بإحساسٍ مميز حقاً.

جلس أندريو مستلقياً إلى الخلف على كرسيه حالما خرجت من طريقه المرأة التي توشك أن تصبح عشيقته السابقة، ثم راقب المتقدمة الأخيرة من بين جفون عينيه شبه المطبقة، وهو غير مستعد أبداً لهدر أيّة لحظة إضافية من وقته الثمين. فكر أن أمامه خيارين، إمّا أن يتصل بإحدى المتقدمتين السابقتين ليعرض عليها الوظيفة، أو أن يوظف هذه المرأة الموجودة هنا.

ضاقت عيناه ذات اللون الدخاني أكثر. إنه لا يأخذ بنصيحة أحد، لكن في هذه الحالة ربما لدى تريشا وجهة نظر محقة، سلّم بذلك على مضض. إن المرأتين السابقتين بدتا ملفتتين للنظر، جميلتي المظهر ومصقولتين، كما أنهما متأكدتان من قدراتهما وواثقتان بنفسيهما. فإذا وظّف إحداهما، لن يطول الأمر حتى تقنع رجلاً أحمق مسكيناً بوضع خاتم الزواج في إصبع يدها، وعندها سيضطر أندريو إلى خوض غمار هذه المهزلة الكاملة مجدداً.

قرر أندريو أنه لن يواجه نفس المجازفة مع هذه المتقدمة. فهذه المرأة بصراحة

تبدو غير مصقولة، بغض النظر عن شعرها الغريب الشكل، إنها ذات شخصية ضعيفة، مع العلم أن الدليل الوحيد على ارتباكها هو وجهها غير المميز الذي يعلوه الاحمرار.

سوف يمنحها الوظيفة!

سألها: «ألديك خبرة في إدارة الشؤون المنزلية؟».

أمل ألا يكون هناك عيب جدّي غير ظاهر فيها حتى الآن.

بعدئذ سوف تجري حياته بسلاسة كالسابق، ما يسمح له بالتركيز على شؤونه الهامة فلا يضطر بعد اليوم إلى إزعاج نفسه بأمور منزلية متعبة، كإيجاد الجوارب النظيفة مثلاً، أو تصوّر كيفية إعداد كوبٍ من القهوة.

أطلقت ميرسي تنهيدة ارتياح مختصرة، فقد أثارت أعصابها طريقته في النظر إليها كما لو أنها نوع من الكائنات الحية غير المكتشفة من قبل. أجابت بتسرّع: «قمت بتدبير شؤون منزل والدتي وإدارته لمدة أربع سنوات، بالإضافة إلى تولّي وظائف أخرى بوقت جزئي. كما أنني بدأت بدراسة مهنة تقديم الطعام والأعمال المنزلية في مدرسة ليلية، لكنني اضطررت إلى...».

كانت ميرسي على وشك شرح الظروف التي أدت بها إلى التخلّي عن الدروس، كانت على وشك إخباره عن صحة والدتها المتدهورة، لكنها وجدت نفسها غير قادرة على الكلام حينما تدخّل السنيور باسكالي سائلاً: «هل من أصدقاء حميمين؟».

فغرت ميرسي فاها وهي تبتلع الكلمات التي كانت تنوي التفوه بها. ما علاقة ذلك بقدرتها على أداء أعمال التدبير المنزلي؟ أخيراً تمكنت من الرد بكلمة «لا» بعد أن دلّ فمه المشدود بنفاد الصبر على أنه قد انتظر أكثر من اللازم ليحصل على الرد الذي يتوقع سماعه فوراً.

ثم سأل وكأنما سؤاله يتطلب التفصيل والتوسع، فقال: «ألديك أية ارتباطات عائلية؟ أطفال أو أقارب مسنين يعانون من مشاكل صحية، وهم يتوقعون منك التخلّي عن أي شيء لتذهبي إليهم في الحالات الطارئة؟».

تصلبت ميرسي وزمّت شفتيها المكتنزتين الخاليتين من أيّ مواد تبرّج. هذا

الرجل متنمّر يستقوي على الضعفاء. لكن على الرغم من مظهره المدمِّر، فكرت ميرسي أنه آن الأوان كي تقف وتدافع عن نفسها، فهي على الأرجح لن تنجح بالوصول إلى لائحة المقبولين للوظيفة في جميع الأحوال.

- سينيور باسكالي. كان والدي رجل دين، ولم يعانِ يوماً من المشاكل الصحية. والدتي كانت امرأة ذات نفس طيبة ورقيقة، ولم تطالب يوماً بأي شيء غير عقلاني أو منطقي. لكن للأسف، كلاهما توفيا. لدي بالفعل عمةٌ معافاة وبصحة جيدة، وبما أنها تعيش في كورنوال، فمن غير المحتمل أن أسارع لأكون إلى جانبها إذا ما جعلها سوء حظها تصاب بالرشح أو آلام الرأس. فهي لن تحلم حتى بتوقع حضوري إليها. أما في ما يخص الأطفال، بالطبع ليس لدي أولاد، فأنا لست متزوجة.

- إن عدم الزواج لا يفترض بالضرورة عدم وجود الأطفال، بحسب خبرتي.

ردّ أندريو بملاحظة اعتبرتها ميرسي تهكمية جداً. لكن ابتسامته العريضة المفاجئة شتتت انتباهها، ذلك أنها جعلته يبدو وسيماً إلى درجة فائقة، أما عيناه فبدتا ضاحكتين خارقتين حقاً، حسبما لاحظت عندما انطلق إلى الأمام في مقعده بحيوية زائدة. راجع أندريو بسرعة الورقة الموضوعة على المكتب أمامه، متأملاً بانشراح ورضى أن ابنة القس على الأرجح تتمتع بقيم أخلاقية قديمة الطراز، لذا فمن غير المحتمل أن تستقبل أحدهم في منزله أو تقيم حفلات جامحة خلال فترات غيابه المتكررة.

- إذا ما قبلتِ بالوظيفة آنسة هاورد، سوف تحظين بجناح خاص بك. عليك أن تقومي بإدارة كل الشؤون المنزلية من غير تطفّل. كما أنني لا أحبّذ أن تعلميني أو تستشيريني في الأمور التافهة، فلو انكسرت مرآة الحمام أو رشح صنبور المياه عى سبيل المثال، عليك الاتصال بسمكري ليصلحها من دون أن تزعجيني بالموضوع. عليك الاهتمام بملابسي الوسخة، فأنا أستعمل قميصين يومياً. أستيقظ عند الساعة السادسة والنصف، وأتناول الفطور عند الساعة الثامنة بعد قيامي برياضة الركض ثم الاستحمام. قلّما أمضي الأمسيات في

المنزل، لكن حينما أنوي ذلك سوف يتم إعلامك مسبقاً حتى تحضّري وجبة طعام عند الساعة التاسعة. أما في بعض المناسبات التي استضيف فيها شخصين أو حفل عشاء لعشرين شخصاً، فعليك الاتصال بشركة تقديم الطعام التي أستخدمها دوماً، فتقومين بالترتيبات اللازمة. وإذا ما استقبلت ضيفاً ليمضي الليلة في المنزل، عليك أن تتولي أمر الاهتمام بمتطلباته. هل من أسئلة؟

انتزعت ميرسي نفساً متقطعاً. أهو حقاً على وشك أن يعرض عليها الوظيفة؟ ذلك سوف ينقذ حياتها! اتسعت عيناها وهي تجاهد لتأتي بسؤالٍ مناسب ذي صلة بالموضوع لتطرحه عليه. لكن لم يخطر ببالها أي شيءٍ مطلقاً، باستثناء حاجتها غير الملائمة لمعرفة إن كان الضيف الذي يحتمل أن يمضي الليل عنده هو تلك الشقراء الطويلة، أم أنه يحبذ تغيير نسائه من حين إلى آخر. لكن بما أن ذاك السؤال سيجعلها تبدو متطفلة بشكل لا يحتمل، اكتفت بهزّ رأسها نفياً، وإطلاق نفسها مع قولها: «كلا. لا أظن ذلك».

استجمعت قواها، ولحسن الحظ وجدت نبرة ثابتة لصوتها في مكانٍ ما، فتابعت بنبرة مختلفة: «يبدو ذلك واضحاً».

قرر أندريو أن ذلك كاف بالنسبة إليه، فهي لم تطرح أية أسئلة بخصوص أيام العطلة والمناسبات التي يحق لها أن ترتاح فيها. ابتسم أندريو لعينيها الزرقاوين المدهشتين، واتخذ قراره بهذا الشأن. كل ما يهمه هو الحصول على مدبّرة ملائمة بمنزله، لكي يستريح من سلسلة المهام المنزلية المرعبة التي عليه تدبيرها، ويحظى بحياة منزلية سلسة، وهو ما افتقده بشكل غير متوقع منذ استقالة كنوكس، مدبرة منزله السابقة.

نهض أندريو، فظهر فوقها بطوله الفارع وعرض كتفيه المرعبتين اللتين تغطيهما قميص سوداء. امتدت يدٌ قوية أنيقة المظهر نحوها، وقال أندريو: «أهلاً بك، هاورد. يمكنك استلام مهامك بدءاً من الغد».

انتقلت نظرات ميرسي المذهولة صعوداً من يده الممدودة لتلتقي تينك العينين السوداوين الخارقتين. هل حصلت حقاً على هذا العمل المميّز بهذه البساطة؟ فغرت فاها الرقيق، ثم زمته بعزم وهي تقول له: «شكراً لك.

لكنني لن أستطيع البدء بالعمل يوم غد».

فردّ وهو يعض شفته: «لِمَ لا؟».

وسرعان ما عاد ليجلس من جديد على مقعده الذي غادره للتو، وقد تصلبت ملامح وجهه الكلاسيكية. أدركت ميرسي أن الأمر سوف يزعجه، لا بد أنه، ببساطة، معتاد على الحصول على كل ما يبتغيه، أما الآن فقد آن الأوان لأن يلقّن درساً بأن الحياة ليست كذلك على الدوام. ميرسي هي حقاً قادرة على إثبات نفسها إذا ما سمحت لها الظروف بذلك، بالرغم من مظهرها المتواضع وإدراكها لذاتها، وبالرغم من رغبتها الدائمة بفعل المستحيل لإرضاء الآخرين.

بعد أن أعطته ميرسي لحظة لاستيعاب الأمر، قالت له بحزم: «أنا حالياً موظفة لدى وكالة تهتم بالأعمال المنزلية. ومن المفترض أن أعطيهم إنذاراً بتركي الوظيفة قبل أسبوع على الأقل. بالطبع يمكنني أن أرحل ببساطة وأضحّي بأجوري لهذا الأسبوع، وأتوقع منك أن تعوضه علي بالطبع، لكنني لا أرجع أبداً عن أي التزام أقوم به، لذا فسوف يسعدني أن أستلم وظيفتي الجديدة بعد أن أمضي المهلة المحددة لترك عملي السابق».

أنهت ميرسي كلامها آملة ألاّ تكون قد أفسدت هذه الفرصة الذهبية التي سنحت لها.

تلاشى عبوس أندريو المخيف. فكر أنه اعتاد أن يكون محاطاً بأكثر النساء فتنة وسحراً وثقة بأنفسهنّ، وهؤلاء النساء مستعدات للقيام بكل ما يتمناه، أما الآن فقد صدّته امرأة وضيعة المستوى. توقع أن تكون متلهفة للبدء بالعمل، فتحاول المستحيل لكي تضمن لنفسها وظيفة عالية الأجر كهذه، إلاّ أنها ليست كذلك. إنها تجربة جديدة بالنسبة لأندريو جعلت فمه يشتد منتفضاً بقوة.

تحولت انتفاضة فمه إلى ابتسامة عريضة كاملة، فيما انطلق واقفاً على قدميه قائلاً: «إذاً، أتوقع منك استلام مهامك بعد مرور أسبوع، آنسة هاورد».

سار أندريو مندفعاً نحو الباب على رجليه الطويلتين، مبرراً قبوله غير المشروط لعدم انصياع المرأة لأوامره، بأنها على الأقل برهنت عن

مصداقيتها. بعدئذٍ قام بصرفها بعيداً عن ذهنه، وعاد لينشغل بالعمل الذي ينتظره في الوكالة.

ظلت ميرسي لفترة من الوقت تدور في دوامة من المشاعر تحت تأثير تلك الابتسامة المدمّرة، وبسبب حظها الجيد في الحصول على الوظيفة، لكنها هدأت نفسها لتنتظر قهوتها.

أندريو باسكالي الأسطوري، ليس شخصاً مرعباً ومخيفاً كما خشيت أن يكون. إنه ليس كذلك إذا تم التعامل معه بحزم!

www.elromancia.com

٢ - صديقان

استيقظت ميرسي لدى سماعها جرس المنبّه عند الساعة السادسة والنصف. بقيت مستلقية للحظات تستمتع بفخامة وهناء الارتياح الذي تنعمت به في ذاك السرير الضخم المزدوج الموجود في الجناح الخاص بمديرة المنزل، في الطابق العلوي من المنزل. كما استمتعت بنور الشمس الذي تسلل إلى غرفتها عند الفجر في ذلك اليوم من شهر نيسان، عبر الستائر البيضاء الشفافة التي تغطي النوافذ الكبيرة الواسعة.

يستيقظ رب عملها الجديد عند هذه الساعة أيضاً، ثم يتناول فطوره عند الثامنة، وهي تنوي أن تظهر له ما هي قادرة عليه. لم تره إلا لفترة قصيرة لدى وصولها صباح الأمس، فبعد أن أدخلها إلى المنزل ألقى نظرة خاطفة على ساعة يده، ثم أوضح لها كأنه لا يراها حقاً: «أنت دقيقة في المواعيد. جيد! سوف أكون في الخارج طيلة النهار، ولن أحتاج إلى وجبة عشاءٍ هذا المساء. استقري ورتّبي أغراضك، ثم اجعلي الغسيل من أولوياتك».

راقبته ميرسي وهو يخطو مبتعداً، ثم يلوّح لسيارة أجرة بدت كأنها ظهرت بسحر ساحر، متأملة بعينين متسعتين كيف تفيض الحيوية من ذاك الجسد الطويل. سحبت نظراتها بعيداً عنه، ثم استدارت لتبدأ أول نهار لها في خدمته.

فكرت ميرسي وهي تتدحرج خارج السرير متوجهة نحو الحمام الملحق بغرفة النوم بأنها استمتعت بذلك النهار حقاً. لقد حظيت بكل ذاك المنزل الرائع لنفسها، من غير أي أثر لتلك القنبلة الشقراء. تنقلت طيلة النهار في أرجاء المنزل، وهي تعمل بجدية وفعالية تامة.

تمهّلت قليلاً وهي تلملم الملابس المنثورة في أرجاء غرفتي النوم والحمام

اللتين يشغلهما أندريو في الطابق السفلي الواقع تحت جناحها مباشرة. قامت بفصل الملابس في غرفة الغسيل، مصنّفة تلك الملونة من الأخرى البيضاء، فيما احمرّ وجهها لدى رؤية ما هو حميم منها.

يا للسخافة! لطالما قامت بغسل ملابس شقيقها جيمس عندما كانا سوياً في المنزل، لماذا تراها تشعر بهذه الحرارة إذاً؟

أبعدت ميرسي الفكرة ثم أقفلت أزرار ثوب عملها الرمادي الباهت الذي وجدته موضوعاً على سريرها منتظراً وصولها، وهو ما يزال مغلفاً بورق السيلوفان الشفاف. أمِلَتْ أن يكون أندريو قد لاحظ قمصانه المعلّقة بدقّة تامة في خزانة ملابسه الواسعة، وأنها قامت بتبديل أغطية سريره، ونظفت غرفة نومه من الغبار.

إنها بالفعل تحتاج إلى ترك انطباعٍ جيدٍ لديه بفعاليتها الصامتة، عليها أن تتمسك بهذه الوظيفة. بالأمس سمحتْ لنفسها باستراحة غداء لمدة خمس عشرة دقيقة فقط، أمضتها في تصوّر المبلغ الإضافي الذي ستتمكن من دفعه من أجل تسديد حساب شقيقها المصرفي.

عقدت ميرسي شعرها الجامح الأجعد في ضفيرتين بعيداً عن وجهها، فهو شعرٌ كثيف منفوشٌ إلى درجة أن ضفيرة واحدة لا تكفي للتحكم به. بعدئذٍ قرّرت أن من قام بطلب رداء عملها هذا، يحمل في ذهنه صورة مضخّمة وبدينة جداً لحجم جسدها. صرفت ميرسي الفكرة، لأن مظهرها الخارجي ليس بذي أهمية بتاتاً، فالمنزل هو الأهم. جلّ ما يهمُّ الآن هو التأثير الإيجابي الذي تتركه على ربّ عملها بفضل مهاراتها في التدبير المنزلي.

سمعت الزوبعة المبشّرة بوصول أندريو عبر مدخل المنزل قادماً من رياضة الركض الصباحية، ثم دخوله إلى غرفة الاستحمام. في ذلك الوقت كانت قد انتهت من إعداد مكان جلوسٍ منفردٍ إلى طاولة الطعام العصرية المجهّزة لاستقبال عشرين شخصاً، وفكّرت أنها ما إن تحصل على راتبها ستضع منه مبلغاً صغيراً جانباً لأجل شراء الأزهار، فهي تنوي أن تُليّن الأجواء الرجولية الحادة في تلك الغرفة. تميّزت غرفة الطعام بأرضية خشبية مصقولة

لامعة، وجدران شديدة البياض، تم تزيينها بلوحتين زيتيتين لم تستطع ميرسي فهم رأسيهما من كعبيهما.

انطلقت عند الساعة الثامنة إلاّ ربعاً تعدّ الطعام في المطبخ العصري المتميّز بتصميمه الفني الأنيق، وأصبح الفطور جاهزاً عند الساعة الثامنة تماماً. بعدئذٍ ذهبت لتعلم أندريو الذي يجلس الآن في الغرفة حيث أجرى معها المقابلة. عبرت باب الغرفة، وبعد أن خطت خطوتين توقفت، وانتظرت حتى أنهى مكالمته الهاتفية. بالطبع، لم تتعمد ميرسي استراق السمع، إلا أنها سمعته يقول لشخص ما إن ذلك نهائي، وإنه لن يعيد النظر بالموضوع. تساءلت إن كان عليها أن تتظاهر بدهاء أنها لم تسمع ما يقوله. حين أنهى أندريو المكالمة، رمى هاتفه النقال جانباً، ثم وجه إليها كلامه: «حسناً!».

أعلنت ميرسي بنبرة عادية: «الفطور جاهز، سيدي».

بالنظر إلى المبلغ الذي يدفعه لها كراتب، يمكنها أن تغضّ النظر عن التصرف الفظ.. من الواضح أن الشخص الذي تحدث إليه إياً كان قام بإثارة أعصابه.

تحركت نظرات عينيه السوداوين المدهشتين إلى يديها الفارغتين، وقال: «أنا لا أراه!».

شردت ميرسي للحظة متأملة ملامسة نور الصباح لشعره الأسود البرّاق الأنيق، ولاحظت كيف يبرز الضوء مسطحات وجهه وتقاسيمه، لم تستطع منع نفسها من التحديق به، فبدا فاها الرقيق مفتوحاً إلى أن تذكرت أن من الفظاظة أن تحدق بمستخدمها.

أخيراً تمكنت من الرد: «غرفة الطعام.. سيدي».

أخذت تجاهد الآن لتسليط الضوء على كفاءتها، لكي تعوض عن تلك الهفوة المفزعة.

رسمت ميرسي ابتسامة خفيفة على شفتيها، ثم فتحت الباب، وتنحت جانباً كي يتقدمها رب عملها إلى خارج الغرفة، لكنه لم يفعل.

جاءها رد أندريو الهادىء: «أنا أتناوله هنا».

تلك الابتسامة الفتاكة التي ظهرت على فمه جعلت كل خلية من جسدها

تذوب ببطء شديد وهو يتابع كلامه موضحاً: «آسف، هاورد. لم يكن بمقدورك أن تعرفي هذا. أليس كذلك؟ كان ينبغي أن تترك لك كنوكس تعليمات محدّدة حول عملك».

ثم تلاشت ابتسامته، فمدّ يده متناولاً هاتفه النقّال الذي أخذ يرنُّ مرتعشاً. اختطفه أندريو ورفعه إلى أذنه، فتكلم بصوت حاد قائلاً: «أنا لا أجيد الصبر. عليك معرفة ذلك. وإذا اتصلتِ بهذا الرقم مجدداً، سوف أشكوكِ إلى السلطات بتهمة الإزعاج والملاحقة».

انطلقت ميرسي مسرعة، وقد تلوّن وجهها باللون الزهري. يا له من رجل فظ! لو أن أندريو وجّه الكلام إليها بتلك الطريقة التي تكلم بها مع سيئة الحظ على الطرف الآخر من الخط، فهي حتماً ستموت خجلاً، أو أنها على الأرجح ستسأله من يظن نفسه، فتطردُ من وظيفتها. من الواضح أنه لا يتردد في الصراخ على أيّ شخص لا يعجبه. من الأفضل لها أن تراقب خطواتها وتصرفاتها بدقّة، وإلاّ فإنها ستجد نفسها مطرودة.

وجدت ميرسي أكبر صينية أمكن توفرها في المطبخ، فحمّلتها بأغراض فطور أندريو، ثم عادت مترنّحة إلى غرفة المكتبة حيث كان يجلس. سيتوجب عليها إيجاد فسحة تتسع للصينية على ذاك المكتب الضخم المكتظ بالأغراض.

فكرت وهي تدفع باب المكتبة لتفتحه بوركها وهي منقطعة الأنفاس بسبب المجهود الذي تبذله، أليس من المريح أكثر لو أنه يتناول فطوره في غرفة الطعام؟ لكن مركزها لا يسمح لها بإخباره ذلك الأمر.

كان أندريو منكباً على طباعة نصٍ على شاشة الكمبيوتر الموضوع على منصّة مخصصة له في أحد الجوانب البعيدة من الغرفة. وضعت ميرسي الصينية على الأرض ريثما تمكنت من إخلاء فسحة على مكتبه، ثم وضعتها هناك بالشكل المناسب، وأعلنت بإشراق: «فطورك، سيدي!».

بدا أندريو شارداً كأنه على كوكبٍ آخر حين قال: «ماذا بعد؟».

ثم تسلل الغضب إلى كلامه وهو يتابع: «أحضريه إلى هنا، يا امرأة».

صرت ميرسي أسنانها على بعضها. أعطني القوة يا رب! عادت الكلمات

تقفز على شفتيها، ثم تمكنت من خنقها لتقول: «لا يتسع المكان على تلك المنصّة، يا سيدي».

شاهدت ميرسي كتفي أندريو العريضتين تتصلبان تحت قميصه الزرقاء، حين استدار أندريو ليحدق بها غير مصدقٍ، وقال: «لا يتسع المكان؟».

ثم نهض واقفاً بحركة سريعة، فاستقرت عيناه على طبق من البيض المقلي، إلى جانبه طبق من اللحم المشوي والطماطم، وقطعة من الخبز المحمص، بالإضافة إلى صحن للزبدة، وآخر للعسل، وإبريق الشاي مع مستلزماته. أحسّ أندريو أن وجهه يبهت لونه. فأغمض عينيه لوهلة مبتلعاً رغبته بالصراخ ليقول لها أنت مطرودة! المسألة ببساطة هي أن كنوكس لم تنفذ ما طلبه منها، فلم تدون قائمة بمتطلباته لتتركها لخليفتها في الوظيفة.

بدا صوت أندريو مليئاً بالعزم والتصميم كي يكون منصفاً في ما يقوله: «هنالك بعض الأمور التي ينبغي عليك معرفتها، هاورد. أنا منشغل الآن، وعلى وشك أن أصبح أكثر انشغالاً. لا يتسع وقتي لتناول وجبة طعام تكفي لإطعام جيش صغير. أنا ببساطة أحتاج إلى كوبٍ من القهوة القوية غير المحلاّة ولا شيء آخر، وذلك في تمام الساعة الثامنة، قبل مغادرتي إلى مكان عملي في الساعة الثامنة وعشر دقائق».

ألقى نظرة على ساعة يده المصنوعة من البلاتين، كما لو أن الأمر على أهمية كبرى، ثم أشار لها بجفاء قائلاً: «أصبحت الساعة الثامنة والربع، وأنا لا أرغب بأن أصاب بجلطة قلبية لدى تناولي هذا الصحن. خذيه من هنا!».

جذبت ميرسي نفسها فاستقامت في وقفتها حتى بدا طولها الكامل المؤثر، ثم رمقته بنظرة من عدم الرضى. لقد عملت في عدة وظائف عندما كانت والدتها حية، فاعتنت بولدي السيدة فليتشر ذوي السنتين من العمر، واستطاعت التعرّف على انطلاق موجة الغضب لدى كل منهما.

إنها واثقة من موقفها الصائب، فأشارت قائلة: «إنه طعامٌ جيد، متكامل، مفيد وصحي، فاللحم مع البيض لم يسببا الضرر لأيٍّ كان، لكن تناول القهوة السوداء فقط لبدء النهار...».

وتابعت بعد أن أصدرت صوت استنكار قائلة: «... فلن يؤدي المطلوب أبداً. الفطور هو أهم وجبة طعام خلال النهار، وما دمت موظفة هنا فمن واجبي الاعتناء بك وبمنزلك، لذا فإن الفطور اللائق هو ما سوف تحصل عليه. تناوله قبل أن يبرد».

ذكرت ميرسي نفسها متأخرة بموقعها كمدبرة لهذا المنزل لا أكثر، فتابعت مغيّرة مجرى الحديث: «هل ستعود لتناول العشاء هذا المساء؟».

اتسعت عينا أندريو الرماديتان الغامقتان، فيما حدّقتا فيها ببساطة للحظات طويلة، لحظات ثقيلة سلبت منها أنفاسها، وجعلت وجهها يحمر بشدة قبل أن يتمتم أندريو: «كلا، هاورد. لن أعود».

لجأت ميرسي إلى الأمان الذي يوفره لها المطبخ. ثم تخلّت عن محاولاتها لتأكل قطعة الخبز المحمّص مع المربى، فيما تناهى إلى سمعها صوت مغادرة أندريو للمنزل. أملت ألاّ تكون قد أفسدت الأمر، فأندريو باسكالي الأسطوري لن يتحمل أن يملي عليه أحد موظفيه ما يجب عليه أن يفعله. أما المشكلة فتكمن في أن ميرسي اعتادت منذ عمر السادسة عشرة أن تدير شؤون المنزل بالأسلوب الذي تراه ملائماً. فهي كانت مسؤولة عن ميزانية العائلة ومدخولها الضئيل، لأن صحة والدتها الغالية المسكينة ساءت تماماً بعد وفاة والدها، فاضطرت الأسرة بأكملها إلى الإقامة في ذاك الكوخ الصغير. ولدى وصولها إلى لندن أصبحت مسؤولة عن فريق عمل من موظفي التنظيف، لذا اعتادت اتخاذ القرارات بشأن تنفيذ الأمور، ومتى ينبغي تنفيذها. لكن هذا ربما لن يجدي نفعاً هنا، ولن يتلائم مع نابغة إيطالي مبدع!

رغم ذلك فهي تعلم بأنها محقة. لا بد أن ربّ عملها يعمل بجهدٍ ليجعل من وكالته ناجحة، لذا فهو يحتاج إلى فطور ملائم. مهما يكن الأمر، فهو استخدمها لترعاه، وهذا ما تنوي فعله بالتحديد.

توالت ساعات النهار سريعاً، وتمكنت ميرسي خلالها من استعادة شجاعتها بفضل اعتقادها المتزايد شيئاً فشيئاً، بأنها ليست على وشك فقدان وظيفتها. فبعد التحقق من صينية الفطور علمت أن السنيور باسكالي قد تناول

شريحة من الخبز المحمص مع قطعة من اللحم، وذلك يعني أنه تقبّل الدرس الذي لقّنته إياه بنية حسنة بشكل لا بأس به.

نظفت ميرسي النوافذ، ولمعت المفروشات بذوق ودقّة، كما سجّلت في ذهنها ملاحظة بأن عليها أن تسأل أندريو عما كانت تفعله مدبرة منزله السابقة بشأن طلب المؤونة للمنزل، وكيفية دفع ثمنها.

بدت الخزانة في المطبخ خالية إلا من مستلزمات القهوة، أما بعض وجبات الطعام الجاهزة فأخذت تذوي في الثلاجة. اضطرت ميرسي إلى الخروج مسرعة من المنزل لتشتري ما تطلبه فطور اليوم الذي تم رفضه بازدراء، كذلك فطور يوم غد، مستخدمة لذلك مواردها الحالية الضئيلة. لطالما اعتقدت أن شقيقها غير لبق، لكن يبدو أن رب عملها هو فريد من نوعه في هذا المجال!

مع حلول الساعة الثامنة، اعتبرت ميرسي أن نهار عملها قد انتهى. فقد كانت تشعر بالحرارة والقذارة، وتفوح منها رائحة سائل تلميع الأرضية، كما كانت قدماها تؤلمانها. وضعت في المايكروويف وجبة مثلجة، ووعدت نفسها وهي تجمع أغراض عشائها على صينية، بأن تسترخي لمدة ساعة أمام شاشة التلفزيون في الجناح المخصص لها. أما بعد ذلك فسوف تأخذ حماماً ساخناً وتنام باكراً. كشّرت مبتسمة ابتسامة عريضة، وهي تتذكر ما تقوله كارلي عنها، فصديقتها تقول لها إنها تتصرف كما لو أنها في منتصف العمر، لا كما تتصرف الفتيات اللواتي هنّ في مثل سنها. لكنها سرعان ما تركت ما تفعله، وركضت لتفتح الباب الرئيسي، بعد أن سمعت الجرس يرن. أهو السنيور باسكالي؟ هل نسي المفتاح في مكان ما؟ تمنّت ميرسي لو أنها ليست على هذا الشكل المزري تماماً، لكن ليس أمامها وقت كافٍ لترتب مظهرها. سمح باب المنزل المفتوح لنسمة هواء باردة قادمة من النهر بالدخول، كما دخلت أيضاً القنبلة الشقراء.

أعلنت ميرسي وهي تستنشق نفساً ملأ رئتيها بعطرٍ قويٍ رهيب ومسكر: «أعتقد أنه ليس موجوداً».

توجهت تريشا نحو الدرج وقالت: «أعلم».

كانت المرأة ترتدي فستاناً أسود لامعاً يتألق أناقة وهي تتحرك، وقد التصق بجسمها مظهراً رشاقتها. تابعت: «إنه يتأخر دوماً أيام الثلاثاء. سوف أنتظره في غرفة نومه. كوني فتاة مطيعة، أحضري لي زجاجة من العصير مع كوبين».

بالرغم من تربيتها الأخلاقية العالية، فإن ميرسي ليست من النوع المتزمت. وهي تدرك أن البعض يقيمون علاقات غرامية خارج إطار الزواج، وربما يكون هذان الاثنان مغرمين ببعضهما البعض حقاً، فرجل بمثل وسامة أندريو، لا بد أن يختار شريكة تلائمه. حسناً! لِمَ عساها تتنهد الآن متأففة وهي ذاهبة لتنفيذ ما طلبته تريشا؟

أهو الحسد؟

آه! هذا هراء مطلق!

بعد مرور دقائق قالت ميرسي بمرح وهي تدخل غرفة نوم أندريو: «أنت لم تخبريني أي نوع من العصير تريدين لذا أحضرت لك نوعين».

كانت الشقراء تتفحص صورتها أمام المرآة الطويلة التي تسمح لها برؤية جسدها بأكمله، فأخذت تستدير ذات اليمين وذات اليسار كأنها تبحث عن التطمين وتريد التأكد من أناقة مظهرها.

رفعت ميرسي نظرها بعد أن وضعت الزجاجتين والكوبين على الطاولة إلى جانب السرير، وهي طاولة منحوتة تصرّح بوضوح بالثروة، كما هو الأمر بالنسبة لبقية هذه الغرفة التي يغلب عليها الطابع الذكوري. لاحظت ميرسي لأول مرّة أن المرأة تبدو متوترة إلى حد كبير تحت ذاك التبرج الذي وضعته على وجهها، وأن فمها يرتعش، وكذلك هي يدها.

- هل أنت بخير؟

ردّت المرأة قائلة: «فقط افتحي زجاجة العصير. أنا بحاجة إلى شيء يقويني».

بعد ذلك استلقت على السرير، وخلعت حذاءها ذا الكعبين العاليين، ورمته بقوة.

أحسّت ميرسي أن معدتها تنقلب مولدة شعوراً بالغثيان، لدى رؤية الشقراء

المستلقية على الأغطية الحريرية المطرزة بأناقة. قررت أن تخرج من الغرفة بلباقة، لكن محاولتها باءت بالفشل بعد أن همست لها الشقراء: «ابقي برفقتي لعشر دقائق».

تأسفت ميرسي على عشائها الذي برد الآن، بلا شك. لا بد أن وخزات الجوع وحدها هي المسؤولة عن شعور الغثيان الذي أصابها لدى استلقاء الشقراء على سرير أندريو. اقتربت ميرسي وجلست على حافة الفراش، ثم سألت المرأة: «ما الخطب؟».

يبدو بوضوح أن هنالك خطب ما، فالنساء الجميلات الواثقات بأنفسهنّ لا يبحثن عن رفقة الخادمات البسيطات إلا إذا كُنّ منزعجات قلقات، فلا يستطعن تحمُّل البقاء وحيدات برفقة مشاكلهنّ.

ردّت وهي ترفع كتفيها الرائعتين وتهزّهما قليلاً: «لا شيء لا يمكن حلّه... آمل ذلك».

ما إن خرجت كلمة «آمل ذلك» حتى علت وجهها مسحة توافق كئيبة، وبدت مستغرقة في التفكير. قالت لها ميرسي داعمة: «فكري بإيجابية. في كل مرة أواجه فيها مشكلة ما... وصدقيني لقد واجهت عدّة مشاكل...».

إلاّ أن تريشا تابعت كلامها غير مبدية أي اهتمام بمشاكل ميرسي الماضية أو الحالية، فقالت: «يمكنك كذلك أن تعلمي وهذا أمر معروف جداً، أن أندريو وأنا...».

أخذ صوتها يرتجف وهي تتابع: «... واجهنا انهياراً في علاقتنا. كان على وشك أن يسألني الزواج منه حينما حدث الأمر..».

أخفضت بصرها باتجاه ميرسي بشكل جانبي وتابعت: «هل تعرفين إن كان يقابل امرأة أخرى؟ هل تمكنت امرأة محتالة أن تقبض بمخالبها عليه؟».

اعترفت ميرسي وهي تشعر بالتعاطف تجاه تريشا: «ما من سبيل لكي أعلم».

فهي تستطيع أن تتفهم أن أي امرأة قد تقع في غرام ذاك الإيطالي المذهل، وتتفهم كذلك إذا أحسّت أية امرأة بأنها بائسة تماماً لاعتقادها أنها فقدته.

قالت لها مهدئة: «إن كان مغرماً بك، وعلى وشك أن يعرض عليك الزواج، فليس من المرجّح أن ينسجم مع امرأة أخرى بهذه السرعة. أليس كذلك؟ لا بد أنه شجار العاشقين، ولا شيء جدي. صديقتي كارلي تتشاجر دائماً مع صديقها دارن، ثم يعودان فيتصالحان. إنهما في الواقع على وشك الزواج. لذا، تمسكي بما هو إيجابي، أي بأنكما مغرمان ببعضكما إلى حد الجنون».

بما أن خطاب ميرسي المشجّع لم يترك أي تأثير في تريشا سوى منحها نظرة ازدراء غير مصدقة، وبما أن ميرسي كانت ترغب في تناول عشائها، نهضت واقفة على قدميها وقالت: «إنك رائعة وجميلة جداً، وهولن يخاطر بفقدانك بسبب اختلافٍ صغيرٍ في الرأي».

كانت قد وصلت إلى الباب حين تكلمت تريشا من جديد وقد أشرق وجهها بشكل واضح، فقالت: «أنت على حق، بالطبع. أنت محقة جداً، و.. ما رأيك بأن تحسني صورتك قليلاً؟ أيمكنك ذلك؟ قد يكون مزاجه معكراً بعد جلسة نهار الثلاثاء، ونحن لا نرغب بجعله أسوأ. أليس كذلك؟ لا أقصد الإهانة، لكنك بالكاد تبدين منظراً يسعد الرجل لدى عودته إلى المنزل. ألا تظنين ذلك؟».

جاءت تلك الملاحظة مؤلمة كوقع السوط عليها. شعرت ميرسي بالغضب وهي تمشي متثاقلة نزولاً على الدرجات. آه! ربما كانت تلك المرأة ببساطة تصرّح بما هو في منتهى الوضوح.

دفع أندريو أجرة السائق، ثم ركض بسرعة قافزاً فوق بلاط الرصيف، نحو منزله. وأخيراً وجدها! يا لتلك الفكرة العظيمة! الفكرة التي ستجعل وجبات كورونيت الجاهزة تباع بسرعة عن رفوف المخازن.

تمعّن أندريو بالمشروع الجديد، وراجعه بصورة جيدة من العمل المحموم، لكن أياً من أفراد فريق عمله لم يشعر بالحماس. اتفق الجميع على أنه موضوع كئيب وممل. كان هؤلاء قد اعتادوا على مشاريع تستهدف الأثرياء الفاتنين، فاعتبروا هذا الموضوع تحدياً جديداً، وهم لا يرغبون بالنهوض لمواجهته. من

الذي يرغب في التعامل مع شيء دنيوي عادي كالفطائر المثلجة والفاصوليا مع مرق اللحم اللزج؟ من عساه يستطيع جعل مواد مملّة كهذه تبدو عصرية رائجة أو حتى ملفتة للنظر، حتى لو كانت مصنوعة من موادٍ عضوية، قليلة الدسم، قليلة الملح، ومفيدة للإنسان بشكل ممل؟

أوضح لهم أندريو بكلماتٍ لاذعة: «نحن نستهدف سوقاً مختلفة. انسوا التألق. علينا أن نصيب ما هو مفيد، صحي وجيد بكل بساطة».

ثم طرأت له الفكرة... تماماً بهذه البساطة! ذاك التعبير الجدي النابع من القلب، تلك الشخصية الصغيرة الذليلة، وهي تطلب منه أن يتناول فطوره كما لو كان صبياً صغيراً عاقلاً! جلّ ما عليه فعله هو إقناعها. عليه أن يكلمها برقة إذا تطلب الأمر. بالطبع يمكنه استخدام شخص محترف لتأدية الدور، وذلك باستخدام أدوات التبرج مع بزة عمل واسعة وشعرٍ مستعار بالإضافة إلى كل ما يتطلبه الدور، لكن هاورد تبدو طبيعية بالفطرة.

أغلق أندريو الباب خلفه، ثم أخطره وقع خطوات متثاقلة أن المرأة موضوع أفكاره تسير نزولاً على الدرج.

علت ملامح وجهه ابتسامة عريضة فيما هو يراقب ميرسي. إنها مناسبة جداً للدور هكذا بثوب العمل الذي يغطيها، بشكلها المهمل وشعرها المنفوش وحذائها الكبير. يبدو ذلك مثالياً!

شعرت ميرسي ببعض الاضطراب ثم استعجلت مشيتها. من المفترض ألا يراها. فبحسب ما تقوله تريشا، إنها ليست منظراً قد يجعل الرجل مسروراً بعودته إلى المنزل، أو يرفع معنوياته. لكنه بدا في مزاجٍ جيد. كان يتكىء إلى الباب خلفه، وقد بدت بنيته الرائعة مسترخية. جعلتها ابتسامته تشعر بالرجفة، فتمايلت بشكل جلي وواضح.

- أما زلت تعملين، هاورد؟

هل يجدر به أن يفاتحها بالموضوع الآن؟ ربما لا. إنها تبدو متعبة، لذا فكر أن الصباح سيكون توقيتاً أفضل.

بدت نبرة أندريو الودودة مفعمة بالاهتمام القوي الدافىء، لكن ميرسي

تجاهلتها. تمنت لو أنه لا يناديها باسم عائلتها، فذلك الأمر يجعلها تشعر كأنها ليست من الجنس الأنثوي، بل كأنها تبعد سنوات ضوئية عن تلك الشقراء المستلقية على ذاك السرير في انتظار أندريو.

- أنا أوشك على الانتهاء، سيدي.

استجمعت ميرسي تفكيرها العقلاني. لماذا يهمها الاسم الذي يناديها به؟ فبالنسبة لأندريو هي ليست ذات جنس محدد. إنها غرضٌ تم استخدامه للمحافظة على نظافة منزله وغسل ملابسه الوسخة. نزلت الدرجات الأخيرة المتبقية، وأسقطت من حسبانها ملاحظة تريشا الجارحة، لأن المرأة بكل بساطة تشعر بالانزعاج والغضب، ثم أعلمت أندريو بالسر الذي تعرفه: «وصلت صديقتك الحميمة منذ فترة قصيرة».

ثم أضافت بجرأة كبيرة: «إنها في غرفة نومك، وهي متزعجة جداً بسبب مشكلتكما».

بدا الغضب مشتعلاً في النظرة التي وجهها نحوها، وهو يسألها: «تريشا؟».

ردّت ميرسي وهي غير قادرة على ردع نبرة الانتقاد البادية في صوتها قائلة: «بالطبع!».

تساءلت كم صديقة حميمة لديه، بحق السماء! ثم تابعت ناصحة إياه: «ما من داعٍ لأن تغضب، وأن تدخل في شجار معها. لا أعلم ما الذي سبب شجار العاشقين، ولا أرغب بمعرفته، لكن عليكما أن تتحدثا عن الأمر بهدوء، ثم تقبّلا بعضكما وتتصالحا. مهما يكن الأمر فهي ما زالت المرأة التي أردت الزواج بها، وهي مجنونة بحبك و...».

أحكم أندريو قبضته القوية حول معصمها، وقال: «اسكتي! هيا إلى الأعلى. أنا بحاجة إلى شاهد».

جذبها أندريو ليجرّها مجدداً إلى الطابق العلوي بسرعة بدت لها كسرعة الضوء، فشهقت ميرسي: «هل فقدت عقلك؟»

ثم سقطت على الأرض غير قادرة على الوقوف، وشهقت من جديد، فالتقطها أندريو بحركة فجائية سريعة، واضعاً ذراعه حول خصرها ليدعمها

ويجبرها على المتابعة.

في هذه الأثناء ردّ عليها وهو يصرّ أسنانه: «كلا. أنا فقط غاضبٌ جداً! عليك ألاّ تسمحي لتلك المرأة بدخول منزلي من جديد، وهذا أمر».

لم يكن باستطاعة ميرسي أن تردّ عليه، فقد سلبت أنفاسها منها بسبب إمساك أندريو بها إلى جانب جسده القوي الصلب. أحسّت برجليها تخذلانها وكأنهما تحولتا إلى هلام، كما أن هذا الموقف جعلها تستعيد ذاك الشعور الغريب المخجل الكامن في أعماق أعماقها. فكرت بجموح عندما أفلتها أندريو أمام باب غرفة نومه تماماً، لا بد أن هذا هو الشعور الذي ينتاب المرء عندما يلتقطه الإعصار. حدّقت في اللوحة المغرية المستلقية على السرير. تريشا بشعرها الكثيف المرتب بمهارة ومكر على الوسائد، في حين أن حاشية فستانها ارتفعت إلى الأعلى بشكل غير لائق وخالٍ من الحشمة. وحينما اقترب أندريو منحنياً فوقها، جاءت ردّة فعلها كالقطة التي تخرخر لدى مداعبة معدتها.

امتلأت عينا تريشا الحارتان الرطبتان بالغضب المجنون ما إن حطّتا على مرسي، التي كانت بدورها ما تزال منقطعة الأنفاس وترتعش بشكل غريب.

تحوّل الإعصار الآن إلى جبل جليدي، فبدت ملامح وجه أندريو المنحوتة بدقة فاترة، خالية من الشعور، مجردة من الرحمة، وهو يستخدم هاتفه النقّال. أما صوته فهمدر كعاصفة ثلجية قطبية وهو يعلم تريشا قائلاً: «سوف تصل سيارة الأجرة إلى هنا خلال خمس دقائق لتنقلك إلى منزلك. أقترح أن تنتظري قدومها خارجاً. علاقتنا الغرامية انتهت تماماً، وأنت تعرفين ذلك حق المعرفة. كان هناك احتمال بأن تنتهي هذه العلاقة بشكل ودّي، فأنت تعرفين شروط اللعبة. أما الآن، وبعد ما حدث، إذا ما حاولت الاتصال بي، أو الاقتراب مني لمئة ياردة أو أقل، فسوف أهينك وأصدر أمراً من المحكمة بجبرك على الابتعاد عني، وسوف تكون تلك صفعة قوية لك، حتى إنك لن تستوعبي ما الذي أصابك».

توجهت المرأة نحو الباب، فيما غطّى وجهها الجميل قناع من الغضب

الانتقامي الحقود. أما ميرسي فسقطت جالسة فوق الأغطية المكومة على حافة السرير السفلية، ذلك أنها ما عادت تثق بقدرة رجليها على حملها واقفة للحظة أخرى. شهقت قائلة وقد اتسعت عيناها الكبيرتان المليئتان بالإدانة والألم: «كان ذلك تصرفاً فظاً جداً!».

استدار أندريو نحوها فيما أومضت عيناه بشرارات من عدم التصديق، وثنى العبوس أحد حاجبيه. إلا أنها لم تقدر على الإنقياد للظلم أو تقبّله فتابعت قائلة ببسالة بغض النظر عن ذلك: «المرأة المسكينة هي ببساطة مغرمة بك، وهي لا تستحق ذلك النوع من المعاملة».

بعدئذٍ شعرت بالغثيان، فيما لفّها صمت جليدي ما جعل جلدها يخزها، وفكرت أنها لا شك ستفقد وظيفتها. تأنيبها وتوبيخها له يعتبر مقبولاً لو أنها كانت أحد موظفيه المسنين القدماء، أو أنها كانت تعتني به منذ ولادته.

إنها تقوم بوعظه وإعطائه الدروس حول تصرفاته السيئة، ولم يمضِ على وجودها في خدمته سوى يومين! لماذا لا تتعلم الاحتفاظ بأفكارها لنفسها؟ أخذت يدا ميرسي تلتفان بتوتر في حضنها.

تساءل أندريو بتكشيرة تنم عن عدم التصديق، بحق السماء! كيف تجرؤ ميرسي على مساءلته عن أفعاله فتعطيه المواعظ الأخلاقية، وتطلق من فمها هذا الهراء؟ فتح فمه ليقول لها بأن تغرب عن وجهه وأن تراقب كلامها من الآن فصاعداً، إذا ما رغبت بأن تتمسك بوظيفتها المريحة المربحة، لكنه عاد وذكّر نفسه بالخدمة التي يريدها منها، فقام بإغلاقه بدهاءٍ مجدداً.

قال لنفسه بإيجاز وهو يرخي كتفيه، إن امرأة ذات خلفية متواضعة وتتمتع بأفق ضيق مثلها، ليست لديها على الأرجح أدنى فكرة عن الموضوع. ما كان ليورطها في هذا الأمر المزعج، لو لم يكن بحاجة إلى شاهدة إذا ما اضطر إلى اللجوء إلى محضر ردع من المحكمة.

صرّ أسنانه قائلاً: «أنا آسف لأنك تعتقدين ذلك».

إنه ليس معتاداً على تفسير ما يفعله لأيٍّ كان، أما الآن فعليه أن يعضّ على جرحه. لاحظ متفاجئاً أن التوهج فارق عينيها المدهشتين، وأنها أخذت الآن

تنسحب كما لو أنها مداسة تحت الأقدام ومثبطة العزيمة.

خنق أندريو نوبة غضب أوشكت أن تنتابه، فغيّر رأيه وغضّ النظر عنها. لا سبب يدعوه لأن يشعر بالأسف نحوها، فهي قادرة حقاً على الدفاع عن نفسها. اضطر إلى تلقّي العديد من الدروس والمواعظ خلال الفترة القصيرة التي عملت فيها لديه، وذلك أكثر مما تحمّله طيلة سنوات عمره الواحدة والثلاثين!

بعيداً عن سيناريو العناق والمصالحة الذي فكرت به تريشا، سكب أندريو العصير في الكوب النظيف، ثم ناوله لميرسي قائلاً برقّة فاجأته إلى حدٍ بعيد: «اشربي هذا هاورد... سوف يساعدك على التعافي من المشهد المزعج الذي أجبرتك على حضوره».

أحسّت ميرسي كأن لدغة أصابتها، فأطبقت أناملها حول الكوب الزجاجي. ما عساه يظن بها؟ أيظن أنها من الفتيات التقيات المتدينات الميؤوس منهنّ، لمجرد أن والدها كان رجل دين؟

ردّت بشجاعة، وهي غير قادرة على تحمّل شفقته: «أنا بالفعل أرغب في تناول بعض العصير سنيور، كما أنني لا أضع غطاءاً على رأسي كما ترى».

تحرك فم أندريو الأنيق بطريقة مميزة، ثم قال: «حسناً! لأصحح لك معلوماتك... لم تكن لدي نيّة مطلقاً بالزواج من تريشا لوماكس، كما أنه ليست لدي نيّة بأن أربط نفسي بأية امرأة إذا صح القول، وتريشا تعرف ذلك تماماً. خلال علاقتنا الغرامية - التي اتضح أنها قصيرة المدى - كنت وفياً تماماً لها، أما بعد انتهاء هذه العلاقة، فلن تكون هنالك مشاعر ألم أو غضب. وقد قدمت لها هدية جميلة وقيّمة لأعبر عن احترامي وتقديري لها».

تساءل أندريو إن كانت لديها أية فكرة مطلقاً عن كيفية سير مثل هذه الأمور. تساءل بعد ذلك لما عساه يهتم، لكنه جلس إلى جانبها على حافة السرير، ثم أعلمها بجفاف: «هذه الترتيبات هي أمر شائع بين الناس».

بدأ رأس ميرسي يسبح، وأحسّت بالدوار لقربها منه إلى هذا الحدّ. تمتمت قائلة: «يبدو الأمر لا أخلاقياً بالنسبة إلي».

سيطر عليها شعور بالحذر والغرابة، وفكرت أنه يجدر بها مقاومة ذلك التوتر العصبي الذي يتملكها، ثم سألته: «هل فكرت بأن تلك المرأة المسكينة قد تكون واقعة في غرامك؟».

وتابعت مفكّرة أن ذلك ما ستفعله أية امرأة تتمتع بعينين تمكنانها من الرؤية وبجسد يتوهج بما يكفي من الحياة.

يا إلهي، ألهمني الصبر! أخمد أندريو رغبته التي تدفعه لأن يأمرها بألاّ تتفوه بهراء كالذي يؤمن به اليافعون الأحداث، فهو يحتاج إليها كي تقف إلى جانبه في الوقت الحالي. أجبر نفسه على الكلام من خلال أسنانه التي تضغط على بعضها، قائلاً: «المرأة التي تتمتع بمشاعر قوية وعميقة، كانت لتردّ العقد الماسي.. هدية الوداع والفراق، وما كانت لتتمسك بالحلى العديدة الباهظة الثمن التي حصلت عليها خلال الفترة التي كنّا فيها سوياً. الشيء الوحيد الذي أحبته تريشا لوماكس، عدا عن نفسها، هو حجم حسابي المصرفي. وهذا يقودنا إلى شرح مطوّل حول الأسباب التي دفعتها كي تعتقد بأنها قادرة على تغيير رأيي بخصوص الزواج».

كانت ميرسي على وشك أن تعلمه بأن تلك وجهة نظر بالغة الأنانية، لكنها صمتت فيما تابع أندريو كلامه من غير أن تبدو عليه أية لمحة من الشفقة على نفسه، فقال: «منذ بلغت أواخر سني المراهقة راحت النساء يرمين بأنفسهنّ علي. وبما أنني كنت فتى يافعاً يتمتع بالرجولة والاندفاع الطبيعي نحو النساء ظننت أنني في الجنة، إلى أن قام جدّي بتحذيري. جدي هو أكثر الرجال الذين عرفتهم حكمة، وقد حذرني قائلاً بأن القلوب التي تخفق داخل تلك الصدور المبهجة، هي مليئة بالجشع وحب الثروة. كان رجلاً ذا خبرة واسعة وقد أدرك أن ضخامة ثروة عائلة آل باسكالي تشكل إغراء للكثيرات. هو من علمني أن استمتع بتلك الكائنات الجميلة الرائعة من دون أن أقع في شباك إحداهن أبداً. قال لي: «تزوج فقط حينما تصبح حاجتك إلى وريث أمراً رئيسياً، لكن قم بانتقاء عروس تتمتع بثروة خاصة بها، ولو كان وجهها بشعاً كسلّة المهملات. فيمكنك الحصول على العشيقات الفاتنات بالعشرات مقابل

مبلغ زهيدٍ من المال».

تابع أندريو وهو يشفق على مدبّرة منزله، مسيئاً فهم تعابير وجهها المرتعبة: «لقد شعرت بالصدمة، أليس كذلك؟».

وثب بعدها واقفاً على قدميه، وأردف: «لكنني رغبت بأن تعرفي أسبابي، وبأن تكفّي عن اتهامي بجرح مشاعر المرأة وفطر قلبها. إن الفارق الوحيد بينها وبين غيرها من النساء هو أنها لم تلتزم بالشروط. قررت أن باستطاعتها إقناعي بالزواج منها، لكي تستولي على أموالي!».

أطلق أندريو تنهيدة تنم عن نفاد الصبر، فيما تصلّب جسمه فجأة. هو لم يقم بشرح أسبابه لأي كان من قبل، حسبما ذكّر نفسه مرّة سابقة خلال هذه الأمسية. إذاً لِمَ هذا التغيير الآن في عاداته التي لازمته طيلة حياته؟ لقد وظف هاورد لتكون مدبرة منزله، لتكوي جواربه.. أو مهما كان ما تقوم به، ولم يوظفها لكي يفسر لها أسلوب عيشه.

أرخى أندريو حاجبه وهو يلاحظ أن تينك العينين الزرقاوين الكبيرتين المدهشتين غدتا مشبعتين بالتعاطف معه. فكر أنه ربما يستطيع فعل شيء ما بخصوصهما، كوضع عدسات لاصقة بلون الوحل، على سبيل المثال.

هنأ أندريو نفسه وهو ينحني ليجلس إلى جانبها. أخيراً تمكن من إقناعها لتقف إلى جانبه. فبعد ما قد قاله لها، لا بد أنها ستغير رأيها بالقصة المحزنة التي ابتدعتها تريشا، ولن توجه إليه أية اتهامات تتعلق بالقساوة والفظاظة.

امتلأ قلب ميرسي بالشفقة عليه وبشعور آخر مختلف تماماً، فيما عاد ذاك الإيطالي المدمّر ليجلس إلى جانبها مجدداً على حافة السرير. شعرت بأسف شديد مؤلم على أندريو. مسكين.. مسكين هذا الرجل! إنه غاية في الروعة والوسامة والحيوية، فكيف يمكنه أن يصدّق أن أية امرأة لا يمكنها أن تغرم به لشخصه هو وليس لأجل حسابه المصرفي؟ بوسعها أن تخنق جدّه العجوز الفظ المتهكم لأنه زرع هذه الفكرة السخيفة في رأسه!

- هاورد..

- نعم، سيدي؟

رفعت ميرسي نظرها نحو فمه الذي أطلق تلك التمتمة المنخفضة النغمة، لكنها بسرعة عادت وحوّلت نظراتها. بدت عيناه لامعتين بوهج تام كالفضة الخالصة، تحت أهداب شديدة السواد. بدا تماماً كالرجل الذي يراقب هدفاً وضعه نصب عينيه.

تورّد خدا ميرسي بلونٍ جامح، ووبّخت نفسها على تفكيرها هذا، عندها تكلم أندريو قائلاً: «تخلّصي من كلمة سيدي هذه، ولنكن صديقين».

أحنى رأسه بحيث أصبح نظره موجهاً مباشرة إلى وجهها. هنا في حميمية غرفة نومه وفيما هو قريبٌ منها إلى هذا الحد، استطاعت استنشاق عطر ما بعد الحلاقة الخفيف برائحة الليمون الذي يضعه. شعرت بحرارة جسده، ما جعل أحشاءها تتلوى بتوتر. أخذ نفسها يخرج على شكل شهقات صغيرة غريبة، في حين أن جسدها بأكمله بدأ يخزها بطريقة لم تختبرها مطلقاً من قبل.

ابتلعت ريقها مجهدة، محاولة بجدّة أن تتمالك نفسها، فقالت: «حسناً!».

بالنظر إلى أسلوب حياته المعهود، لا بد أنه معتاد على النظر بهذه الطريقة إلى أية امرأة مهما كان عمرها. إنها مجرد عادة. كانت ميرسي منشغلة بوضع اللوم على جد أندريو الذي أوصله إلى مثل هذا التفكير، عندما قال أندريو بصوتٍ مخملي خافت بدا لها كأنه يقطر عسلاً: «الذي عرض أقدمه لك».

٣ - حلم يتلاشى

بذلت ميرسي جهداً كبيراً كي تبدو مشرقة ومهتمة: «وما هو؟».

فقد بدا لها ذلك صعباً جداً فيما هي تشعر بحرارة جسد أندريو القريب جداً منها. وأدركت لماذا ترتمي النساء عليه طيلة الوقت.

حاولت جهدها التركيز على ما يقوله.

- أريد أن تظهري في الإعلان الذي أعمل عليه.

لوهلة لم يكن بمقدور ميرسي سوى فغر فمها بانشداه تجاه أندريو. هل أثّر انشغال حواسها به على سمعها أيضاً؟ التقت عيناها بعينيه، فأنّت في سرها مدركة أن تلك غلطة كبرى. إنه ينظر إليها بتلك الطريقة مرّة أخرى، وعيناه المدهشتان تلتمعان بأضواء فضية ناعمة. ابتلعت ميرسي ريقها بصعوبة بالغة، وهزّت رأسها في محاولة لتنقيته من التشويش الذي حلّ به.

- ما الذي قلته؟

- قلت إنك ستكونين ملائمة تماماً للمشروع الذي أنا بصدد العمل عليه حالياً.

دُهِشَت ميرسي بشدة، وأصابها الارتعاش بسبب بهجتها، عندما احتضنت يداه ذات الأنامل الطويلة الصلبة وجهها برقّة، فرفعته ليواجه نظراته المتفحصة التي تحدق بها. فيما اشتعل جسدها بأكمله بالنيران، فأخذ يحترق ويرتجف في الوقت نفسه.

جالت عينا أندريو على كافة ملامحها، فوصلت ببطء إلى ما استطاع أن يراه من جسدها المغطى بقماش بذلة عملها الرمادية المتواضعة.

- سوف تقومين بدور صغير، لكنه محوري جداً في الفيلم الدعائي الذي نحن

على وشك تصويره. لن يتطلب الأمر سوى بضع ساعات من وقتك. . . . كورونيت. . . ستكونين مناسبة تماماً للدور. . .

أحسّت ميرسي بصوت أزيز غريب يطن داخل رأسها. إنها ببساطة ليست قادرة على استيعاب أوتحليل ما يقوله أندريو. بدا الأمر بأكمله غير قابل للتصديق إلى حدّ أنه لم تكن لديها أدنى فكرة كيف عساها تبدأ باستيعابه. وعندما ذكر لها قيمة الأجر الذي سيدفعه لها، والتي بدت لميرسي ضخمة إلى حد الجنون، لم تستطع إلاّ أن تبلع ريقها باهتياج شديد بسبب عدم التصديق. نصحها أندريو قائلاً: «فكري بالأمر».

رفع أندريو بنيته الصلبة ليقف بسهولة من دون أي مجهود، ثم أمسك يدي ميرسي وجذبها لتقف على قدميها، فاحتك جسدها به وهي تنهض. جعلها ذلك الأمر ترغب بيأس حقاً بالعودة فوراً إلى الجلوس من جديد لأن رجلاها خذلتاها.

أما أندريو فعبر الغرفة بخطوات واسعة مليئة بحيوية نحو الباب، فأمسكه مفتوحاً لأجلها، ثم منحها تلك الابتسامة الساحرة تماماً.

- إذا ما وافقت على الأمر، فأنت ستؤدين لي خدمة كبيرة. فكري بالأمر هذه الليلة، وسوف نناقش التفاصيل عند الصباح.

اضطرت ميرسي إلى استدعاء كل ما بقي لديها من قوة الإرادة لتتمكن من الوقوف والبقاء مستقيمة ثابتة نوعاً ما، فيما غادرت الغرفة متوجهة إلى سريرها. في ذلك الوقت هجرتها جميع الأفكار التي وعدت نفسها بها كالعشاء والحمام الساخن، وذلك تحت وطأة حاجتها الملحّة للبحث عن النسيان. وعدت نفسها وهي ترتجف، بأنها سوف تعيد النظر وتفكر ملياً بما حدث بالضبط في غرفة نوم أندريو هذا المساء. لكن ذلك سيحدث حينما يصحو ذهنها من تأثير الصدمة.

* * *

صرخت كارلي مذعورة: «أوه. . . ! واو!».

أبعدت ميرسي الهاتف النقال عن أذنها بسرعة، وغيّرت جلستها في أحد

المقاعد المريحة ذات المسندين الموجودة في غرفة جلوسها الخاصة. ثم عادت إلى متابعة الحديث بعد أن تأكدت من أنها لم تعد تواجه خطر تمزق غشاء طبلة أذنها.

قالت معترفة: «أنا لم أستوعب الأمر بالشكل الصحيح مساء الأمس. كنت... مأخوذة بالأحداث و...».

ثم تابعت تسرد لكارلي تفاصيل ما حدث، لكنها حذفت إحساسها الغبي الذي دفعها إلى الاعتقاد لوهلة بأنه كان على وشك أن يعانقها.

أشرقت ملامح ميرسي بابتسامة دافئة، وتابعت: «لكنه أوضح الأمر هذا الصباح عندما أخذت له فطوره».

بدا مشمئزاً حقاً في بادىء الأمر، لكنه تناول كل قطعة من الوجبة بعد أن قالت له بحزم شديد إن السمك مفيد جداً للدماغ.

تابعت ميرسي سرد ما سيحصل معها: «عليّ أن أتوجه إلى الاستديو يوم الإثنين القادم، فأضع نفسي بين أيدي أولئك الذين يهتمون بالتبرّج والملابس، بعدئذٍ سيبدأون تصوير دوري في وقت ما من منتصف النهار. من الواضح أن ذلك مرتبط بتصوير الموقع. كما أنه سيدفع لي مبلغاً طائلاً، وهكذا سأتمكن من تحويل مبلغ إضافي إلى جيمس. يمكنه أن يتخلّى عن استدانة المزيد من القروض الطلابية في المستقبل القريب».

زفرت كارلي مطلقة تنهيدة: «لا أصدق هذا!».

استودعتها ميرسي سرها قائلة: «لا، ولا أنا. من يظنُّ أنني نموذج مناسب تماماً لإعلان تلفزيوني...».

صححت لها كارلي بحدّة لاذعة: «أعني أنني لا أصدق أنك لا ترغبين بصرف جزء من ذلك المبلغ لشراء أشياء جميلة لنفسك، فمنذ معرفتي بك وأنت تضعين نفسك وما ترغبين به في آخر قائمة الأولويات! لكنني أفترض أن كلامي لن يجعلك تغيرين رأيك».

خفّت نبرة كارلي الحادة قليلاً، ثم تابعت: «وأعتقد أنك تشكلين نموذجاً رائعاً. لا بد أن رب عملك الحذق ألقى نظرة متفحصة عليك، فرأى

الإمكانيات التي تملكينها. ألم أقل لك دوماً بأنك يمكنك أن تكوني رائعة الجمال وفاتنة، لو أنك اهتممت بمظهرك الخارجي أكثر؟ فقط لو أنك تتوقفين عن شراء تلك الأشياء الكئيبة الموحشة التي تبتاعينها من متاجر الصدقات، وتصففين شعرك كما ينبغي، وتسمحين لي بالاهتمام بتبرجك... من الواضح أن أندريو نظر إليك فرأى فتاة تصلح لصنع نجمة!».

جاهدت ميرسي كي لا تصيح مستهجنة ذلك السيناريو غير المحتمل. ما ليث كارلي أن استأنفت كلامها قائلة: «ما رأيك بدعوتي إلى زيارتك خلال أحدى الأمسيات؟ أراهن على أن منزله رائع، وأنا أتوق لرؤيته من الداخل! حسناً! ما هي السلعة التي يروج لها الإعلان الذي ستشاركين فيه؟».

اعترفت ميرسي وهي تشعر بالغباء: «لست متأكدة. ذكر لي شيئاً بخصوص كورونيت ليلة أمس، ولم أرغب بأن أطلب منه تكرار ما قاله هذا الصباح. فذلك سيجعله يظن بأنني لم أكن أصغي إلى أية كلمة قالها لي».

وذلك ما حصل بالفعل. فهي لم تسمع أية كلمة قالها، لأنها لم تكن قادرة على ذلك، للأسف.

قالت كارلي بتأنٍ: «كورونيت... لو أنها ماركة عطر ثمين أو تبرج على وشك أن تغزو السوق لسمعت بها بلا شك. مهما يكن، لا بد أنه شيء ساحر ملفتٌ للنظر! أتظنين أنها مجوهرات؟ فوكالته مشهورة بالتعامل مع المنتجات الراقية الشديدة التألّق. إنهم لا يتعاطون مع المنتجات الكئيبة البائسة كمساحيق الغسيل والمنظفّات!».

أنهت ميرسي مكالمتها، وتكورت على نفسها، ثم انغمست في أحلام يقظة استوحت مواضيعها مما قالته لها صديقتها، وذلك بعد أن أصغت إلى المزيد والمزيد من تعليقات كارلي المستفيضة، ومنها على سبيل المثال أن وجه ميرسي سوف يصبح وجهاً معروفاً. من غير أن ننسى ذكر الثروة التي ستتمتع بها ميرسي إلى ما هنالك... ختمت ميرسي المكالمة بعد أن وعدت صديقتها بأن تطلب إذن أندريو لكي تدعوها لزيارتها خلال إحدى الأمسيات.

أمن الممكن حقاً أن يكون هذا الرجل الإيطالي الأسطورة الفائق الجمال

الذي يتمتع بكاريزما رائعة، قد لاحظ فيها هي شيئاً ما، شيئاً تمنعت المرآة عن إظهاره لها؟ أيعقل أن يكون قد نظر إليها كما ينظر الرجل إلى امرأة يرغب بها؟ أتراه حقاً أوشك على معانقتها، لكنه تراجع عن ذلك خشية أن تفسد هذه الخطوة علاقتهما العملية؟

عادت ميرسي إلى رشدها، فطمست تخيلات الفتاة المراهقة، قائلة لنفسها إنها لم تقع أبداً فريسة لهذه النزوات التافهة من قبل، وهي لن تفعل ذلك الآن.

قالت لنفسها بحزم وقد استعادت رشدها، إنها في أي حال لن ترغب بأن يعانقها أندريو، أليس كذلك؟ لاشك أنه بارع بذلك، لكن أي فتاة تتمتع باحترام لذاتها وتمتلك نصف عقل في رأسها، لن ترغب بأن يغازلها رجل يتمتع بأخلاق قط مهتاج.

* * *

جلست ميرسي أمام مرآة فخمة، وقد بهرتها الأضواء اللامعة التي تسطع مباشرة في وجهها. بالكاد تمكنت من احتواء حماسها وتهدئة أعصابها التي جعلت دماءها تفور.

اختفى أندريو بعد أن أوصلها مباشرة، في حين احتشد الموظفون المسؤولون عن التبرّج والملابس في مدخل الباب. خلال فترة انتظارها في هذه الغرفة، تجوّلت بالقرب منها بعض النساء الودودات جداً، واللواتي لا يرتدين سوى القليل من الملابس، بالإضافة إلى رجل أشقر يشبه عارضي الأزياء. راحت ميرسي في هذه الأثناء تتساءل ما الذي يفترض بها أن تقوله أو تفعله.

أبعدت تلك الأفكار بدهاء من رأسها، فهي لم تساعد إلاّ في زيادة درجة توترها، وزيادة اقتناعها أكثر من قبل بأنها غير قادرة على التمثيل، وبأنها سوف تطرد من موقع التصوير فتخسر المبلغ الضخم الذي سيدفع لها، ذلك المبلغ الذي أملت أنه سيساعد جيمس إلى حدٍّ كبير. عند هذه النقطة حولت تفكيرها نحو أفكارٍ أكثر هدوءاً.

بدأ ربُّ عمل ميرسي يتصرف بلطافة ومرح منذ أن وافقت على القيام بما

طلبه منها. أصبح أندريو يعود إلى المنزل لتناول العشاء مساء كل يوم، ثم يدعوها للانضمام إليه، فيفتنها بمزاحه الجاف. حتى إنه لم يبدِ أيّ انزعاج على الإطلاق من جهلها المطلق حيال موضوع الأمول الضرورية لشراء لوازم المنزل. فببساطة وجّه لها تلك الابتسامة الملتوية الفاتنة، وشرح لها: «كانت كنوكس تطلب ما تحتاج إليه من متجر هارودز. كل ما عليك فعله هو رفع سمّاعة الهاتف وطلب الأغراض التي تحتاجين إليها، وسيتم إيصالها إلى المنزل، ثم اتركي لي أمر دفع الفواتير».

وتأوّهت ميرسي وهي غير قادرة على تمالك نفسها، فقالت: «يا له من تبذير! يمكنني أن أتسوق بنفسي، فأشتري الأغراض بسعرٍ أوفر بكثير. لدي ما يكفي من وقت الفراغ كي أتوجه إلى الأسواق وأجد ما يلزمني! أما سمعت المثل الذي يقول إن عليك أن تعتني وتهتم بكل قرشٍ تصرفه، وبعدئذٍ سيهتم كل قرش بنفسه؟».

ألقى أندريو رأسه الوسيم إلى الوراء، وكاد ينفجر من شدّة الضحك، ما جعل ميرسي تصاب بالارتباك. تورّدت وجنتاها خجلاً وصولاً حتى أطراف شعرها، بعدئذٍ فكرت أن الأغنياء الفاحشو الثراء ليسوا بحاجة إلى إزعاج أنفسهم وتضييع وقتهم على أمور تافهة زهيدة، مثل كيفية توفير مقدار ضئيل من المال. في المستقبل سوف تبقي فمها مغلقاً في ما يتعلق بمواضيع التوفير والاقتصاد.

اعتقدت ميرسي أنهما انسجما مع بعضهما بشكل جيد واستثنائي، بالنظر إلى سير الأمور على هذا النحو. كما أنها تخطّت مشكلة سذاجتها. بالطبع، هي ما زالت تعتقد بأنه رجلٌ جذابٌ جداً، فأي امرأة لا تظن ذلك؟ إنه شخصٌ غريبٌ متميزٌ جداً. فهو يشبه الطاووس الذي يختال بين سرب من الأوزات الرمادية اللون، وهي تجده مدهشاً وساحراً بشكل قوي. لن تكون إنسانة ذات مشاعر وأحاسيس إن لم تفعل ذلك. لكن ذلك لا يعني أنها مهتمة به كما تهتم المرأة بالرجل... آه!

لكن ميرسي جالت أحياناً بأفكارها في عالم أحلام اليقظة فتصورت نفسها

مع ربّ عملها، وتصورت أنه يراها امرأة جذابة عوضاً عن هاورد العجوز المملة. في الواقع، هي لن تستطيع لوم نفسها تماماً الآن، ليس بعد أن يحصل التغيير السحري المنتظر لشكلها الخارجي خلال وقتٍ قريب. أي بعد أن يتم تسليمها إلى امرأتين شابتين لتعملا على تغيير شكلها، فتصبح آية من الجمال بفضلهما وبفضل إضاءة الاستديو الحذقة.

اختطف ميرسي من أحلام اليقظة شاب نحيل الجسم طاف بالقرب منها. ثم دفع إليها بكدسة من الأوراق، قائلاً لها: «هذه لك».

سُحبت ميرسي بقوة خارج مجال خيالها المهدىء للأعصاب، فاستنتجت أن هذه الأوراق هي نصّ سيناريو أو ما شابه. أما العنوان المطبوع فهو: «وجبات كورونيت الجاهزة».

اطّلعت ميرسي بسرعة على النص، وهي تأمل ألاّ يكون لديها العديد من الأسطر لتحفظها. لكن ما هي إلاّ لحظات حتى وصلت حرارة دمها إلى برودة الجليد ثم ارتفعت محلقة إلى درجة الغليان.

لم يكن يفترض بها أن تقول أية كلمة.

جل ما عليها فعله ببساطة هو الوقوف هكذا بشكلها المهمل العادي، فيما يمرُّ الرجل الذي يشبه عارضي الأزياء، متجاهلاً تضليل مجموعة من الفتيات الشابات الجميلات وخداعهن، كما يتجاهل إغراء العديد من المطاعم الفاخرة، فيقفز مستقلاً سيارة الفيراري خاصته ليقود مسرعاً إلى حيث تقف هي، الفتاة البشعة المهملة التي تقدم وجبات كورونيت الجاهزة، فتكسب نظرة إخلاص وتقدير من قبله!

أحسّت ميرسي بالغثيان وبالغضب الشديد. تلك هي الطريقة التي يراها بها أندريو باسكالي! مملة، مهملة، وبكل صراحة... بشعة!

كم تكرهه!

كيف عساها شعرت بهذا الغرور الفارغ الذي جعلها تحس بالإطراء حين فعل المستحيل بل كاد يتوسل إليها لتظهر في هذا الفيلم الدعائي البغيض؟ حتى إنها صدّقت كارلي إلى حدٍّ بعيد حين تدفّق على لسانها الكلام حول أندريو الذي

رأى في ميرسي الإمكانيات المختبئة! انغمست في أحلام يقظة سخيفة مضحكة، سببت لها الاحراج بمقدار ما أشعرتها بالحماس. كم تكره نفسها!

لا عجب إذاً أنهم تركوها تنتظر مطولاً، فيما راحت الفتيات الجميلات يصوّرن في الموقع. أوشكت ميرسي أن تهبّ خارجة من هناك، فتترك أندريو باسكالي ليبحث عن شخص آخر بمثل قبحها، لكنها رضخت على مضضٍ وهدأت أعصابها وهي تصر أسنانها. لا يمكنها أن تفوّت فرصة مساعدة جيمس بشكل فعّال، مهما كانت مشاعرها الخاصة.

نظرت الفتاة الشابة المرحة التي تعمل في التبرج إلى انعكاس صورة ميرسي في المرآة، وقالت لها: «نأسف لأننا أبقيناك منتظرة. أترغبين بتناول القهوة أو شيء ما؟».

هزّت ميرسي رأسها نفياً، لأنها لم تثق بنفسها كي تنطق بأية كلمة. خشيت أن يبدو كلامها فظاً متوحشاً إن فعلت.

- إذاً سوف نبدأ العمل.

تمتمت ميرسي وقد خمد غضبها فجأة: «لن يكون عليك فعل الكثير».

حل محل الغضب شعور غير مرغوبٍ فيه من الألم اليائس في مكانٍ ما من قلبها.

ردّت الفتاة بمرح: «هذا ما تظنينه فقط! وبالمناسبة أنا تريكسي».

ثم التقطت علبة من البلاستيك بلون حلوى التوفي، وتابعت: «يتمتع شعرك بلونٍ رائع جداً وهو في حالة متألقة».

ثم أخرجت قبضة ملآى بالجيلاتين وقلت: «هذا سوف يجعله باهتاً ملبّداً. لا تقلقي، فهو يزول عند الغسيل».

قالت تريكسي ذلك مطمئنة إياها فيما جذبت شعر ميرسي المربوط في عقدة عند أسفل رقبتها وتابعت: «تذكري أن الموضوع الأساسي لهذا الإعلان هو عن الطريق المؤدي إلى قلب الرجل. فبالرغم من المغريات المعروضة أمامه، يبقي الرجل عينيه فقط على زوجته المملة البدينة المهتمة، خصوصاً عندما يعلم أن بإمكانه العودة إلى منزله لتناول وجبة كورونيت الجاهزة».

شعرت ميرسي أن الهيستيريا تهددها، فغرقت في نوبة من الضحك المجنون، وما لبثت أن هدأت لكي يتم وضع كريم أساس باللون الباهت على وجهها. كما وضعت على أنفها نظارتين بعدستين عاديتين ذات إطارٍ غامق. بعدئذٍ قام المسؤولون عن الملابس بتثبيت شيء يشبه الوسادة حول وركيها، قبل أن يلبسوها فستاناً من اللون التبني أشبه بالكيس الواسع.

ها قد ذهب التألّق والجواهر الرائعة، وتلك السيارة الرياضية التي حلمت ميرسي بأن تركبها وهي ترتدي ملابس أنيقة حسنة الذوق، بعد أن تتحول بسحر ساحر إلى امرأة فائقة الجمال تصعق الرجال. أما الآن فراح أندريو يقول وهو ينظر إليها بفخر: «يا إلهي. إنها مناسبة تماماً!».

بالإضافة إلى أشياء من هذا القبيل، فيما هو يشعر بالتملّك تجاه تلك المخلوقة الرائعة التي أبدعها!.

إنها تستحق هذا الإذلال الذي سببته لذاتها، لأنها سمحت لنفسها أن تسترسل في أفكارها.

بدت اللقطة الثالثة مناسبة تماماً بعد لقطتين كارثيتين، حيث بدت هاورد في مزاج سيء. بدت ميرسي كما لو أنها ترغب برمي الطبق الذي يتصاعد منه البخار مباشرة في وجه أحدهم، وقد قيل لأندريو إنها وجبة من القنبيط المغطس بنوع من الصلصة.

من العبوس الذي قذفته ميرسي نحوه استنتج أندريو أنها تود رمي الطبق باتجاهه هو، فأمرها بكلمات لاذعة قائلاً: «ابتسمي، فأنت تقدمين لزوجك وجبة صحية لذيذة، ولست تسألينه لما نسي إصلاح مجاري الماء يا امرأة!».

لحسن الحظ، أخذت ميرسي تعليماته على محمل الجد. كان أندريو على وشك أن يفقد صوابه بعد أن وصل الأمر إلى حدّه النهائي، فخمّن أنها تذكرت الأجر المرتفع الذي ستحصل عليه، لذلك نفّذت ما طلبه منها. لاحظ عندها أندريو - ولم تكن تلك المرة الأولى - أنها تتمتع بابتسامة جميلة حقاً، وهنأ نفسه على ما حققه، فقد بدت ميرسي حنونة مهتمة ومفيدة، من دون

أي أثر للتصنّع. مفيدة وصحية! إنها بالضبط ما أراده أن يرتبط بشكل تام مع المنتج. ذلك يؤكد مجرى أحداث القصة؛ الرجل الحقيقي يختار ما هو جيد صحي، مفيد وبسيط، بدلاً مما هو متميّز متألق جذاب وسطحي.

قال أندريو لميرسي وهو يسير إلى جانبها لتعود إلى غرفة التبرج: «سأمرّ لاصطحابك بعد نصف ساعة».

ثم تساءل لما تراها لا تثرثر كم تفعل عادة، أو حتى تحدّق في وجهه بتينك العينين الواسعتين ذات اللون الأزرق الغامق. بدت متلاشية ومستاءة وهي تمشي متصلبة، كما بيّن له مظهرها الجانبي. فكّر، أيكون السبب في ذلك تبرّجها الشبيه بالطين الذي غطّى ملامح وجهها العادية؟ أم لعلّها حرارة الأضواء؟ عليه أن يتذكّر بأنها ليست محترفة في هذا المجال. لا بد أنها على الأرجح كانت تجربة مشحونة بالنسبة إليها خصوصاً حينما فقد صبره فصرخ في وجهها.

قال لها وهو يُدخلها عبر الباب: «كنت رائعة».

فكّر أنها ببساطة تحتاج إلى التطمين، فتابع: «عملٌ جيد، هاورد!».

ثم استدار ليعود إلى مواجهة فريق المصورين، فأبعدها من ذهنه بسرعة.

إنه جردٌ متملّق!

فجرت ميرسي غضبها نحوه بصمت، فيما خضعت إلى عملية تنظيف وجهها من المساحيق، وغسل الجيلاتين عن شعرها. أخذت تصب غضبها عليه بدلاً من تأنيب ذاتها لأنها حلمت به وهو يقوم بتمثيل دور بيغماليون فيحولها إلى شيء آخر، لا يمكن أن تصبح عليه أبداً.

كانت قد أصبحت جاهزة ومستعدة للمغادرة حينما دخل أندريو عبر الباب. فقد ارتدت مجدداً بذلتها الرمادية المملة، في حين عاد شعرها إلى سابق عهده: كعكة من اللفافات الشبيهة بأداة نزع الفلينة عن الزجاجة. أما وجهها فأصبح زهرياً بسبب الإذلال الذي تعرضت له حديثاً. لكن أندريو دخل واثقاً بنفسه تماماً، مرتدياً بذلته الرسمية الأنيقة، مع حذائه الذي تمّت صناعته يدوياً، ما جعله بالطبع محط أنظار تريكسي وتحديقها الواضح، أما ميرسي فلم تنظر إليه مطلقاً.

تخطّي الأمر! أنّبت ميرسي نفسها فيما لوّح أندريو باستبداد لسيارة أجرة، ثم أدخلها إليها. لقد انغمست في الأوهام، فتركت عقلها خلفها من حين إلى آخر. من الآن فصاعداً، لن تقع مجدداً فريسة الخيالات والأوهام.

بعد مرور عشر دقائق وجدت نفسها أمام مطعم يبدو راقياً، بينما دفع أندريو أجرة السائق. خرجت الكلمات من فمها كالاتهام، فيما أجبرت نفسها على النظر إلى الأعلى باتجاهه قائلة: «ما الذي نفعله هنا؟».

أطبقت يده الحازمة على مرفقها، وقال: «نحن على وشك تناول الطعام. كان نهارك متعباً هاورد. إن تقديم العشاء لك هو أسلوبي في تقديم الشكر لك شخصياً على ما قمت به، عوضاً عن تركك لكي ترهقي نفسك أمام فرنٍ ساخنٍ حتى تطعميني».

اعترضت ميرسي وهي تحرك قدميها في الحذاء ذي الربائط، وترفعهما إلى الرصيف، قائلة: «ما من داعٍ لذلك، فأنت تدفع لي لأعدّ لك وجبات طعامك».

لم تأبه إن كان ما تقوله يبدو خالياً من التهذيب. تابعت كلامها من دون أن تفكّر فيه: «أنا لا أرتدي ملابس تليق بتناول العشاء في أي مكان أنيق!».

لم تكن في مزاجٍ يسمح لها بالجلوس إلى طاولة العشاء مع رجلٍ يراها ككتلة من اللحم مملّة وبشعة، فتلك الفكرة عذّبتها بشدّة.

شكّل فمه الساحر خطاً مستقيماً ينم عن السلطة ثم قال: «لا تكوني سخيفة، هاورد».

ثم اشتد ضغط يده وهو يدفعها لتسير إلى الأمام، وتابع: «إنك تبدين بمظهر جيد. وفي أي حال، لا أحد سينظر إليك».

ولم يفعل أحد ذلك فعلاً. بل استدارت الرؤوس نحو أندريو فيما خطا إلى داخل ذاك المكان ذي الأجواء المتميزة. تابعت ميرسي التقدم برفقة أندريو نحو إحدى الطاولات، فيما استدارت نحو مرافقها رؤوس نساءٍ ذات عيون مفتوحة بإعجاب، ورؤوس نساءٍ ذات شعر تم تصفيفه لدى أخصائيي التزيين، رؤوس تعتلي أجساداً رشيقة نحيلة وجميلة اللباس.

ارتعدت ميرسي فاقشعر شعر بدنها. أحسّت كأنها فيلة تتحرك متثاقلة بين قطيعٍ من الغزلان الرشيقة، أما أندريو فأرشدها، واضعاً إحدى يديه بحزمٍ على ظهرها. عندها اصطدمت حقيبة يدها الضخمة بكتف رجلٍ يرتدي بذلة سوداء، فاندفعت الشوكة من يد الرجل المسكين وطارت في الهواء، ثم داست ميرسي عليها. تمنّت عندها لو أنها تختفي عن وجه الأرض في نفخة دخان، فلا يراها أحد مجدداً. لم تقدر ميرسي على التوقف عن تقديم الاعتذارات للرجل، إلى أن أومأ أندريو للنادل، وأضاف اعتذاره الخاص بصوتٍ خافتٍ، ثم حثّ ميرسي على المتابعة نحو طاولتها.

استقرت في المقعد الذي أمسكه لها النادل، فيما شعرت أن وجهها يشتعل بألسنة النيران، ولم تعد قادرة على الكلام لأنها كرهت رب عملها على توازنه وطريقة مشيه وجلوسه. كرهته بسبب أناقته ووسامته ورشاقة جسمه ونحافة خصره. كرهته بسبب إصراره على تناولهما العشاء هنا. كرهته لأنه بهذه الروعة!

ما إن استقر أندريو في المقعد المقابل لها، حتى سلّمها النادل قائمة الطعام التي كانت بحجم صفحة واسعة، فشعرت ميرسي بدافعٍ غريزي لأن تختبئ خلفها، إلاّ أنها لم تفعل.

اسقطتها على الطاولة ثم حملقت أمامها. متخطية قائمة الطعام التي كان أندريو يحملها إلى امرأة شقراء مصقولة تماماً تحدّق فيها، ثم تشيح بنظرها بعيداً لتقول شيئاً ما لرفيقتها. ابتسمت تلك الرفيقة بدورها ابتسامة عريضة جداً، ثم ألقت نظرة سريعة جداً على ميرسي، ثم قالت شيئاً ما جعل الشقراء ترتعش من شدّة الضحك.

أحسّت أنها بحالٍ أسوأ، عالمة أن وجهها قد أصبح بلون الشمندر المخلّل. لكن أندريو أخفض قائمة الطعام التي كان يقرؤها، فلاحظ تعابيرها المتمردة، لذا طلب الطعام لكليهما.

إلاّ أن ميرسي ما عادت قادرة على احتواء مشاعرها لفترة أطول.

- خذني إلى المنزل!

راقب أندريو مدبرة منزله بثبات، محاولاً جهده ألاّ يبتسم، فقال: «لماذا؟».

بدا وجهها أحمر اللون. أتراها تشعر بالحر الشديد في تلك السترة غير اللائقة؟ بدا فكّها متصلباً، فيما التصقت شفتاها ببعضهما في عبوس واضح. كان أندريو ليستجيب فوراً لو أن أية امرأة غيرها طلبت منه هذا الأمر، ولرافقها إلى منزلها بكرامة، ليحذفها بعدئذٍ من ذهنه ويسلمها للنسيان من غير تردد، أمّا هاورد فهي تمتعه وتسليه، وهذا أمر يحصل معه للمرة الأولى في حياته.

كنوكس كانت صارمة قاسية، لا تتحدث إلاّ إذا تم توجيه الكلام إليها، وكانت تنظر إلى أولئك النسوة المثيرات اللواتي شاركن أندريو أوقات فراغه على أنهنّ مثيرات للغيظ والاستفزاز، وفي النهاية مملات.

لا يمكن أن يصف أحد هاورد بأنها أنيقة أو جذابة، لكن قدرتها العفوية على تسليته وإمتاعه، جعلته يرغب بممازحتها. انحنى أندريو إلى الأمام قليلاً، واستخدم أكثر أساليبه تملقاً وخفّة ليقول لها: «ألا يعجبك المكان هنا؟».

بحثت عيناه في ملامح وجهها الصلبة القاسية، وهو يرغب في رؤية تلك الابتسامة الجميلة.

لم تتجسد تلك الابتسامة، بل تفجّر غضبها على شكل همهمة وهي تقول له: «أتراك تتعمّد إغاظتي، أم أن جرحك لمشاعر الآخرين أمر تقوم به بشكل فطري طبيعي؟».

راقبت ميرسي وجه أندريو الذي أصبح ساكناً. ساكناً جداً. فسألها برقة فيها شيء من الغيظ، بينما انصب نظره عليها، قائلاً: «ما الذي تقصدينه؟».

أدركت ميرسي أنها على الأرجح قد أوقعت نفسها في ورطة كبيرة، فلا أحد... لا أحد يمكنه الإفلات بانتقاده لأندريو باسكالي، ثم يأمل بتفادي العقاب الناتج عن ذلك. لكن ذلك لم يوقف ميرسي عن قول ما تريده، فهي لم تعد تأبه لأي شيء الآن. فقالت: «هذا...».

لوّحت ميرسي بإحدى يديها بجموح، كادت تقلب الزهرية الرائعة الموجودة

على الطاولة بينهما والتي تحوي وردة حمراء وحيدة. ثم تابعت ما أرادت قوله: «هذا المكان، وأنا التي أبدو... أبدو... كما أنا! والناس الذين يسخرون مني.. وأنت الذي أردت مني أن ألوّح بصحنٍ من الطعام في فيلم دعائي، لأنني أناسب ما رغبت به: بشعة ومملة!».

اغرورقت عينا ميرسي بدموع غير مرغوبة. إذ شعرت أن جميع الموجودين في هذا المطعم سمعوا كل كلمة تلفظت بها. فكان ذلك إذلالاً جديداً مضافاً إلى ما تعانيه.

أجفل أندريو لكلامها، فمد يده عبر الطاولة ممسكاً بإحدى يديها، ثم فكّ برقة أناملها المقبوضة وقال: «لا تقولي ذلك!».

لاحظ كيف اتسعت عيناها الكبيرتان الغاضبتان اللامعتان تحت تأثير ملامسته لها، وكيف استنشقت نفساً متقطعاً، كما لو أنها أوقفت ما كانت على وشك أن تنطق به في اللحظة التالية. مسكينة هاورد! ضايقته فكرة أن يؤذي مشاعره وآلمته، مع أنه لم يقصد ذلك مطلقاً. يا له من أمر غريب! عقد أندريو حاجبيه استغراباً، فقلّما كانت مشاعر الآخرين تهمه، وهو لم يضطر إلى مراعاتها أبداً.

قال: «إنك لست بشعة أبداً!».

فيما أبعدت ابتسامته المغرية ذاك العبوس من وجهها. تابع مفكراً: إنها بسيطة، عادية، مهملة، ولا تتمتع بذوق في اختيار الملابس مطلقاً. لكنه قال لها مكرراً نفسه: «لست بشعة، وأنت حتماً لست مملة».

ربح المعركة تماماً كما كان واثقاً أنه سيفعل. بدأت كتفاها بالاسترخاء، وأخذت عيناها ذات الزرقة المدهشة تذوبان شيئاً فشيئاً، فلم تعودا تطلقان الخناجر باتجاهه!

– رأيت فيك امرأة مفيدة، مهتمة وحنونة، تقدم لزوجها وجبته الصحية المفضلة. إنك تتمتعين بروح منزلية عائلية يفضّلها الرجل الحقيقي على أولئك النسوة التافهات الأنانيات اللواتي يقلن دوماً أنا... أنا... أنا!.

حسناً! ذلك جزءٌ من الحقيقة، فكر أندريو مهنئاً نفسه بابتهاج. سوف يترك

لديها ردّة فعلٍ معاكسة لو أنه شرح ما يفكر به حقاً، بأن أي رجلٍ يسهل التحكم به إذا ما قامت امرأة بسيطة بإطعامه ذاك المنتج. لكن بما أن ذلك غير مهدىء بالنسبة إليها، فمن المرجّح أن تنطلق ميرسي خارجاً، فتوقع الأطباق والطعام وأدوات تناول الطعام والأكواب عن الطاولات، بتلك الحقيبة المنتفخة.

استغل أندريو فرصة صمتها وهدوئها، وتوقف فمها عن إطلاق الكلام، فرقّت معانيه بعيداً عن ذاك الخط من التجهم، وضغط مرّة أخيرة على يدها قبل أن يتركها ويقول بصدق: «أحضرتك إلى هنا لأوفر عليك عناء طهو الطعام، خصوصاً بعد أدائك الرائع بعد ظهر هذا اليوم. كما أن الطعام الذي يقدمونه هنا ممتاز وشهي، وأنا لا يزعجني أنك ترتدين ملابسك العادية التي تلبسينها يومياً، فيما جميع الأشخاص الآخرين متأنقون إلى أقصى حد».

تابع أندريو بعد أن وجه لها ابتسامته الفاتنة قائلاً: «إذا كنت أنا لا آبه لذلك، لا أرى إذاً لما عليك أن تأبهي أنت».

٤ - امرأة جديدة

باستعادة ذكريات تلك الأمسية، فإن شيئاً واحداً ما يزال يعتمل داخل ميرسي. أوه! كان الطعام رائعاً ولذيذاً، أما شهيتها التي ظنت أنها فقدتها فعادت إليها بقوة كبيرة. حتى إنها تمكنت من تناول الحلوى التي طلبها أندريو، بعد أن حرصت على عدم التفوه بأي شيء بالغ في السخف.

حاولت أن تحافظ على رزانتها فلا تأخذ على محمل الجد نفيه الشديد لبشاعتها، إلاّ أنها لم تتمكن من ذلك على الإطلاق.

من جهة أخرى تقبّلت ميرسي تفسيره لدورها في ذاك الاعلان للطعام، إذ توهج خداها بحرارة حينما تذكرت ما قاله لها؛ بأن الرجل الحقيقي يفضل المرأة المفيدة المهتمة والحنونة على أولئك النسوة السطحيات، التافهات، الأنانيات، اللواتي يقلنَ دوماً أنا... أنا... أنا...

بدت كلماته تلك مرهماً ملطفاً لجرحها بعد الاذلال الذي شعرت به يومها. أما الآن، وبعد مرور حوالى الأسبوعين، فإن شيئاً مما قاله أندريو لها، ما زال يعتمل في داخلها. إلاّ أنها لم تعرف ما هو بالتحديد.

لم يتسنَّ الوقت لميرسي كي تفكر ملياً بخصوص اللّغز الذي ما يزال يزعجها ويغضبها. إنه شيء قاله أو ألمح إليه أندريو، لكنها لم تتمكن من التوصّل إليه، فمنذ ذلك اليوم، وبعد أن قاما بتصوير الإعلان، عاد أندريو إلى طبيعته التي لا يمكن التنبوء بها. إنه ينتقل أحياناً بحركة سريعة، فيخرج من المنزل حالما يتناول فطوره، ولا يعود إليه حتى ساعاتٍ متأخرة. لكنه في أغلب الأوقات يبقى في المنزل، فيقفل على نفسه في مكتبه، ثم يقرقع بهوسٍ على لوحة مفاتيح الكمبيوتر. ولطالما سمعته ميرسي يصرخ وهو يتكلم عبر الهاتف، ثم يزأر طالباً منها القدوم

www.elromancia.com

كي تجلب له المزيد من القهوة، أو تفرغ سلّة المهملات، أو تطفىء جهاز التدفئة المركزية!

استضاف أندريو خلال إحدى الأمسيات زبوناً هاماً وزوجته، فدعاهما إلى العشاء. لكنه جعل ميرسي تمر في أوقات عصيبة حقاً حينما اكتشف قبل لحظاتٍ من وصول ضيفيه، أنها أعدّت بنفسها الوجبة التي لم تكلفها سوى ثمناً زهيداً، عوضاً عن الحصول على خدمات الشركة المتخصصة بإعداد الطعام. يومها اتهمها بشكل لاذع أنها تتصرف كالبرجوازيين الذين يوفّرون الأموال ببخل شديد. ثم هددها بالعقاب المريع إذا ما تبيّن أن ما أعدته ليس كافياً أو أنه ليس بالمستوى المطلوب. أما بعد رحيل الضيفين، فقد جرّدها أندريو من سلاحها تماماً عندما تبعها إلى المطبخ حيث كانت ترتب الأغراض وتتأفف متذمرة. فغمرها فجأة في عناق يشبه احتضان الدب، وهو يصيح مبتهجاً بانتصارها قائلاً: «أهنئك، هاورد! لا أحد سواك يمكنه تحضير وجبة كهذه! هلاّ سامحتني؟».

أمن المستغرب بعد ذلك أن تشعر أن رأسها في دوار دائم مستمر؟

أما اليوم فهي تتمتع برفاهية السكوت التام، لكنها بشكلٍ ما أحسّت بفراغ. غادر أندريو المنزل عند الساعة السادسة من صباح اليوم ليستقل الطائرة متوجهاً إلى روما لأجل العمل. ستستغرق رحلته أسبوعاً أو أكثر، لذا يمكنها أن تتروّى وأن تفعل ما تحب فعله خلال وقت فراغها.

سألها أندريو بنزق وهو يقفز نزولاً على الدرج: «أين هي حقيبتي اللعينة، هاورد؟».

استخدمت ميرسي نبرتها المهدئة التي تستعملها عندما يبدو أندريو سيء الطباع، فأشارت إلى الحقيبة التي كانت قد وضّبتها له خلال اليوم السابق، وقالت: «إنها هنا، سيدي. كما أن سيارة الأجرة بانتظارك».

فجأة توقف في مكانه بعد أن كان يندفع مسرعاً عبر البهو الواسع، ثم طرح عليها سؤالاً كما لو أنه لا يثق بأنها تحسن التصرف في غيابه: «ما الذي تفعلينه عادة أثناء غيابي هاورد؟».

توقف قليلاً ثم تابع يقول: «لا تناديني سيدي».

فكرت ميرسي باستهجان، ما الذي يظن أنها تفعله؟ أيعتقد أنها تقيم حفلات صاخبة، أو ترتاد الحفلات الماجنة؟ أم تذهب فتسلب حقائب يد النساء المسنّات الواقفات أمام مكاتب البريد؟ قاومت رغبتها بأن تطلب منه أن يهتم بشؤونه فقط وألا يتدخل في ما لا يعنيه، واكتفت بالقول: «إن السائق ينتظرك منذ حوالى الخمس دقائق. هل أنت واثق تماماً أن جميع الوثائق الضرورية للسفر بحوزتك؟».

ثم مرّت أمامه لتفتح له الباب.

ألقى أندريو باتجاهها نظرة كفيلة بأن تُذبل شجرة سنديان كاملة. وذلك قبل أن يأخذ حقيبته بسرعة، ثم يمشي خارجاً مرفوع الرأس. قال لميرسي: «أنا لستُ طفلاً، هاورد. وأنت لست مربيتي!».

تنهدت ميرسي. إنه لا يحتمل! لكنها لا تحبّه إلاّ على هذا الشكل. فكرت بذلك وهي تتناول قهوة الصباح. إنها لا تشعر بأية لحظة مملّة، فالأوقات التي تمضيها معه رائعة تماماً. شعرت أن جفني عينيها يذبلان، إذ أبقاها أندريو مستيقظة حتى وقتٍ متأخرٍ ليلة الأمس. ساعدته على إيجاد الأوراق الضرورية لرحلته إلى روما، من بين كومة الأوراق المبعثرة على مكتبه، ثم بحثت عن المكان الذي اختفت فيه إحدى حقائب الأوراق. تأفف أندريو منها طالباً منها أن تستعمل عينيها جيداً كي تجد الحقيبة، فردّت عليه بالمثل متأففة قائلة بأنه لو سمح لها أن ترتب مكتبه - وهو أمر يرفضه رفضاً قاطعاً - لما تحوّل إلى هذه الفوضى العارمة الهائلة.

لفّت شفتي ميرسي ابتسامة رقيقة، فمنذ بدأت العمل لدى أندريو باسكالي وهي تشعر أنها غدت كتلة من النشاط. في الواقع هي لم تشعر بهذه الحيوية من قبل في حياتها. تذكرت مختلف المواقف التي جعلها أندريو تخوضها، والتي تراوحت بين الغضب والاذلال والمتعة والمرح وذلك حين يشاركها في مزحة ما. إنها أمور ساعدتها حتماً على الاستمرار والمثابرة معه.

إنه رجلٌ يتمتع بحيوية كبرى، وهو متقلّبٌ جداً كالزئبق. فهي لم تكن تدري

متى تسودُّ تانك العينان الفضيتان غضباً، ومتى تومضان ضحكاً، أو تتألقان متلألئتين بكل ذلك السحر الذي يستطيع استجماعه ساعة يريد. وذلك يحصل عادة، في حالتها هي، عندما يقول شيئاً أو يتصرف بشكل ما مسبباً لها الغليان لدمها.

لا عجب إذاً أنه يستطيع تحويل أية امرأة تعجبه إلى عبدة بين يديه، فتصبح غير قادرة على مقاومة جاذبيته القوية. يا للنساء المسكينات!

لحسن الحظ أنها لن تكون رقماً آخراً يضاف إلى الانتصارات التي يحرزها من دون أن يبذل أي مجهود.

بالنسبة إلى أندريو هي ليست سوى هاورد البسيطة العادية، التي يجدها في متناول يده للاهتمام بضروريات المنزل، وللتخفيف من شدّة نوبات غضبه، لأنه يدفع لها أجراً لائقاً جداً كي تتحمّله. أما من جهتها، فهي تستمتع بالأوقات السعيدة، بفترات هدوء العاصفة حين يعاملها كما لو أنها صديقته المفضلة.

أنهت ميرسي كوب القهوة بأكمله، وما لبثت أن وضعته على الصحن محدثة طقطقة حتى كادت أن تكسره. ذاك هو الأمر! أدركت فجأة ما هو الأمر الذي ما زال صداه مؤثراً في مؤخرة ذهنها: «أنا لا أهتم للمظهر الذي تبدين عليه، فلِمَ عساك تأبهين؟».

لكنها بالفعل تهتم، وللمرة الأولى في حياتها، كما اعترفت لنفسها. تلقت ميرسي تربية حازمة على يد والدين ورعين يحرصان على التجرد من الأنانية وعلى عدم تبذير أموال غير ضرورية على القشور، في حين أن الملايين في العالم يموتون من الجوع وسوء التغذية، أو بسبب افتقادهم للمأوى ومعاناتهم من أمراض لا يمكن تفاديها. لذلك كان ضميرها يوجه لها توبيخاً ذهنياً، في المناسبات القليلة التي كانت تقف فيها أمام واجهة أحد المحال التجارية الفخمة، مشتهية بذلة لا قدرة لها على شرائها.

لطالما تبرّع والداها بما استطاعا توفيره من أموال إضافية إلى إحدى الجمعيات الخيرية. لكن بعد وفاة والدها، لم يعد يتوفر لديهم سوى القليل

جداً، ما اضطرهم إلى العيش بتقشّف. أما ما يفيض عن حاجتهم فراحوا يضعونه جانباً لأجل تعليم شقيقها الذكي الحذق.

لكن الأمور أصبحت مختلفة الآن، أليست كذلك؟ هي لا تريد أن تحسّن مظهرها من أجل ربّ عملها... حتماً لا! فهو لا يهتم أو يكترث أبداً لما تبدو عليه.

طلبت ميرسي رقم هاتف كارلي، وأملت ألا تكون صديقتها غارقة في نوم مطوّل كعادتها خلال نهار الأحد. لطالما عرضت عليها كارلي المساعدة في عدّة مناسبات، لكن ميرسي تحتاج إلى هذه المساعدة الآن بالذات!

* * *

لم تستطع ميرسي الاكتفاء من النظر إلى انعكاس صورتها الجديدة في مرآة الحمام الطويلة. يوم الأحد الماضي كانت كارلي قد وعدتها بأن تأخذ نهار إجازة يوافق نهار الجمعة من الأسبوع التالي، وقد بدت متحمّسة جداً لإمكانيات النجاح المحتملة. فالجمعة هو اليوم الذي يفترض أن تنتهي فيه إجازة زميلتها في العمل، لذا ستكون قادرة على أخذ إجازة بدورها.

لكن ميرسي، ومع مرور أيام الأسبوع، أحسّت بالريبة والهواجس التي دفعتها للتخاذل. أصبحت هواجسها قوية إلى حدّ أنها اتصلت بصديقتها لإلغاء الأمر. لو أن والدها ما زال حياً لوبّخها بشدّة على تفاهتها، في حين أن والدتها كانت لتصاب بنوبة غضب على ما قد تسمّيه هدراً للمال.

لكن كارلي صرخت في وجه ميرسي قائلة: «أرفض أن أدعك تجبنين. ألديك فكرة عما عانيته كي يسمحوا لي بأخذ إجازة نهار الجمعة؟ إنه أحد أكثر أيامنا انشغالاً. اضطررت إلى الركوع على ركبتي والتوسل إلى ساندرا كي تقول بأنها سوف تتدبر أمرها فلطالما قمت بتغطية غيابها قبل اليوم فضلاً عن ذلك، أنت تدينين بالأمر لنفسك».

أخيراً استسلمت ميرسي لكن بشروط، إذ وافقت على مضض أنها تدين بالأمر لنفسها. فبعد أن ارتفع أجرها إلى حدّ كبير، من دون ذكر المبلغ الضخم الذي حصلت عليه من التمثيل في ذاك الإعلان الكريه، فهي تستطيع تحمل

صرف بعض المال على نفسها من باب التغيير، ومن دون أن تحرم جيمس مما يحتاجه.

بالفعل، كان الأمر يستحق العناء! لقد أرهقتها فاتورة مصفف الشعر المشهور ذاك، لكنه اجترح المعجزات. استبدل شعرها الشبيه بأداة نزع الفلينة عن الزجاجة، بآخر أكثر حيوية، إذ قصّه بمهارة على شكل تدرّجاتٍ وتموجاتٍ ناعمة كالريش تلامس جبهتها برقة وتستدير بنعومة حول عنقها. ذاك العنق الذي بدا طويلاً إلى حد مدهش بفضل كنزة حريرية مفتوحة، على شكل زاوية حادّة من الأمام، بلون اليافوت الأزرق. انسابت تلك الكنزة بأناقة على جسمها وانزلقت بسرعة لتحدد خصرها النحيل، منتهية فوق تنورتها الكحلية الضيقة.

اكتملت صورة ميرسي، مع انتعالها حذائين ذا كعبين رفيعين. كما أنها ابتاعت قمصاناً أخرى تتلاءم مع هذه التنورة ومع تنورة أخرى اشترتها في اليوم نفسه، بدت غير واثقة من صوابية قرارها بشراء التنورتين، فهي معتادة على ارتداء الملابس الفضفاضة التي تخفي معالم جسمها. مدّت يدها لتناول تنورة واسعة لمحتها معروضة على المشجب، لكن صديقتها همست قائلة: «لا! لا تفعلي! ليس عليك أن تخجلي من إظهار جسمك على حقيقته!».

كما أقنعتها كارلي بشراء فستان من الكتّان زهري اللون، باهظ الثمن لكي تتباهى به خلال أوقات إجازتها. ثم حامت كارلي حول ميرسي وهي تحمل بيدها قميصاً قطنية حريرية الملمس مدهشة، ولم تستطع ميرسي مقاومة شراء هذه القطعة الجميلة أيضاً.

اندفعت ميرسي بحماس لترتدي ثيابها الجديدة، من غير أن تحزن على بذلة عملها الرمادية الشنيعة. فارتدت فستانها الزهري المخصص لأوقات العطلة.

تلاءمت الألوان وقياس الفستان مع جسد ميرسي بشكل تام. ملمس القماش الناعم على بشرتها جعلها تشعر أنها امرأة تتمتع بالأنوثة، كما لم تشعر أبداً من قبل.

مدهش! تلألأت عيناها الزرقاوان الكبيرتان المنعكستان في المرآة أمامها.

بدت لها ملامحها بشكل ما أكثر تحديداً ووضوحاً، وذلك بفضل أدوات التبرج التي اختارتها لها كارلي، ثم علّمتها كيفية استخدامها. وضعت كريم أساس، مع القليل من بودرة توريد الخدين بالإضافة إلى لمسة من الظلال الضبابية للعينين، وأحمر الشفاه الزهري الوردي.

فكّرت أن جيمس لن يلاحظ أي فرق في مظهرها، لكنها تساءلت ما قد يظنّه الرجال الآخرون بخصوص مظهرها الجديد الأكثر أنوثة. هي تعلم من خبرتها الطويلة أن جيمس قلّما يلاحظ أي شيء يدور من حوله، فهو غارق تماماً بعالمه الأكاديمي الصغير.

أما في ما يتعلق بأندريو، حسناً... ! أحسّت بخجل يتلوّى في أعماق معدتها، فسارعت إلى إخماد تلك الفكرة على الفور. أنّبت نفسها بقوة مذكرة ذاتها أنها مجرد موظفة لديه، وأن أندريو ليس موجوداً في حياتها، وأن أية فكرة متمردة، يجب التخلص منها فور ولادتها!

بعدئذٍ بدّلت حذاءها، فانتعلت الحذاء ذا الكعبين المرتفعين اللذين يتلاءمان مع هذا الفستان، ثم قامت ببعض الدورات المترنّحة في أرجاء الغرفة. في الواقع، هي ليست معتادة على انتعال أي شيء سوى الحذاء العادي ذا الرباط، لذلك علمت أنه يجدر بها التمرّن بعض الشيء قبل أن تتمكن من المشي وهي تنتعل حذاء ذا كعبين يعلو ثلاثة إنشات. بعد أن أصبحت واثقة من قدرتها على السير بتوازن، توجهت بحذر نحو الصالة التي تلتف حول المنزل، والتي تربط بين غرف النوم في الطابقين الأول والثاني وبين مطلع الدرج الضخم.

أخيراً، بعد أن تمكنت من السير بثبات، توجهت إلى أعلى الدرج، وأخذت نفساً عميقاً.

شعرت بالامتنان لأنها حظيت بالمنزل لنفسها فقط، كي تقوم بمحاولاتها في تقليد طريقة مشي عارضات الأزياء. فهي لا تتوقع وصول أندريو قبل مرور يومين. ألقت ميرسي يدها برقة على مقبض الدرابزين اللامع، وبدأت تنزل الدرج.

في تلك اللحظة أدخل أندريو المفتاح في باب المنزل الأساسي. تكللت سفرته إلى روما بالنجاح، وهو لم يشكك أبداً بأنها ستنجح، ما يعني أنه أمّن لنفسه صفقة مربحة جداً. صفقة ستعمل على رفع مستوى سمعة وكالته. اعتاد أن يمكث في شقته الخاصة الموجودة في روما ليوم أو اثنين بعد انتهائه من العمل. حيث يقوم باستكشاف معالم المدينة الجميلة والاستمتاع بها، لكنه لسبب ما، توجه هذه المرة مباشرة عائداً إلى لندن.

ألقى حقيبة ملابسه خلف الباب تماماً، وهو يفكر أن هاورد يمكنها الاهتمام بها لاحقاً. بالطبع، بمقدوره أن يعطيها شيئاً تقوم به بعد ما أمضت قرابة الأسبوع عاطلة عن العمل، متكاسلة. وجد نفسه يتساءل عما تراها فعلته خلال وقت الفراغ الذي حظيت به. فكّر وهو يبتسم ابتسامة عريضة، أنها لربما خضعت لدورة تدريبية مكثّفة عنوانها: «كيف يمكنك أن تكوني أكثر استبداداً».

فتح أندريو فمه ليصرخ منادياً باسمها، ليعلمها بعودته ويطلب منها مشروباً وشيئاً ليأكله لا يشبه الطعام الذي يقدمونه على متن الطائرات، لكنه أقفل فمه مجدداً ما إن لمح حركة خفية في الظلام عند أعلى الدرج.

مدّ يده وأضاء الثريا العلوية، فغمر الضوء تلك الظلال كاشفاً عن شخصٍ غريب. إنها امرأة غريبة فاتنة تخطف الأبصار! أوّل فكرة طرأت على خاطره هي أن هاورد تستضيف بعض أصدقائها، أما الفكرة الثانية فكانت... يا إلهي...! إنها هاورد!

بدت هاورد ملفتة للأنظار بشكلها هذا، فهي لا ترتدي بذلة العمل الرمادية الواسعة التي تغمرها، وتجعلها تبدو من غير شكل محدد. من كان يصدق أنها تتمتع بجسم رشيق كهذا وبخصر هو غاية في النحافة، لدرجة أنه يستطيع أن يحيطه بيديه؟ يا لروعتها!

لو أن ميرسي لا تعمل في خدمته، لكان أندريو سيهتم لأمرها.. بل سيهتمُ جداً. استغرب كيف استطاعت فتاة سمينة مُهملة أن تتحول إلى مخلوقة بهذه الروعة. بدا لوهلة مبهوراً غير قادر على النطق، لأول مرة في حياته. انتزع

أندريو نفسه من ذلك الشرود، وبذل مجهوداً كبيراً لتمالك نفسه، حينما تحولت وقفة ميرسي الجامدة إلى حركة سريعة.

بعدئذٍ أطلق صوته بنبرة متشددة قائلاً: «أحتاج مشروباً، هاورد».

ثم رفع صوته قليلاً وأطلق أوامره من جديد: «وأحتاج إلى تناول الطعام أيضاً. سأنضم إليك في المطبخ بعد عشر دقائق».

ثم انتزع نظراته بعيداً عنها، وتوجه إلى مكتبه ليهدىء من روعه قليلاً، فقد تحركت مشاعره تجاهها بشكل يفوق الوصف. أحس أندريو أنه بحاجة إلى كل دقيقة من تلك الدقائق العشر لكي يتمالك نفسه، وليقنعها أنه أمر مضحك ومثير للشفقة، أن تؤثر فيه مدبّرة منزله إلى هذا الحد. وهو لم يكن يوماً إنساناً مضحكاً سخيفاً أو مثيراً للشفقة. إن هاورد ما تزال هاورد، ولو كانت ترتدي فستاناً أنيقاً. إنها ما تزال هاورد المتسلطة، التي تتأمّر عليه كما لو أنها مسؤولة عن تربية ولد عنيد. فهو ما إن يخرجها عن طورها حتى تردّ عليه وتجادله. في الواقع إنه يشعر بالتسلية حين تصمم على وعظه وتلقينه الدروس حول نمط حياته المحموم، وحول ما تعتبره إسرافاً وتبذيراً.

إنها ممتعة ومحببة!

تمكنت ميرسي من الوصول إلى المطبخ، وقلبها يدق كالمطرقة. وصول أندريو المبكر غير المتوقع مطلقاً، جعلها تشعر كما لو أنها في مكانٍ لا ينبغي أن تتواجد فيه، وأنها تقوم بفعل شيءٍ معيب، فأحسّت بالحرج المريع. استغربت ذلك الشعور بالسرور لدى رؤية أندريو فأقرّت وهي تحدق نزولاً نحو ذاك الوجه الأسمر القوي الوسيم أنها افتقدته، وأنها اشتاقت إلى ذاك النموذج الساحر للرجولة الإيطالية الأصلية. أما أسلوبه بالنظر إليها بتينك العينين الناعستين شبه المغمضتين، فهو يسحرها ويسبب لها الخدر. وقف أندريو هناك يراقبها بدءاً من قمة رأسها حيث شعرها المصفّف بتسريحة جديدة إلى جسمها الرشيق المتناسق وخصرها النحيل.

تحديقه هذا جعل رأس ميرسي يصاب بالدوار، وأرسل موجات كهربائية في جسدها بأكمله، وأخيراً اخترقتها أسهم من مشاعر الخجل، فاستدارت

هاربة من تينك العينين اللتين تسبرانها بتكاسل، وتثيران في أعماقها جميع أنواع الأحاسيس التي لا يحق لها أن تشعر بها. حينما أبلغها أندريو بطلبه بصوتٍ أبح نوعاً ما، هزّتها الصدمة، وأعادتها إلى صورة مهتزّة من الواقع، لا تمت إلى الخيال بصلة.

وقفت ميرسي في المطبخ الفسيح شاردة، وأخذت تحدق في الفراغ، وقد فارقتها جلبة انهماكها الفعّالة المعتادة. أما ذهنها العنيد فانشغل في التفكير بالأسلوب الذي استعمله أندريو في مراقبتها، جاعلاً إياها منقطعة الأنفاس بغرابة. إلى حين أدركت أن الدقائق العشر أصبحت الآن مجرد خمس دقائق، ما دفعها لأن تتدارك ما يحصل. خلعت ذاك الحذاء غير العملي، ثم غطّت ملابسها الخلاّبة بإحدى تلك البذلات الرمادية الكبيرة الشنيعة، وفتحت البراد لتنهمك بعدئذٍ في إعداد العشاء.

وبسرعة حضّرت صحناً من السلطة الخضراء. ثم وقفت إلى جانب الفرن بوجهها المحمّر خجلاً وقلبها المتخبّط، حين تكلّم أندريو من خلفها مباشرة، قائلاً: «تبدو الرائحة جيدة».

ردّت ميرسي: «إنها... عجّة بيض بالاعشاب...».

وعضت على كلمة «سيدي» متراجعة عن النطق بها، مع أنها أرادت أن تشدد على أن علاقتهما رسمية كتلك التي تكون بين رب العمل والمستخدم لديه. لكن ذلك الأمر حتماً سيتطلب منها أن ترد بعبارة حادّة، ولن تكون فكرة جيدة أن تتطاير الشرارات بينهما الآن.

- شاركيني الطعام.

لا جواب. غطّت عينا أندريو ابتسامة دافئة وهما توافقان بإعجاب على أسلوب التفاف شعرها على شكل ضفائر ناعمة مجعدة صغيرة مدهشة، حول عنقها النحيل.

- إنه أمر!

نقّب الجوارير بحثاً عن طقم آخر من أدوات تقطيع وتناول الطعام، ثم أبدى ملاحظة قائلاً: «أترين كم يمكنني أن أكون متآلفاً مع العمل المنزلي؟».

لكن ميرسي اعتبرت ذلك غروراً رجولياً منفوخاً، لأن أندريو يألف الأعمال المنزلية تماماً كالنمر البري الضاري. لذا فإن تلك الملاحظة السخيفة لم تكن تستحق أي ردٍّ من قبلها. قرّرت ذلك وهي تدنو من أندريو حاملة عجة البيض، فخورة بمظهر مدبرة المنزل الخارجي الرصين.

- إذاً، أين العجة الخاصة بك؟

رفع أندريو نظره نحوها بعيداً عن تلك العجّة الهشّة الذهبية الشهية التي وضعتها ميرسي أمامه. فوجدها تقف متصلبة أمام ملاطفته واهتمامه، فيما أطبقت شفتيها المكتنزتين على بعضهما، وقد بدت عيناها الجميلتان بعيدتين فارغتي النظرات.

- لقد أكلت للتو.

عذر جيد جداً لتفوّت هذا العشاء الحميم المعدّ لشخصين. إن ميرسي حقاً بحاجة إلى إيجاد حذائها ثم الانغلاق على نفسها في غرفتها، لتلقّن نفسها درساً. أندريو باسكالي الذي اعترف لها بنفسه أنه زير نساء، قد ينظر إلى أية امرأة مقبولة الجمال نوعاً ما بتلك... بتلك الطريقة!

- إذاً، اجلسي وحدّثيني.

توعدت عينا أندريو بالعقاب القاسي إذا ما رفضت الامتثال لأوامره، وأدركت ميرسي ذلك، فهي معتادة تماماً على ثقة أندريو الكبيرة بنفسه التي تتطلب بأن يحصل دوماً على مبتغاه وأن تسير الأمور دوماً كما يريدها هو. إنها ثقة كبيرة بالنفس لا يمكن أن يقاومها أو يواجهها إلاّ شجارٌ عنيف. وهي ليست قادرة على العراك والشجار، ليس حالياً على الأقل.

جلست على الكرسي المقابل له، لا مجال لأن تسترخي وتستمتع برفقته. لا مجال لأن تفعل ذلك وهي ما تزال تشعر بالفوران في أعماقها، وما تزال ترتعش وتحسّ بالغرابة إلى حد بعيد. انطلق أندريو قائلاً، فيما تناول السلطة: «ألن تسأليني كيف جرت رحلتي إلى روما؟».

لم يكن من عادة هاورد أن تتصرف كما لو أنها دمية اصطناعية محشوة، وبدأ هذا الأمر يزعجه.

ردّت ميرسي مستخدمة النبرة الرصينة، المناسبة لدورها كمدبرة منزل: «أنا واثقة من أن الأمور جرت على النحو الذي أردته أنت».

ثم هنّأت نفسها فيما راقبت عينيه المدهشتين تضيقان، وتمنّت لو أنه بإمكانها منع نفسها من التساؤل عمّا قد تشعر به لو أن أندريو عانقها.

عبس أندريو، ثم وضع شوكته جانباً. ما الذي دهاها؟ لقد اعتاد على دروسها ومواعظها، على أفكارها العنيفة المدوية، على ضحكتها الحاضرة عندما يسليها شيء ما، وعلى ضجيجها واعتراضها وضوضائها. ثم أضاءت ذهنه فكرة مفاجئة، لا بد أن هاورد انزعجت لأنه لم يعلّق أو يثني على تغيير مظهرها. وهو يقر في سرّه أن التغيير مذهل حقاً. إنها رائعة الجمال، وتستحق أن يبدي المرء إعجابه بها. على الرغم من ذلك فهي موظفة لديه.

أبدى أندريو ملاحظته ليبرهن لها أنه لاحظ النتيجة، فقال: «آه! لقد قمت بقص ذلك الشعر الكثيف. هذه التسريحة تناسبك أكثر».

توقع بأن تكون الرشوة التي مسح بها كبرياء ميرسي قد أدّت المطلوب تماماً. لكنها لم تفعل. إنها ما زالت تبدو متصلبة ومنغلقة، ثم.. لمَ عساها أفسدت التأثير الذي أحدثه الفستان الأملس الناعم بذاك الشيء الرمادي الفضفاض؟ ألأن سحرها وفتنتها لم تكن لأجل عينيه هو؟ لعيني من إذاً؟

- أكنت في طريقك للقاء شخص ما؟

وتابع أندريو مفكراً، رجل ما؟ فبارتدائها هذه الملابس لا بد أن هذا ما كانت تنوي فعله. خرج سؤاله كما لو أنه اتهام، بل كما لو أنه والدٌ يخاطب ابنته المتمردة!

أمرها بصوت قوي: «استعملي الهاتف لإلغاء ما كنت تنوين فعله!».

فكرة خروج ميرسي في موعد غرامي، ثم عودتها إلى المنزل عند ساعة مبكرة من الصباح جعلته يشعر بالغثيان.

نقر بأنامله على الطاولة وهو يتساءل لماذا يساوره مثل هذا الشعور. آه! إذا بدت ميرسي على هذا النحو، من دون أن تتنكر في ملابس مدبرة المنزل المملة

الخالية من الألوان، فذلك يعني أن رجلاً ما سيختطفها، وسيأخذها بسرعة بعيداً عنه، وعندها أين سيكون هو؟ سيضيع وقته في البحث عن مدبرة منزل أخرى لتحل محلها. بالطبع! هذا ما سوف يحل به!

ارتاح أندريو إلى حد كبير بعد أن توصّل إلى المنطق العقلاني الذي يبرر تصرفه. فاسترخت يداه، ثم بدا صوته المتشدد الأبح رقيقاً وناعماً، فيما علّق شارحاً بكلمات لاذعة، أمره المتعلّق بإلغاء ما كانت قد أعدّت نفسها لأجله، مهما كان الأمر المهم الذي نوت أن تفعله في المدينة. فقال: «لقد حظيت بأفضل جزء من الأسبوع لتقومي بما أردته، هاورد، لكنني عدت الآن، ومن الطبيعي أن أتوقع أن تجري الأمور بسلاسة كما كانت من قبل».

ماذا يعني ذلك؟ تصلبت ميرسي وهي تفكر أنه يريدها أن تكون تحت تصرفه وفي متناول يده طيلة الوقت، حتى يقوم هو بطلب شيءٍ ما، ويملي عليها ما تفعله وما لا تفعله! ألا يحق لها بأن تخرج في موعد في إحدى الأمسيات لتستمتع بوقتها، كما تفعل جميع النساء الشابات الأخريات! إنها أحياناً ترغب بضربه... هي حقاً ترغب بذلك!

كبتت تيار المشاعر التي هددت بالانطلاق خارجاً. دفعت كرسيها إلى الوراء وأعلمته بما أملت أن يبدو كرامة وعزة نفس: «ليس هنالك ما يستوجب الإلغاء. وإن لم يعد هنالك ما تطلبه مني، فسأقول لك عمت مساءً».

اندفعت نحو الباب من غير أن تنظر إليه، حاملة حذاءها في طريقها للخروج، ثم تمهلت عند الباب لتختم كلامها بكلمة «سيدي!» المتحدية.

٥ - الهروب

انحنت ميرسي لتضع أمام أندريو صحن الشوفان والخبز المحمّص المصنوع من القمح الكامل، قائلة له بحدّة: «لا تفكر بالأمر حتى! إنه مفيد لك».

فأندريو يعتبر هذا الشوفان شبيهاً بالقش المخصص لحيوان الهامستر.

أحسّ بارتعادٍ داخلي يهزه بدءاً من قدميه اللتين تنتعلان حذاءً باهظ الثمن. ليس هنالك ما يمكنه فعله بخصوص الفطور الذي أعدته هذا الصباح. في الواقع، بدأ يستسيغ هذا الطعام، على الرغم من أنه يجد دوماً شيئاً مهيناً ليقوله بخصوص تلك الحبوب، كلما وجدت ميرسي أن من الملائم أن تقدمها له. كان أندريو يفعل ذلك لمجرد إزعاجها، وليكسب لنفسه إحدى تلك المواعظ الصغيرة الجديّة النابعة من القلب، والتي تجعله دوماً يبدأ بالابتسام، فيما تطلق ميرسي الزفرة الصغيرة المحببة الناجمة عن الغضب ونفاد الصبر، بسبب ما يبديه من عدم طاعة ومشاغبة.

لطالما كان أندريو صادقاً مع نفسه، لذا لم يكن لديه أي خيار سوى الاقرار بأن ردّة فعله تتعلق حتماً بالشكل الذي بدت عليه ميرسي ذلك الصباح. فهي ترتدي بذلة أنيقة، هي عبارة عن تنورة ضيّقة كحلية اللون تصل حتى الركبتين، مع قميص زرقاء ذات قبة منخفضة أظهرت بشرتها الناعمة أما الرائحة الخفيفة الرقيقة للعطر الذي تضعه، فجعلت رأسه يدخل في دوامة.

كان أندريو قد استيقظ هذا الصباح مقتنعاً إلى حد بعيد بأن التصوّر المتعلّق بهاورد كان مجرد سراب، مجرد حلم. أي أن هاورد السمينة المهملة، قد تحولت إلى امرأة رائعة الجمال فاتنة. أقنع نفسه أن ذلك التغيير مستحيل، لكن ها هي هنا الآن أمامه مباشرة، وصورتها الجديدة تنطبع على عينيه المفتوحتين

المدهوشتين اللتين تقدّران ما تريانه.

وقفت ميرسي باستقامة وهي تمسك بالصينية الفارغة إلى جانب جسمها الرشيق. فكّر أندريو أن اللون هو الشيء الوحيد الرزين في تلك التنورة الضيقة التي تنساب بلطف على وركيها.

سافرت عيناه ببطء عائدتين إلى حيث التصق القماش الحريري بعنقها الذي يبدو بلون الكريما الشهية وإلى وجهها اللطيف الجذاب. التقت عيناه بعينيها الزرقاوين المدهشتين، تينك العينين اللتين يمكنه أن يغرق فيهما. شعر أندريو بالصدمة القاسية للانجذاب الجسدي الذي تملكه نحوها، لذلك سحب عينيه بقوة بعيداً عنها، وتناول إبريق القهوة. بحق السماء! لا بد أن يتوقف هذا على الفور. لا يمكن للرجل أن يغوي مدبرة منزله، ثم يتوقع أن تجري حياته المنزلية بشكل سوي! إن خوض علاقة غرامية معها ستؤدي إلى كارثة منزلية. فهي قد توضب حقائبها وتهجره بأسرع من لمح البصر، عندئذٍ سوف يخسر أفضل مدبرة منزل على الإطلاق وأكثرهنّ تسلية وترفيهاً.

- لست أدري في أية ساعة سأعود هذا المساء، هاورد. لا تعدي العشاء، ولا تبقي مستيقظة في انتظاري.

ابتلع أندريو قهوته، فأحرقت سخونتها فمه، لكنها لم تجدِ نفعاً مع مزاجه. لعل صوته خرج أكثر قسوة مما كان ينوي لذا سمع استنشاق ميرسي لنفسها بحدّة، فأحسّ بشيء غامض يعصر قلبه بشدّة. لأول مرّة في حياته يشعر كأنه وحشٌ لئيم في تعاطيه مع إحدى النساء! أطبق فمه بإحكام، متراجعاً عن الاعتذار الذي قد يعيدها إلى المنزلة المعهودة من الصداقة المحببة المثيرة للاهتمام.

لا بد أن يصبح اسم اللعبة بينهما من الآن وصاعداً، إبعاد نفسه عن شخصية هاورد الشديدة الجاذبية. للأسف، لا بد أن يحصل ذلك حتى لو اضطره الأمر إلى اتخاذ موقف حيالها.

أدرك ذهن أندريو السريع البديهة ما هو الاتجاه الصائب الذي عليه اتباعه. جايك فيريس وزوجته جانيس هما صديقاه منذ أمد طويل، وقد وجها له دعوة

مفتوحة لتناول العشاء في النادي الذي يرتادانه. كما أسرَّ له جايك أنه سيعرفه على امرأة ما. حسناً! الآن هو الوقت الملائم لقبول تلك الدعوة.

لا بد أن امرأة جديدة ستعمل على إبعاد تفكيره عن مرسي.

غمس أندريو ملعقته في صحن الحبوب، في حين أن هاورد كانت ما تزال تحوم إلى جانبه، وهي قريبة جداً بشكل لا يسمح لذهنه بأن يستكين. في تلك اللحظة تنحنحت ميرسي لتنقي حلقها، ثم قالت له: «بما أنك لن تكون بحاجة إلي هذا المساء، هل تمانع لو قمت بدعوة صديقة لي إلى هنا؟».

لم تكن لدى ميرسي أدنى فكرة عما أثار غضب أندريو هذا الصباح، لكنها بذلت ما في وسعها لتقنع نفسها بأنها لا تأبه لأمره كثيراً. في الواقع، بدأ الرجل اللعين يعني الكثير بالنسبة إليها، ولا يمكنها إلاّ أن ترثي لحالها معه. تصريحه الفظ لها بعد أن عاد من رحلته إلى روما، بأن عليها أن تنسى أي شيء آخر، وأن تبقى مستعدة وحاضرة أمامه لتلبية أي طلب يرغب به مشدداً بذلك على موقعها كمستخدمة عنده ألمها كثيراً، بالرغم من أنها تدرك أن ليس من حقها أن تغضب بسبب ذلك، فهي تعلم بأنها في موقع المستخدمة لديه. أليس كذلك؟

لكن يبدو أن ميرسي تتمتع بمهارة الوقوع تحت سحره بقوة. كانت قد وصلت إلى منتصف الطريق نحو التصديق بأنه يعتبرها مساوية له، لكن ما قاله لها أندريو منذ قليل جعلها تشعر بالإهانة والألم اللذين شعرت بهما عندما استخدمها لتصوير ذلك الإعلان المذل.

كانت ميرسي لتنسَّل بعيداً عن أندريو بعد أن كلّمها بذلك الشكل اللاذع، لكن كارلي كانت تضغط عليها باستمرار لكي تدعوها لزيارتها في المنزل، وبدت هذه الأمسية فرصة مناسبة تماماً لفعل ذلك. لم تكن ميرسي تعلم كيف يمكنها أن تفسّر معارضة أندريو للفكرة نتيجة مزاجه السيء. أبلغها ببرودة: «إذا أردتِ ذلك، هاورد».

استدارت ميرسي عندها على أعقابها، وخرجت من الغرفة.

لم يكن أندريو ينوي الالتفات لمراقبة رحيلها، لكنه بشكل ما وجد نفسه يفعل ذاك الأمر بالضبط... كفى! هب أندريو واقفاً على قدميه، أسقط

صحيفته التي لم يقرأها بعد فوق صحن الحبوب الذي لم يكمله، ومشى بخطوات واسعة نحو الباب، فيما أطبق أسنانه على بعضها بشدّة جعلته يتألم. حالما يصل إلى المكتب سوف يتصل بجايك هاتفياً فيعلمه بقبول دعوته إلى العشاء، ويصرّ على ترتيب الأمر لهذا المساء، وما عليه إلاّ أن يأمل بأن تكون تلك المرأة التي تتشوق للقائه، هي حقاً جميلة ومدهشة بما يكفي لتأخذ أفكاره بعيداً عن هاورد!

أبعدت ميرسي أفكارها عن ربِّ عملها، من خلال التنظيف بالمكنسة الكهربائية ونفض الغبار بحيوية مبالغ بها طيلة الصباح. لكن بالرغم من محاولاتها الجاهدة، لم تستطع ردع تطفّل بعض الأفكار التي تدور حول أحاسيسها المجروحة.

لِمَ عساه يثير فيها الحماس والتشويق بمجرد وجوده بالقرب منها إلى حد يتخطى المعقول والمحتمل؟ لِمَ عساه يطاردها باستمرار في أحلامها كل ليلة؟ لِمَ عساها تغفو وهي تتخيل نفسها بين ذراعيه؟ لِمَ عساها تعذب نفسها، في حين أنه يتخطى المجال المسموح لها بشوط كبير، وهو حتماً ليس من صنف الرجال الذين قد تختاره لتربط نفسها به؟ في مطلق الأحوال، إن أية امرأة تتمتع بذرة من الدماغ في رأسها، لن تقع في غرام زير نساء مثله.

لماذا يحدث ذلك معها، في حين أنه لا ينظر إليها إلاّ كإحدى تجهيزات المنزل أو الأشياء الثابتة فيه؟ حتى إنه لم يلحظ مظهرها الخارجي الذي ينضح جاذبية وأنوثة، فهو ببساطة علّق بصورة ارتجالية على حقيقة أنها قصّت شعرها فقط. كما لو أن ميرسي مرّت صدفة على أقرب مصفف شعر في إحدى الشوارع القريبة، في حين أنها على العكس من ذلك، قصدت أحد أكثر المصممين المشهورين في مجال تصفيف الشعر. فأمضت ما بدا لها دهوراً من الوقت حتى خضعت لتشذيب شعرها الشبيه بالمكنسة المنفوشة بهدف تطويعه على يد أخصائي في هذا المجال.

هي تدرك تماماً بأنها عاشت حتى اليوم حياة محافظة جداً، لذا فهي لا تتمتع باللياقات الاجتماعية أبداً، خصوصاً في ما يتعلّق بالجنس الآخر. لا عجب

www.elromancia.com

إذاً أن أول مصادفة لها مع رجل بروعة أندريو باسكالي، أدّت إلى انبثاق أفكار سخيفة في رأسها.

أطلقت ميرسي تنهيدة ارتفعت من أخمص قدميها حتى فمها. يجب عليها أن تضع تأثير ربّ عملها عليها خارج ذهنها تماماً، وأن تفكر بشيء، كأن تفكر مثلاً أن كارلي وافقت على الحضور لرؤيتها هذا المساء، وهذا أمرٌ يمكنها أن تنتظره بشوق. سوف تحظيان بالمنزل لنفسيهما فقط، من دون وجود رب عملها المتطلّب المتأمر. عندها ربما... فقط ربما، قد تبتلع عزّة نفسها فتسرُّ لكارلي بالصعوبة التي تواجهها مع مشاعرها، ثم ترجوها أن تنصحها حول أفضل أسلوب لتخطي هذه النزوة العاطفية السخيفة.

تصلبت كتفاها وهي تبذل مجهوداً كبيراً لمحو كل الأفكار المتعلّقة بأندريو باسكالي من وعيها وشعورها. بعدئذٍ خرجت من المطبخ وصعدت الدرج باتجاه جناحها الخاص، حيث بدّلت ملابسها فارتدت سروالاً بلون الكريما مطبّعاً بأزهار قرمزية، ولبست قميصاً قطنية قرمزية اللون، ثم خرجت لشراء بعض الأغراض.

صممت ميرسي على تجاوز هذا التعلّق المؤسف بذاك الرجل البائس. فإن لم تفعل ذلك سوف تتطور هذه النزوة الصبيانية إلى شيء أكثر خطورة، كأن تقع بغرام الرجل بقوة وشدّة، وإذا ما حصل هذا، فستضطر إلى تقديم استقالتها من الوظيفة، وهي لن تجد أبداً وظيفة أخرى تؤمن لها الأجر المرتفع نفسه.

* * *

بدأ أندريو يشعر بصداع أليم، وكأنما ملايين المطارق الحاقدة تدقُّ داخل جمجمته، فيما تهادت سيارة الأجرة مجتازة زحمة السير خلال فترة منتصف المساء. فك زري قميصه العلويين وهو يطلق صوتاً ينم عن السخط، ثم أرخى ربطة عنقه. إنه يشعر بالحرارة الشديدة، كما أن الأمسية الرديئة بأكملها كانت مضيعة تامة للوقت. بدا جايك على حالته المعهودة من الاسترخاء، في حين أن جانيس كانت تفور بالحيوية، ما يجعل المرء يستمتع برفقتها، كانت هناك أيضاً المرأة التي تتوق إلى التعرف بأندريو، وهي إحدى صديقات جانيس

العديدات. إنها امرأة سمراء طويلة راقية ذات عينين ذهبيتين، ترتدي فستاناً ذهبي اللون يبرز قوامها الرشيق بأفضل شكل ممكن. كما أنها تتمتع بمهارة التعليق على كل كلمة يقولها أندريو، وذلك بمثابة الإطراء لغروره.

إلاّ أن عينيها الغاويتين لم تؤثرا به مطلقاً، بل شعر بالبرود تجاههما. من جهة أخرى أحسَّ بالحدّة والتوتر، ورغب بالهروب والخروج من هناك. هذا النوع من المغازلة المهزلة أشعر أندريو بالسقم والغثيان فجأة، إذ أدرك أنه غير مهتم بالمباشرة في علاقة غرامية أخرى. فهذا النوع من العلاقات لا يدوم إلاّ لفترة قصيرة فقط. ما كان يجدر به الموافقة على لقاء هذه المرأة التي نسي اسمها الآن.

قدّم أندريو اعتذاراته وانصرف حالما وزّع النادل قوائم التحلية. غداً يجدر به الاتصال بجانيس كي يعتذر لها عن تصرفه السيء.

أقر لنفسه و هو يدخل إلى البهو الواسع المظلم، بأن جل ما أراده هو الوصول إلى المنزل. أغلق الباب الثقيل خلفه بهدوء. لم يشعر بمثل هذه الحال من قبل أبداً. لطالما كان المنزل وسيلة راحة مؤقتة بالنسبة إليه، بل هو مكان تتجاوز مدّة بقائه خارجه على مدّة بقائه فيه. أما الآن فإنه يحترق، لذا جاهد بنفاد صبر ليخلع عنه سترة البذلة، ثم رماها على كرسيّ قريب، لكنه فوّت الهدف. فتركها ملقاة حيث هي. بعدئذٍ رفع رأسه المليء بالصداع والألم، ونادى هاورد. لكن صوته خرج على شكل نعيقٍ صدىء، فأحسَّ أن حلقه خشن متقرّح، وكأنه يحترق.

تجهّم وجهه وشعر بالغضب، إلاّ أنه استسلم للأمر الواقع المحتوم، ثم بدأ بتسلق الدرج ببطء. سيكون عليه الصعود إلى الطابق العلوي كي يسحب ميرسي من حيث هي. شعوره بالحر ثم بالبرد، فيما الألم يتملك جسده بأكمله، ورجلاه ترتعشان بشكل مزعج، هي أعراض تشير إلى أصابته بالمرض. إنه لم يصب بالمرض منذ مدة طويلة، وهو لن يتحمّل الأمر!

تمهّل أندريو أمام الباب المؤدي إلى جناح هاورد، لكي يعيد التقاط أنفاسه. فجأة أحسَّ أن جسده بأكمله يتجمّد كالثلج، حينما سمع صوتاً رجولياً يتفوه

بشيء ما ثم يضحك. إنه صوت منخفضٌ جعل الشعر الذي على عنقه يقشعر واقفاً، قبل أن ينتج عن ذلك موجة حارة من الغضب العارم.

لقد كذبت عليه! إذا كانت تلك حقاً صديقة لميرسي في ضيافتها، يكون هو ملكة إنكلترا! سوف يدخل بعنف إلى الغرفة مباشرة، فيرمي بالرجل مباشرة إلى الخارج!. سيطلب من هاورد أن توضب حقائبها الآن مباشرة! قد يتحمل أندريو مقداراً معيناً من عدم الخضوع لأوامره، لكنه لن يقبل بأن يتعرض للخداع والكذب!

لكن يده انزلقت عن مقبض الباب النحاسي. ولاحظ بقدر عميق من الكرة لنفسه أنه يتعرق. إنه واهنٌ وضعيفٌ جداً، لا يقوى على رمي نملة خارج أي مكان! شعر بالاشمئزاز من الفكرة الكريهة، وقد تصور نفسه يدخل مترنحاً عبر ذلك الباب بشكله الحالي، بأطرافه الواهنة وصوته الشبيه بالنقيق، في حين أن العرق ينقط من حاجبه. يا إلهي! لن يفعل ذلك بنفسه أبداً. لن يُظهر نفسه بشكل يدل على أنه غير متمالك لنفسه ومتحكم بها بالكامل.

غداً صباحاً سيقوم بطرد هاورد قبل أن يفعل أي شيء آخر.

تمايل أندريو مترنحاً وتابع سيره إلى غرفته الخاصة، وهو يفكر بتلك الفكرة الرهيبة المتوعدة لميرسي.

ركل حذاءه فرماه بغير اكتراث، ثم تمدد على السرير باسطاً ذراعيه ورجليه على اتساعهما، ممداً جسده المتألم كالنسر. ثم أطلق أنيناً متألماً، فيما تصوّر بوحشية وألم، ما يفعله ذاك الرجل بتلك الفتاة الصغيرة الجذابة الفاتنة الكاذبة، في هذا الوقت تماماً.

٦ - لا تتركيني!

استيقظت ميرسي كالعادة في تمام الساعة السادسة. تسللت خيوط أشعة الشمس الدافئة إلى غرفتها، فيما بقي المنزل الكبير ساكناً... ساكناً جداً.

ما الذي عساه جرى للإعصار الصباحي المبكر المعتاد؟ ما الذي جرى لأندريو الذي يهرع خارجاً ليقوم بالهرولة الصباحية الباكرة، ولصفعة الباب المتميزة بالحماس والفرح وهو يخرج من المنزل؟ أين الإشارة التي تعني بأن عليها أن تكون مستيقظة ومنهمكة ومنتظرة الصاروخ العائد، الذي يعلمها بعودته وبتوجهه إلى أخذ حمام سريع؟ أين الصوت الذي يغني شيئاً ما بالإيطالية، والذي يطلقه بأعلى صوته الرخيم الشجي، فيشكل إشارة لها ببدء تحضير الفطور؟

قررت ميرسي أن أندريو على الأرجح قد استغرق في النوم، بعد أن تذكرت ما أعلمها به مساء الأمس، إذ قال لها بأن لا فكرة لديه كم سيتأخر في السهر. تذكرت أيضاً الأسلوب الفظ الذي استعمله لإبلاغها بذلك. إنه يستحق أن تتركه مستغرقاً في النوم إلى صباح الغد! ذلك كان التفكير الأولي غير اللائق الذي مرَّ بذهن ميرسي، وهي تلبس سروالها المطبّع بالأزهار القرمزية، مع القميص القرمزية. فهذه الملابس التي ارتدتها مساء الأمس، جعلت دارن صديق كارلي يطلق صفير إعجاب شبيه بصفير الذئاب.

ستضطر إلى القرع على باب غرفة نوم أندريو حتى توقظه، لم يكن بمقدور أندريو أن يعلم أن باستطاعته أن يؤذيها ويجرح مشاعرها بهذه السهولة، فالذنب في ذلك يعود إليها بالكامل، لأنها تحمل في قلبها مشاعر سرّية تجاه رب عملها، كما لو أنها فتاة مراهقة.

كانت كارلي قد أحضرت صديقها دارن برفقتها، لسوء الحظ، لذا لم تتمكن ميرسي من إطلاع صديقتها على ما تمرّ به، وطلب نصيحتها بخصوص ذلك. لكنها قررت أن ذلك قد يكون لصالحها، فيما توجهت مسرعة نحو غرفة نوم رب عملها. كانت كارلي لتقول لها بأنها حمقاء. حسناً! يمكنها أن تستغني عن سماع ذلك من صديقتها فهي عاقلة بما يكفي وقادرة على تخطّي الأمر بمفردها تماماً.

لم تحظَ طرقات ميرسي المتكررة على باب أندريو بأي ردٍّ من قبله. أحسّت ميرسي بتقلّص في معدتها فيما تداركت ما يفترضه صمت أندريو عن الرد. نزلت ميرسي الدرجات الأخيرة للسلم وهي مثبطة الهمة كئيبة، وقد توصلت إلى الاستنتاج الحتمي المثير للغثيان، بأن أندريو لم يعد إلى المنزل أصلاً. لا شك في أنه أمضى الليلة برفقة امرأة جديدة ما. امرأة جميلة، متميزة، وذكية تحسن التصرف مع الرجال. إنها بديلة لتريشا التي تخلّص منها نهائياً.

لكن أول شيء رأته ميرسي ما إن وصلت إلى الردهة، هو سترة أندريو الملقاة على الأرض. أوّل فكرة مجنونة أسرتها، هي أن أندريو قد عاد، ما يعني أنه ليس بصدد خوض علاقة غرامية مع امرأة جديدة! أما الفكرة الثانية، فهي أنه استيقظ وخرج من المنزل أبكر من موعده المعتاد، وقد أغرته أشعة الشمس في الصباح الباكر.

التقطت السترة، ثم نفضتها وهي تطلق صوتاً ينمّ عن عدم الرضى، وعلّقتها فوق المسند الخلفي للكرسي حتى تأخذها لاحقاً إلى غرفته. توجهت نحو المطبخ كي تجمع مكوّنات فطور أندريو؛ نصف ليمونة غريب فروت مع الفطر على الخبز المحمص ثم انتظرت الأصوات المنبئة بعودته، وانتظرت. . . .

مع حلول الساعة الثامنة والربع، أصبحت ميرسي واثقة من أن هنالك خطباً ما.

استنشقت نفساً عميقاً، ثم عادت وتوجهت إلى الطابق العلوي نحو غرفة أندريو، وسارت متقدمة إلى داخل الغرفة مباشرة. غاص قلبها إلى أعماقها

حين رأته ممدداً هناك على السرير مرتدياً ملابسه باستثناء سترة البذلة. بدا تنفس أندريو بطيئاً وثقيلاً، وتساءلت إن كان يجدر بها أن تتركه نائماً حتى يصحو من تلقاء نفسه.

أطلق أندريو أنيناً ثم استدار على ظهره، فيما بقيت ذراعاه ممدودتين إلى جانبيه. دنت ميرسي من السرير بحركة خفيفة، ثم ألقت أحدى يديها الباردتين على جبينه، وسرعان ما أدركت بأنه يعاني من ارتفاعٍ شديدٍ في الحرارة. تخبطت معدتها بشكل مؤلم حين أدركت أنه مريض.

فتح أندريو إحدى عينيه المحرورتين، وقال: «كم الوقت الآن؟».

- تجاوزت الساعة الثامنة.

راقبته ميرسي بقلق متزايد وهو يجاهد كي يجلس مستقيماً، عضت على شفتها فيما قال لها أندريو بصوتٍ يشبه النقيق: «يفترض بي أن أكون قد غادرت المنزل في هذا الوقت. أحضري لي قهوة سوداء».

دفعة رقيقة على كتفه كانت كافية لجعل أندريو ينهار مجدداً، ويستلقي إلى الوراء على الوسائد. قالت له ميرسي بحزم: «أنت لست على ما يرام، ولن تبرح إلى أي مكان اليوم. ابقَ حيث أنت. سأحضر لك مشروباً تتناوله».

كانت أولويتها الآن هي مكالمة طبيبه هاتفياً. حماسها الحاد وقلقها عليه، جعلاها تبلغ المطبخ في وقتٍ قياسي. هناك تصفحت دفتر ملاحظات كانت قد ملأته مدبرة المنزل السابقة، مدونة أرقاماً مفيدة وهامة. ضغطت بقوة على رقم هاتف العيادة الخاصة بطبيب أندريو.

تلقت التأكيد المطمئن من الطبيب آلينغهام بأنه سيحضر خلال النصف الساعة القادمة، فاستقرت دقات قلبها على نمطٍ أبطأ.

كان أندريو يجاهد للجلوس مستقيماً من جديد، فور دخولها إلى غرفته مجدداً، حيث قال: «سأصل متأخراً».

بعد أقلّ من لحظة، انهار أندريو مجدداً على الوسادة فاقد القوى.

خلعت ميرسي حذاءه من غير أن تسمح له بأن يخمّن أو يقدّر كم هي قلقة

عليه، وهي تقول: «قلت لك للتو إنك لن تعمل اليوم. أخبرني فقط بمن علي أن أتصل حتى أشرح له الوضع، بعد أن يراك الطبيب».

أطلق أندريو رفضه بحرارة لاذعة: «لست بحاجة إلى طبيب، أيتها المرأة البائسة!».

ثم أطبقت عيناه فجأة، كأنما أرهقه الاعتراض. فبدت رموشه الطويلة الكثيفة على شكل هلالين بلون الدخان ملتصقين ببشرته الشاحبة.

أحست ميرسي بالذعر وتنبهت إلى الخطر المحدق بأندريو، كارهة رؤيته على هذا الشكل. لطالما رأته يتألق ممتلئاً بالحيوية، لذا جرت عدواً نحو الحمام. فملأت كأس ماءٍ من الصنبور البارد، ثم عادت ورتبت لنفسها فسحة على السرير إلى جانبه. مررت ذراعها تحت كتفه، ثم رفعت رأسه وقالت برقة: «اشرب هذا».

بدا كأنه يحترق من شدّة الحرارة، تساءلت إن كان هنالك ما يكفي من الوقت لإقناعه بارتداء ملابس نظيفة مخصصة للنوم قبل وصول الطبيب. أمسكت الكوب وقربته إلى شفتيه، محاولة تجاهل ومضة البرق التي ضربتها بقوة وصولاً إلى أعماقها، فيما احتك وجه أندريو بجسمها.

فتح أندريو إحدى عينيه وقد شعر بالكوب البارد الملامس لشفتيه الحارقتين الجافتين. إنها ترتدي قميصاً قرمزية اللون اليوم. ارتشف مطيعاً رشفة ماء، ثم أدار رأسه المتألم نحوها من جديد، فأحسّ بشعور أفضل إلى حد كبير. تأثر جسده بقربها منه، ولم يعد لديه شكٌ بخصوص الجاذبية التي يشعر بها نحوها. ألقى برأسه على كتفها متأوهاً. يا لهذا المرض! لو لم يكن يشعر بهذا الوهن والضعف، لرماها على السرير، وراح يعانقها إلى أن يشبع شوقه ولهفته إليها، مهما كانت العواقب!

أخذت ميرسي نفساً شديد الاهتياج، فيما جاش صدرها تحت القميص الحريرية، ففاضت في أعماقها الحرارة الملتهبة. أيمكنه أن يعلم ما الذي يحصل لها؟ أتراه يدرك ما الذي يفعله بها؟ أوه، إنها حقاً تأمل ألا يكون مدركاً لتأثرها به. لا شعورياً تصلّبت الذراع التي كانت تسند كتفيه العريضتين، فجذبته ليدنو

منها أكثر، كما تفعل الأم بصغيرها، بالرغم من أنها حتماً لم تكن تقصد بوعيها وإدراكها أن يحدث ذلك. حبست ميرسي نفسها، فيما أطلق أندريو صوتاً خشناً من أعماق حلقه ينمُّ عن الارتياح. لقد حلمت ميرسي بهذه الحميمية القريبة، كما تاقت إليها بشكل سرّي محزن. بدا توقها هذا كبيراً جداً إلى حدّ أنها ما عادت قادرة على التفكير بشكل صائب. أما الآن، وقد حدث الأمر أخيراً، تنبهت خلايا جسدها بأكمله دون استثناء بقوة مفرطة.

تسمّرت عيناها المبهورتان على قمة شعره الأسود المشعث. فأطبقت أسنانها بشدّة ورزانة خشية أن تقوم بأي تصرف طائش، أما قلبها فتضخّم متألماً بسبب حساسية أندريو وضعفه، البعيدين عما يتميز به عادة من الحيوية والقوة. لعلها بالغت في ردّة فعلها في الاتصال بطبيبه، لكن عليها أن تقرّ بأنها قد تفعل المستحيل كي تراه سليماً معافى من جديد.

فليساعدها الله! إنها تهتم لأمره حقاً، بغض النظر عن غروره وكل شيء آخر مغيظ في شخصيته. إنها تحبه بكل قلبها وروحها!

إدراك ميرسي لهذا أصابها بصدمة قوية ووحشية. حبست أنفاسها لفداحة ما يجري لها. أغمضت عينيها في محاولة لصرف تفكيرها عن هذه الأفكار الخطيرة، لكنها توقفت عن المحاولة حينما أدركت أنها غير قادرة على تغيير مسار تفكيرها.

لم ترغب مطلقاً بأن يحصل ذلك، فقاومت بشدّة رافضة هذه المشاعر، كما أنها لم تكفّ عن إلقاء المواعظ على نفسها حول حماقة الوقوع في غرام رجل كأندريو، فهو يعتبر النساء أدوات تسلية ولعب، ويتخلّص منهنَّ حالما يفقد الاهتمام بهنَّ.

قررت ميرسي وهي تشعر بالغثيان أن الأمر حصل في جميع الأحوال، لذا عليها أن تتعامل معه بشكل ما. لكن وضعها الحالي، ورأس أندريو على كتفها، أمرٌ لم يساعدها على تخطي مشاعرها. أحسّت بشعورٍ شنيعٍ بالخسارة حين تمالكت نفسها، وتصرفت بالشكل الصحيح اللائق، فأعادت رأس أندريو برفق ليستقر على الوسائد. بدأت تكره نفسها بسبب ضعفها، وجاء صوتها

www.elromancia.com

مثقلاً بمعرفتها لحبها له، عندما قالت لتستأذن: «سيصل الطبيب إلى هنا خلال وقت قصير. علي أن أعود إلى الطابق السفلي لأنتظره».

قال الدكتور آلينغهام لميرسي وهو يغلق باب غرفة النوم خلفه: «إنها الإنفلونزا. السنيور قوي وسليم البنية، لذا ليس هناك ما يدعو إلى القلق».

علمت ميرسي أن عينيها تبدوان واسعتين كصحنين، فيما راحت تحوم خارج باب غرفة النوم، استفاض الطبيب شارحاً: «إنه مرض فيروسي مؤذٍ حقاً في غير موسمه. عاينت حالتين أو ثلاث مشابهة حتى الآن. تركت بعض حبوب الدواء التي تساعد على تخفيض حرارته المرتفعة. احرصي على أن يتناول منها أربع حبات يومياً، وأعطه الكثير من السوائل. أما إذا واجه أية صعوبات في التنفس، فاتصلي بي حالاً. سأخرج بنفسي. نهارٌ سعيد لك».

قامت ميرسي خجلة ببذل مجهود كبير لفك العبوس الذي عقد جبينها، فيما راقبت الطبيب يهمّ بالنزول على الدرج. قبل أن تعود فتدخل إلى غرفة المريض. لم ترغب مطلقاً بأن تقع في غرامه، كما أن الحس السليم يتطلب منها أن تتعامل معه بحذر، لكنها ستفعل ما بوسعها للاهتمام به فقط من أجل أداء واجباتها الوظيفية. قالت ذلك لنفسها وهي تعلم جيداً بأن ليس هنالك من قوّة تبعدها عن المكوث إلى جانبه أثناء مرضه وحاجته إليها.

تجنبي اتصال العينين المباشر. ابقي هادئة ورزينة. والأهم من ذلك: لا تقتربي منه!

إنها قرارات منطقية وعقلانية جداً، لكنها ذهبت سدى وغاصت إلى اللاعودة، ما إن بادرها أندريو قائلاً: «ساعديني على خلع ملابسي».

كان أندريو مستنداً إلى الأعلى على مرفقه، وهو يتحسّس أزرار قميصه بضعف من غير أن يحقق أية نتيجة. أما عيناه السوداوين فكانتا تضيقان مناشدتان إياها لمدّ يدّ المساعدة إليه. فما عساها تفعل غير ذلك؟

بذلت ميرسي مجهوداً جبّاراً لدفع وزن جسده الثقيل كي يجلس باستقامة نوعاً ما، فيما خلعت عنه القميص المشبعة بالتعرق، هذا الأمر أرغمها على التواصل القريب مع أندريو، وهو ما أقسمت على تجنبه كما تتجنب مرض

الطاعون. لا يمكن أن يكون ذلك البريق الذي لمحته خلف رموشه السوداء الكثيفة المغمضة جزئياً بريقاً ماكراً. لا بد أنها الحمى! أما النبرة الأبّحة المخجلة التي بدت في صوتها وهي تناوله كوب الماء مع حبة الدواء، قائلة: «تناول هذا»، فجاءت نتيجة المجهود الذي بذلته للتو. آه، بالطبع! لا علاقة للبحة في صوتها بتلك البشرة الناعمة السمراء لكتفيه العريضتين، ولا بعضلات جذعه المحدّدة.

سألته وقلبها يتخبط بقوة: «أين ثياب النوم؟».

صحيح أنها تهتم بغسل ملابسه كجزء من عملها، وهي تعلم أنه لا يستخدم ثياباً للنوم. لكنه حتماً يمتلك زوجاً من الملابس المخصصة للنوم في مكانٍ ما، ولو لم يكن ذلك إلاّ للحالات الطارئة.

- إنها في الدرج السفلي.

أخذ أندريو يدفع بانزعاج خصر سرواله، فيما بدا على وجهه عبوسٌ ينم عن التركيز. بعد أن أحضرت ثياب النوم الخاصة به من ذلك الدرج، انحنت بدافع منطقي لفعل الأمر الذي لا مفر منه. أحكمت إغماض عينيها وساعدته على التخلص من سرواله وارتداء سروال النوم. بدت محرجة وخجلة لوثوقها من أن وجهها قد تلوّن بلون أحمر غامق رهيب.

استرقت النظر من بين رموشها، ذلك أن العمل بعينين مغمضتين بدا صعباً، فوجدت أن المهمة قد أنجزت بنجاح. بعدئذٍ ألبسته القميص المخصصة للنوم، وأصبح بإمكانها أن تغطيه بحذق بواسطة اللحاف الذي كان قد رماه جانباً، فأصبح الآن مكوماً عند أسفل السرير.

تنفست ميرسي الصعداء محاولة سحب الهواء إلى داخل رئتيها، وراحت تساعده ليعود إلى وضعيته المريحة في السرير.

آه يا إلهي! يا لها من لحظات محرجة! أحسّت أن بشرتها تحترق، فيما خارت قوى رجليها. أما أندريو فبدا مستمتعاً بالأمر على الرغم من مرضه، إذ سألها بصوت أبح: «ألم تشاهدي رجلاً عارياً من قبل، هاورد؟».

أرادت أن تلف أصابعها حول رقبته فتخنقه لأنه ما هو عليه، لأنه جعلها

www.elromancia.com

تحبّه، تشتاق إليه، وتهتم لأمره حقاً إلى حدٍّ كبير!

تمالكت نفسها، ثم غطته باللحاف الخفيف الوزن، وجمعت الملابس المرمية كي تعالجها لاحقاً. ثم قالت له بارتجالٍ واضح وكأن الأمر ليس بذي أهمية مطلقاً: «بالطبع شاهدت... عدة مرات».

لطالما ساعدت والدتها في غسل شقيقها جيمس أثناء استحمامه حين كان طفلاً، لذا فهي لم تكن تكذب، أليس كذلك؟

أحسّت ميرسي بالرضى لأنها تمالكت نفسها، فحرمت أندريو من المتعة التي قد يكتسبها من استنتاج الحقيقة في رأسه الوسيم جداً. في الواقع لم يكن لديها أي صديقٍ حميم من قبل، لكنها لم تكن لتسمح لأندريو بمعرفة ذلك. انسحبت من الغرفة وهي تقول له: «سوف أحضر لك كوباً من العصير. بعدئذٍ عليك أن تحاول الخلود إلى النوم».

عندما عادت إلى المطبخ وقفت ميرسي تحدّق في الفراغ ببساطة، فيما قبضت بإحدى يديها على كوب عصير الليمون الذي سكبته للتو. أقلقها إدراكها لحقيقة مشاعرها تجاه ربّ عملها الذي لا يحتمل، لكنها بطريقة ما سوف تتدبر أمرها للتغلّب على هذه المشاعر المفرطة الحساسية.

إنها معروفة بقدرتها على أن تكون عقلانية ومنطقية، أليست كذلك؟ والآن حان الوقت لتكون على قدر مستوى تلك السمعة الجيدة. سوف تتصرف بحزم في وقت لاحق، أما الآن فمن غير المعقول أن تقدّم استقالتها فيما الرجل يعاني من المرض. ضميرها لن يسمح لها بذلك.

حالما يتعافى أندريو، سوف تفعل ذلك الأمر تماماً، آملة أن يوفقها الله بعملٍ آخر وبمكان إقامة بديل. بعدئذٍ يمكنها البدء بعملية الشفاء، محاولة أن تنسى أنها رأته يوماً في حياتها، وبأنها وقعت في غرامه رأساً على عقب. إنه التصرّف العقلاني الوحيد الذي يمكنها أن تقوم به.

راحت تتقدم في طريقها ببطء شديد بسبب حاجتها الماسة إلى التفكير العقلاني وهي في طريقها للعودة إلى الطابق العلوي. توقفت فجأة وقد صدمتها فكرة مروعة: إن احتمال أن تحظى بعملٍ مشابه ذي أجر مرتفع مع

إقامة مضمونة كهذه هو احتمال ضئيلٌ جداً، كواحدٍ بالمليون! كما أنها ستضطر إلى دفع مبلغ كبيرٍ من المال لاستئجار مكان لائق نوعاً ما حتى تقيم فيه.

كيف يمكنها أن تكون بهذه الأنانية؟

إنها مضطرة إلى أن تصرّ بأسنانها، وتعضُّ على جرحها وتلازم مكانها، ثم تتحمل عذاب أن تحبَّ شخصاً لن يبادلها الحب أبداً، لأنه يعتبر النساء أشياء تأتي في تصنيف التسلية الخفيفة.

أما أندريو، فحين يقرر الزواج والاستقرار، لن يكون ذلك بسبب الحب، بل بسبب الثروة. إنه مخطط سخيف وضعه لحياته وفسّره لها بنفسه بوضوح.

حسناً! سوف تضطر إلى البقاء هنا، على الأقل حتى يصبح جيمس مؤهلاً للعمل وكسب المال.

دخلت ميرسي غرفة أندريو بتلك الفكرة الحازمة المتحدية الجدية، ثم وضعت كوب العصير على الطاولة إلى جانب السرير. بعدئذٍ استدارت لتقول له بنبرة رسمية آمرة: «اشربه! إنها أوامر الطبيب».

في هذه اللحظة تماماً، عبس أندريو وأمسك بيدها قائلاً: «ابقي بقربي، ميرسي. لا تتركيني».

في الواقع، كانت أسنان أندريو تصطك بقوة. لاحظت ميرسي ذلك بغصّة وذبول سيطرا عليها، فحن قلبها الحنون المحب عليه، وهي تشاهد شحوبه واصفراره. لا بد أن تفعل شيئاً ما لمساعدته.

صرفت ميرسي النظر بسرعة عن المهمة التي ستستغرق منها وقتاً طويلاً، أي الذهاب لملء دزينة من زجاجات الماء الساخن. خضعت للأمر الحتمي التي لا مفر منه، فجذبت إلى الخلف زاوية اللحاف وجلست إلى جانبه. ثم لفّت ذراعيها حول جسده المرتعش، وقد انتابها إحساس بالحزي العميق، بسبب الطعنة المشؤومة لذاك الابتهاج الذي طاف في جسدها. جاء ذلك كردة فعل على ذوبان أندريو داخل دفء جسدها، حين ألقى رأسه على كتفها مطلقاً أنين ارتياح وسرور.

حضنت ميرسي بين ذراعيها جسده المرتجف، بدا الأمر عذاباً مجرداً

لحواسها، إذ علقت في دوامة من الحماس الحامي التي يصعب الخروج منها. إنه تشويق لم تعرفه ميرسي من قبل، لكن لا يمكنها الانجراف فيه أبداً، لأنه خطأ جسيم ترتكبه وهو لا يناسبها مطلقاً..

حاولت تعزية نفسها وتهوين الأمر على ذاتها، ففي ظروف عادية ما كانت لتقترب من أندريو بهذا المقدار مطلقاً. إنه الآن يهذي بسبب الحمى، وما من سبيل لأن يعلم أن مشاعرها نحوه شديدة إلى حد كبير، إلى درجة أنها تواجه خطر فقدان ما تبقى من عقلانيتها ومن احترامها لذاتها ومن مبادئها الأخلاقية الثابتة! يمكنها على الأقل أن تعزي نفسها بهذا، فهي تعلم أنها الوحيدة هنا التي تدرك كم هي حقاً غبية وسخيفة.

وعدت ميرسي نفسها وهي تخنق أنيناً كادت تطلقه، أنه حالما يتوقف عن الارتعاد، سوف تبتعد من هذا المكان البالغ الحميمية، ثم ستنسحب إلى غرفتها.

لم يكن بوسعها الانتظار. لكنها مضطرة إلى ذلك، لأن أندريو تمسك بها بقوة أكبر، مستمداً منها الدفء والطمأنينة، ثم بدأ يتمتم كلمات مفككة بلغته الأم. فكرت ميرسي أنه يهذي، وشعرت بقلقٍ يائس حياله. قلقها واهتمامها بمصلحة الرجل الذي وقعت، لسوء حظها، في غرامه، أنساها حاجتها للانصراف بعيداً عنه لحماية نفسها. رفعت يدها من جديد وملّست شعره الأسود الغامق الأشعث، فدفعته بعيداً عن جبهته الملتهبة. أحسّت بالألم في أعماقها بسبب حاجتها إلى جعله يتحسّن.

أقرّت ميرسي بضعفٍ أنها غير قادرة على مقاومته، فعضّت على شفتها فيما تسمرت في مكانها لتدفئه، فكرت وهي تبتلع تنهيدة ممزقة، بأنهما يشبهان الزوجين المغرمين، لكن أندريو خارج الموضوع، فهو غير مدرك لما يجري. إنه لا يعلم ما الذي يفعله الآن، كل ما في الأمر أنه يبحث عن إنسانٍ آخر يريحه، وبالتالي فالأمر ليس شخصياً بالنسبة إليه. أي شخصٍ آخر سواها كان ليؤدي المطلوب نوعاً ما.

أما بالنسبة إليها، فالأمر فائق الخصوصية. لكنها ببساطة مضطرة إلى أن

تصرّ بأسنانها وتتحمل الأمر، فبالنسبة إليها حاجات أندريو تأتي في المرتبة الأولى.

تدحرجت دمعة وحيدة نزولاً على خدّ ميرسي، وقد رضخت مستسلمة للوضعية التي وجدت نفسها فيها. بعد وقت طويل، شعرت ميرسي بالارتياح أخيراً حين غاصَ أندريو في نوم هنيء.

بدا لها كأن الوقت واقفٌ في مكانه، فهدأ تنفسه، في حين أحسّت بأن قربه منها هو عذابٌ مرير. إذ أحسّت أن جسدها تلتهمه النيران، بغض النظر عن محاولاتها الجاهدة لإيقاف الأحاسيس المتوترة المقلقة.

لا بأس بالأمر لو انسلّت هاربة الآن، فهو يبدو مرتاحاً. لكن أندريو استدار وهو نائم، فيما تحركت كلتا يديه لتثبتاها في مكانها مرة أخرى. التقطت ميرسي أنفاسها مصدرة تنهيدة صامتة، وأحسّت بجسمها يتصلّب، ضاغطاً على دفء كفّيه المتملكتين. أدركت أنه ببساطة يتوجب عليها حمل نفسها على الابتعاد عنه، لكنها لم تتمكن من فعل ذلك، إذ راح أندريو يغمغم قائلاً: «جميلتي، جميلتي...».

أرسل صوته نبضات قوية من الشوق في أعماقها. فشعرت بالخجل من نفسها!

فجأة اقترب أندريو وعانقها، فاستحصل منها على تجاوب لم تكن تدرك أبداً أنها تستطيع القيام به. لقد تطايرت كل قيمها الأخلاقية بفعل عاصفة هوجاء محمّلة بالمشاعر الحامية، حيث لم يعد أي شيء آخر يهمّ سوى تناغم صوت ضربات قلبه مع نبضات قلبها التي راحت تدق بوحشية أيضاً.

٧ - حب أم هذيان؟

جلست ميرسي إلى طاولة المطبخ وهي تحدّق بكآبة ويأس إلى كوب القهوة الذي أعدّته لنفسها، وما عادت ترغب به الآن. لقد بذلت جهدها كي تكون هادئة وعقلانية أمام الوضع المحرج الذي وجدت نفسها فيه. ما قامت به هو مهمّة حيوية وضرورية، لكنها لا تحتمل. شعرت أن جسدها بأكمله يتألم شوقاً لأندريو، فقد أثار قربه منها كل خلية من خلاياها.

تذكرت كم تصرفت بضعف فتعلّقت به و... غمرته وضمته إليها بشوق ولهفة، فيما تجاوب أندريو لذاك السحر المتوهج. أحبت أسلوبه في التجاوب معها بخفة وشوق. هذه الذكرى كفيلة بجعل وجه ميرسي يتحول إلى لون قرمزي من فرط خجلها وحيائها.

أجبرت نفسها على التذكر كم تساوت مع أندريو في الحماس واللهفة.

لكن أندريو جمد فجأة في مكانه، ثم أدار لها ظهره وغرق في نومٍ عميقٍ جداً أشبه بالغيبوبة....

كيف عساها استطاعت أن تتصرف كما لو أنها امرأة مستهترة حقاً؟ تساءلت ميرسي عن ذلك وهي يائسة ضعيفة الحيلة، فيما تلاطمت أمواج ضخمة من مقت الذات، حاملة لها الخزي والخجل.

إن كانت لا تستطيع التخلّص من حبها لأندريو فعليها أن تتعلم الإبقاء على هيامها به سرّاً، فلا تقول شيئاً، ولا تقوم بأي تصرفٍ يلمّح له بكيفية شعورها نحوه. أما في الوقت الحالي فبدا لها أن ليس هناك سبيل سهل للخروج من هذا الموقف الميؤوس منه.

لا تذهبي إلى هناك! قالت ميرسي ذلك لنفسها مطلقة أنيناً وهي تحس

بالغثيان.

اندفعت زاحفة خارج ذاك السرير، فيما بدا وجهها مشتعلاً، ثم ابتعدت منخفضة الرأس، شاعرة بالرعب. فقد كانت منذ لحظات فقط مأسورة ضمن دائرة من السحر والجاذبية والمشاعر التي لا تتلاءم مطلقاً مع ما تعرفه عن نفسها. أما الآن، فعليها إجبار نفسها على الصعود مجدداً إلى غرفته، مع دنو الموعد التالي لجرعة الدواء التي ينبغي عليه تناولها.

هزّت أندريو بلطف حتى استفاق. ثم لاحظت بذاك الجزء المنطقي من دماغها أن الحمى أصبحت أخف. عندئذٍ حثّته على تناول حبة الدواء، ثم على شرب كوبِ الماء بأكمله.

لحسن الحظ، امتثل أندريو لتعليماتها، مطلقاً دمدمة كعربون شكر. حتى إنه لم ينظر إليها... هذه المرة ناولها الكوب الفارغ ببساطة، ثم أدار لها ظهره.

أحسّ جزء منها كما لو أنها تلقّت لكمة في عينها تماماً. أتراه كان يهذي إلى حدّ أنه لم يتذكر أي شيء؟ هذا ما أملت به، وجعلها ذلك تشعر بلحظة مريحة مطمئنة. أرادت أن تتمسك بهذا الأمل بكل قواها. أما إذا كانت مخطئة في اعتقادها، وكان أندريو يتذكر بالفعل، فهي لن تكون قادرة أبداً على النظر إلى وجهه مباشرة بعد اليوم.

هنأ أندريو نفسه على وضوح تفكيره، فيما رفع جسمه واتكأ إلى الوسائد وقد شبك يديه خلف رأسه.

إنه حقاً يشعر بالانجذاب نحو مدبرة منزله الجميلة الممتلئة الجسم، بكل ذرّة في كيانه. فهو لم يتعلّق قط أبداً بأية امرأة بمثل هذا اليأس والجنون. أما تجاوبها معه فهو أمر لم يختبره من قبل في عالمه.

أضاءت عيني أندريو الفضيتين الغامقتين ابتسامة توقٍ وانتظار. سيتوجب عليه القيام بتحركاته بعناية كبرى. فبغض النظر عن ردّة فعل ميرسي المتجاوبة معه، فإن ميرسي فتاة تتمتع بقيم أخلاقية عالية.

ستكون تلك تجربة أولى بالنسبة إليه. إنه تحدٍّ سيتلذذ به، فأندريو لم يضطر أبداً من قبل في حياته أن يسعى إلى أيّة امرأة متوددا أو متوسلاً. فهو عادة يضطر

إلى مقاومتهنَّ وصدّهنَّ عنه، فيرفض العدد الأكبر منهنَّ وقلّما يختار واحدة. إلا أن ذلك بدأ يسبب له الملل.

أما هاورد، حتى في شخصيتها المهملة البسيطة، فإنها لم تضجره أبداً، وهو يتوقع أن يقنعها بعلاقة تدوم لمدّة تزيد عن الأسابيع القليلة التي اعتادها مع النساء!

بدّل أندريو وضعيته وقد بدأ يشعر بالضجر. كم عليه أن ينتظر بعد حتى يحين موعد قدومها لحمله على تناول حبة دواءٍ أخرى؟ إنه يرغب بوجودها هنا الآن، لكن حريٌّ به أن يسير وفق استراتيجيته المرسومة. عليه ألاّ يتسرع بالأمور.

تذكّر كيف بدت ميرسي حين ناولته حبة الدواء تلك، فقد سيطر عليها الخجل والاحراج والخزي والتوتر، إلى حدّ أنها بدت مستعدة للهرب من الغرفة وهي تصرخ إن لم يفعل أكثر من الابتسام لها. سيضطر إلى استجماع كل قدرته على ضبط النفس كي يهدىء روعها، تماماً كما يعمل على تهدئة فرسٍ مرتعبة.

أما الأمر الأشد إلحاحاً فهو إبعادها من هنا. بعيداً عن الرجل الذي كانت تستضيفه في غرفتها، وتقدم له على الأرجح، مشروب الكاكاو مع البسكويت، حسب معرفته بها! كان أندريو حينها غاضباً، فأخذ يقسم على طردها بدوافع ملتوية، تعود على الأرجح إلى شعوره السيء حينها.

لكن مهما حصل، فهو لن يؤذيها مطلقاً، فهي انسانة مميزة جداً بالنسبة إليه.

استقر أندريو على تلك الفكرة اللطيفة الراضية وأخذ ينتظرها.

كانت الغرفة مظلمة حين دخلت ميرسي مصممة على جعل نبرتها تبدو عادية، وكأن شيئاً لم يحدث بينهما. ضغطت على زر الإنارة، ثم قالت: «حان وقت تناول حبة الدواء.. كما سخنت لك بعض الحساء».

ألقى أندريو باتجاه ميرسي نظرة نكدة مشاكسة مقصودة، ثم مال على جانبه وجرّ اللحاف صعوداً حتى كتفيه وقال: «لا أريده».

أطلقت ميرسي نفسها الذي كانت قد حبسته، فخرج على شكل نفخة ارتياح. ذاك النوع من الردود هو ما أملت بالحصول عليه. لقد عاد أندريو إلى طبيعته؛ لا تعلّق غير مبرّر، ولا توسل لأن تبقى بقربه! بدا لها حقاً أنها أصبحت حرّة طليقة، معفاة من الخجل والاحمرار. أما إذا بقيت لديه أية ذكرى ضبابية غامضة عمّا قد حدث، فإنه سيعزوها إلى حلم سبّبه له الهذيان والحمى.

هزّت ميرسي علبة الدواء لتخرج حبة منها، ثم ناولتها لأندريو ومرّرت له كوب الماء، فيما وبّخته برقة قائلة: «لا تكن صعب المراس! ابذل بعض المجهود على الأقل».

لفّ فم أندريو ما يشبه الابتسامة، إذ قال: «متنمّرة!».

أدركت ميرسي أن قلبها على وشك أن يذوب متحولاً إلى ما يشبه الهلام اللزج. لذا هرعت عابرة ألواح الأرضية اللامعة حتى تنزل الستائر في وجه سماء الليل. أخيراً استدارت، وقد استغرقتها هذه المهمة البسيطة وقتاً أطول من اللازم. أما أندريو فكان مستنداً إلى الوسائد، وهو يمسك الصحن الذي يحتوي على الحساء، ويحرك الملعقة في داخله.

- آسف، هاورد. أنا ببساطة لا أستطيع تناول أي شيء. يا لها من إتفلونزا. سأكون على ما يرام غداً. في مطلق الأحوال، أظن أنني بحاجة إلى استراحة جدية حقاً. فأنت تعرفين ما يقال، إنه لا يجوز العمل باستمرار من غير لهو.

بدا لميرسي أن بريق عينيه يسبب لها ارتفاعاً في الحرارة. قد يكون أندريو شاحباً لأن الفيروس الذي أصابه أدى إلى امتصاص كلّ الطاقة الحيوية التي يتمتع بها، لكن هذا الأمر لم يؤثر على تلك الكاريزما المتألقة التي تتمتع بها عيناه الرائعتان. هو على الأرجح لا يعلم أنه يفعل ذلك، أما هي فإنها تستطيع التعامل مع الأمر، لا مشكلة! لكن قلبها المحب الحنون أخذ يعتصر متألماً، فيما قاومت رغبتها بالاندفاع لاحتضانه.

أخذت صحن الحساء الذي بدا الآن في خطر أن يسكب محتوياته على الغطاء

www.elromancia.com

باذلة جهدها لتناسي كم تحبه بشدة، وكم تتوق وتتأوه حتى تريحه وتدفئه. لذا قالت له بنفور: «لا مشكلة. يمكنك أن تتناوله عندما تشعر بالجوع. أما في الوقت الراهن، إذا لم يكن هنالك ما تحتاجه، فسأقول لك عمت مساءً».

ثم فرّت من الغرفة قبل أن يفكر بشيء ما.

أحسّت ميرسي أنها أصبحت أفضل حالاً وأقل توتراً بعد أن أمضت معظم الليل تعظ نفسها وتقنع ذاتها بقوة وشجاعة، أن أندريو لا يتذكر ما حصل بينهما من عناق.

عند حلول الصباح، توجهت على عجل نحو غرفة المريض، وهي تحمل صينية عليها كوب عصير مع صحن من عجة البيض المزينة بمثلثات خبز محمص صغيرة مدهونة بالزبدة الساخنة. لاح أمام ميرسي منظر أندريو، وهو مرتدٍ سروال جينز مع قميص قطنية باهتة اللون، فيما كان يمشي مترنحاً كما لو أنه عجوز في التسعين من عمره يعاني من ضعف ووهن. أطلق زفرة غاضبة، وقال: «أنا أمرّن رجلي».

فهو مصممٌ على ألاّ ينظر في تينك العينين الكبيرتين الزرقاوين اللامعتين، اللتين اتسعتا للتو فأوشكتا أن تملآ وجهها الرائع. تابع قائلاً بنكد وضيق: «أشعر كأن رجليّ ليستا ملكي، لذا سأعمل على تمرين هاتين الرجلين اللعينتين حتى أتمكن من التحكم بهما!».

استجمعت ميرسي كل قوة في جسدها، كي لا تهرع إليه لمساعدته كما لو كانت مغفلة مهووسة بالحب. ابتلعت ريقها بشدّة وقالت له محاولة أن تبدو واقعية بقدر الإمكان: «اجلس على ذلك الكرسي وتناول فطورك».

راقبته ينصاع لأوامرها، في حين أنها توقعت منه العكس تماماً. توقعت أن يقول لها إنه لا يرغب بذلك، وأن يرمقها بنظرات ثائرة رافضة إلى أقصى حد.

وضعت ميرسي الصينية في حضنه، ثم ارتكبت خطأ النظر إلى وجهه الوسيم، فأحسّت أن ما في داخلها يرتعش بشدّة. وفكرت بأن اللون عاد على الأقل إلى وجه أندريو، فيما بقيت مصممة على تجاهل الأسلوب الذي امتلأ فيه جسدها بأكمله بالحياة والحيوية، حين اقتربت منه أندريو. لم تقدر

على تمالك نفسها، فواسته قائلة برقة: «أنت تبلي بشكل رائع، لكن لا تبالغ في الأمر. فقد كنت مريضاً جداً، والدواء يأخذ مفعوله الآن. فضلاً عن ذلك فأنت تتمتع ببنية قوية، وإذا نظرت إلى الأمور بعقلانية، وأخذت المسألة بهدوء وثبات، ثم تناولت مقداراً جيداً من الطعام، فسوف تعود إلى عافيتك في وقت قريب».

دفع أندريو بمثلث صغير من الخبز المحمّص إلى فمه، لأنه اعتبر أن ذلك هو الأسلوب الأفضل لمنع نفسه من إطلاق ابتسامة عريضة. إنه ببساطة يهيم بذاك التعبير المبهم الصادق الجديد الذي ترسمه ميرسي على وجهها، حين تُلقي إحدى محاضراتها الإرشادية الصغيرة، وهو أمرٌ تفعله باستمرار. من جهة أخرى، لاحظ أندريو هذا الصباح أنها ترتدي إحدى تلك البذلات الرمادية الفضفاضة، ما يؤكد ظنّه بأنها شعرت بالاحراج والنفور حيال العناق الذي تشاركا به. لا بد أنها لبست هذا الرداء الرمادي كدرعٍ واقية، فذاب قلب أندريو عند استنتاجه للأمر. يا لها من صغيرة مسكينة!

بذل جهده، كي يجعل صوته يبدو واقعياً صادقاً قدر الامكان، وذلك لوضع أولى خطوات خطتّه قيد التنفيذ، فقال: «هاورد...!».

وقفت ميرسي باستقامة، وكانت تنوي رفع كومة من الأغطية المرمية على الأرض، أما وجهها الجميل فبدا مشدوداً بما افترض أندريو أنه شيء من الخوف. تابع كلامه قائلاً: «أحقاً أنني كنت مريضاً جداً؟ إن يوم الأمس ممحو تماماً من ذاكرتي».

على الفور رأى الارتياح يغمر ملامحها، فنعم فجأة بدفء ابتسامتها الجميلة المشعة. علم حينها أنه ضرب على الوتر الحساس المناسب، وأمل أن ينجح في تحقيق الجزء الثاني من مخططه.

– كنت محموماً جداً، وأعتقد أنك كنت تهذي معظم الوقت.

بدا الارتياح الذي غمر ميرسي هائلاً جداً إلى حد أنها أحسّت بالدوار. الحمد لله، إنه لم يتذكر أي شيء! ذلك النهار ممحو من ذاكرته، بما فيه تلك المعانقة الحميمة التي تندم عليها! لن يعلم أبداً كيف قامت مدبرة منزله المتواضعة

باستغلال هذيانه، فيما كان ضعيفاً لا يقوى على التفكير بعقلانية! لن تكون مضطرة إلى الاحمرار خجلاً ولا الشعور بالتوتر في حضوره. إذا ما تمكنت من التصرف كما لو أن شيئاً لم يتغير في الوضع الراهن، فسوف تتمكن من الاحتفاظ بكرامتها وبوظيفتها.

أما أندريو فساوره توق شديد إلى اليوم الذي سيصبح فيه قادراً على إغراقها بعبارات الحب والغزل، لكن في الوقت الحالي عليه أن يخطو بدقة ورقة. قال لها: «هناك أمرٌ آخر هاورد . . . قررت أخذ استراحة طويلة . . . ولو متأخرة، حتى أقوم بزيارة منزلي على شاطىء أمالفي، لأسبوع أو ما يقاربه. ناوليني الهاتف فهنالك ترتيبات علي القيام بها، وبعد أن تنتهي من الغسيل، اجلبي لي كوباً من العصير».

صرفها بنجاح من الغرفة، ثم ضغط على أرقام الهاتف التي ستصله بمدبرة منزله الأخرى المقيمة في أمالفي، حيث أعطى التعليمات لتلك المرأة الإيطالية الكثيرة الكلام بأن تختفي وترحل. أمرها بأن تأخذ إجازة إضافية مدفوعة وغير مدرجة في القائمة، في أي مكان بعيداً عن أمالفي، لمدّة لا تقل عن الأسبوعين.

لكن أندريو عاد وأحسّ بالذنب فوراً حيال ما فعله، فشعر بسوء كبير. لم يكن يوماً ملتوياً في أساليبه، لكن ها هو الآن يتصرف كما لو كان ثعباناً خبيثاً ماكراً. برّر الأمر لنفسه قائلاً إن الغاية تبرر الوسيلة، حتى لو كانت هذه الأساليب كريهة وبغيضة. أعلن لميرسي فور دخولها الغرفة من جديد: «مدبرة منزلي في إيطاليا غائبة الآن، لذا عليك أن ترافقيني».

شاهد أندريو اللون الوردي ينتشر على خدي ميرسي، فعلم أنها على وشك أن تبدي اعتراضاً قوياً على الموضوع. لذا، وقبل أن تفتح فمها وتقول ما يدور في رأسها بوضوح، حرّك رأسه بسرعة قائلاً لها: «واجبك هو الاعتناء بي وبيئتي المنزلية أينما كانت إقامتي، وبما أن سوفينيا ليست هناك سيتوجب عليك أن تحلّي محلها».

٨ - أين المفرّ؟

- إذاً أنت تختبئين هنا!

ضاق حلق ميرسي وشعرت بالتوتر ما إن سمعت من خلفها مباشرة نبرة صوت أندريو المخملية الخشنة. أحسّت أن خديها يلتهبان، وسرت الحرارة في أوصال جسدها كافة. فهي ترتدي لباس سباحة خفيف مكون من قطعتين، كان أندريو قد اختاره لها شخصياً خلال أول نهارٍ أمضياه هنا في إيطاليا. يومها قال لها بإلحاح: «عليك أن تنظري إلى هذه الإجازة كاستراحة بالنسبة إليك أيضاً، فما النفع من حوض السباحة الموجود في الڤيلا إذا لم يتم استخدامه؟ لا تجادلي! إن لم تقومي باختيار ثوب سباحة، فسأفعل ذلك بنفسي!».

لا بد أن أندريو لم ينظر بما يكفي إلى ما انتقاه لها. قررت ميرسي ذلك بنيّة حسنة لدى ارتدائها ثوب السباحة للمرة الأولى، وقد نوت أن تسبح بعد الظهر. في الواقع، وجدت أنه ثوب فاضح جداً، لذا خلعته بسرعة فائقة، لكنها لم تقوَ على مقاومة إغراء المياه الزرقاء المتلألئة، فاستيقظت قبيل بزوغ الفجر، فيما رب عملها ما يزال نائماً بأمان.

أما الآن. . . اللعنة! ها قد وجدها، وهي ترتدي هذا الشيء المحرج!

- هل استمتعتِ بالسباحة؟

- نعم. استمتعت كثيراً.

كانت ميرسي تجلس على حافة البركة البيضاوية الضخمة، ولم ترغب بأن تستدير لتنظر إلى أندريو. ليس وهي ترتدي هذا الثوب الذي يكشف الكثير من جسدها. بالطبع، هذا الأمر لن يؤثر به، لكنه يؤثر بها هي. فهي لا تحتمل أن

يقترب منها هذا الرجل الذي أخذت تقع في حبه أكثر فأكثر، وهي ترتدي ثوب سباحة كهذا.

حاولت جهدها أن تقول شيئاً يدفعه إلى الانصراف، فأطلقت أنفاسها المحبوسة قائلة: «سأدخل فوراً، لأقوم بتحضير الفطور».

تساءلت هل تؤدي المنشفة الصغيرة التي تستخدمها لتجفيف شعرها المطلوب لتغطية جسدها بشكل كافٍ؟ هذا في حال لم يفهم أندريو تلميحها، بأن يختفي داخل المنزل أثناء انتظاره للقهوة واللفائف المقرمشة والتين الطازج والمشمش، أي الفطور الذي يفضله كوجبة أولى يباشر بها نهاره.

ردّ أندريو: «اليوم قمت أنا بتحضير الفطور. تعالي!».

استطاعت ميرسي أن تلاحظ بطرف عينها أنه يمدّ لها يده لمعاونتها على الوقوف على قدميها.

أدركت أنها لا تستطيع رفض قبول عرضه النبيل غير المؤذي بمساعدتها على الوقوف، فذلك قد يجعله يشك نوعاً ما بحالة مشاعرها الحقيقية حياله.

أخذت ميرسي يده، فأحسّت بالضعف على الفور لدى ملامستها لقبضته الحازمة، التي أطلقت شحنة كهربائية مليئة بالحيوية في كيانها، نهضت واقفة على قدميها، وفي الوقت نفسه قامت بتغطية بعضٍ من جسدها بواسطة المنشفة الصغيرة التي تحملها.

- إنك تمتلكين جسماً رائعاً، فلا تحاولي تغطيته.

سحب أندريو المنشفة من يدها، وظلّ ممسكاً بها. في هذه الأثناء مسحت عيناه الفضيتان اللتان كانتا تغليان على مهل، بنظرات متفحصة قامة ميرسي الرشيقة، متأملاً ذلك الجسم المليء بالأنوثة والجاذبية، وذلك الخصر النحيل، قبل أن تنتقلا إلى عينيها الزرقاوين اللامعتين.

كم يتوق إلى معانقتها ونسيان ذاته في هاتين العينين! لكن حملته للحصول عليها تتطلب الرقة، هي فتاة مميزة جداً، وهو لن يخاطر بإخافتها، وجعلها تهرب بسبب خطوة خاطئة.

حين يعانقها، يريدها أن تبادله العناق بشوق يساوي شوقه إليها. ما

سيتشاركان به سيكون ثميناً بالنسبة إليه، إلى حد أن يوم انتهائه بدا له بعيداً جداً... إنه خارج مرأى نظره. ذاك الاقتناع الذي يحصل للمرة الأولى معه، جعل أنفاسه تضيق في صدره، فاقترب حاجباه من بعضهما في تشنّج وارتباك.

جرجر أندريو نظراته بعيداً عنها. فأرخى أنامله على مضض، ثم أفلت يدها، وقال: «تعالي!».

بدأ بعدئذٍ يسير متوجهاً نحو الڤيلا، فيما عكست الجدران البيضاء وهج شمس الصباح، ثم تابع يقول: «سأحضر القهوة، بينما ترتدين أنت ملابسك».

أطلقت ميرسي تنهيدة مرتعشة، ثم تبعته برجلين ثقيلتين غير ثابتتين، فيما توزعت نظراتها في جميع الاتجاهات باستثناء الجسد الحيوي الذي يتقدمها. هذا الصباح ارتدى أندريو سروالاً من الجينز الضيق وقميصاً ذات لون أسود قوي صارم.

أتراه كان يعني ذلك، حين قال لها إن جسدها رائع؟ أم أنه كان يغيظها، وقد استشعر إحراجها، فحاول تهدئتها؟ ها هو الآن قد عاد إلى طبيعته على الأقل بلياقته البعيدة بعض الشيء، والتي لا تخلو من متعة. تلك اللياقة التي أظهرها خلال الأيام القليلة الماضية، منذ وصولهما إلى إيطاليا.

وافقت ميرسي على القدوم إلى هنا بسبب إصراره على مجيئها، ولأنه يدفع لها راتبها، لكن السبب الأساسي الذي دفعها إلى الموافقة هو أنه لم يبدِ أي إشارة تدل على تذكّره ذلك العناق الحار المتقد الذي جرى في غرفته. كما أنه أمضى معظم وقته في الأيام القليلة الماضية وهو يعمل في مكتبه، محاولاً التغلب على التأثيرات التي تركها الفيروس عليه، فلم يكن يتحدث معها إلاّ حين تدعو الحاجة إلى ذلك.

لكن الطريقة التي نظر بها إليها الآن بالذات، حيث جالت عيناه الفضيتان المدمرتان، على جسدها المرتعش، جعلتها تفقد إحساسها بالأمن، وتشعر بالرعب والقلق. كيف بحق السماء ستجد قوة الإرادة لتبعده عنها؟ أتراه فكر أنه أمضى الكثير من الوقت من غير رفقة امرأة وهو بحاجة إلى لهو

خفيف خلال الإجازة؟ إن طريقته في النظر إليها بدت . . . وقحة جداً! من المستحيل أن توافق على أن تصبح لعبة بين يديه! أخذت بشرتها تنتفض كما لو أن آلاف أجنحة الفراشات تلفحها.

رغم ذلك، ولحسن حظها، راح أندريو يسير بخطى مسرعة، مبتعداً عنها من غير أن يلقي حتى نظرة واحدة إلى الخلف، ما ساعد على إقناعها بأنه يلتزم بعلاقة رب العمل والموظفة لديه. لكنها كرهت نفسها لأن ذلك بالتحديد وهو ما يفترض أن يكون أمراً معزياً، جعلها تشعر بخيبة الأمل. انسلّت ميرسي إلى الڤيلا عبر المدخل الرئيسي، فيما توجه أندريو نحو البوابة المؤدية إلى الباحة الخارجية المسوّرة حيث يقع المطبخ.

بعد وقت قصير ارتدت تنورة قطنية مبهجة رخيصة الثمن وقميصاً حريرية زرقاء، وأجبرت نفسها على التوجه نزولاً نحو المطبخ، حيث استطاعت أن تسمع أندريو يدمدم مصفّراً، كما سمعت صوت طقطقة قطع الأواني الخزفية الخاصة بتحضير القهوة. كان أندريو يضع إبريق القهوة على صينية محمّلة بالأغراض سلفاً، فيما دخلت ميرسي وهي تجذب نفساً إلى صدرها لتهدئة دقات قلبها المتسارعة. أخذت معدتها تتقلّب ما إن رأت الأسلوب الذي رفع به أندريو نظره إليها، فيما سقط الشعر الأسود الناعم على جبهته بشكل صبياني. كادت تدور على عقبيها وتهرب إلى مكانٍ آمنٍ، لكي تبتعد قدر الإمكان عنه بعد أن شعرت بجاذبية كاسحة تجاهه.

ما بها؟ لطالما تميّزت مواقفها بالشدة والصرامة! راحت توبخه مصدرة صوتاً يشبه الزقزقة مذكرة إياه باختصار: «يفترض أن أكون أنا مديرة المنزل، فلهذا السبب تدفع لي أجري. لا تقل لي إنك أحضرتني إلى هنا بذرائع مزعومة؟».

آه. . . من الخطأ أن تقول له ذلك! لامت ميرسي نفسها حينما لاقت عيناه الفاتنتان عينيها، فحدّق إليها بحميمية مخدّرة مذهلة، قبل أن يردّ قائلاً: «وهل تمانعين لو فعلت؟».

كيف يفترض بها أن تجيب عن هذا السؤال؟ أوشكت أن تجيب برد لاهث هامس: لا أبداً . . . إنه ردٌّ يستطيع أندريو على الأرجح أن يستخرجه من أية

امرأة سواها على وجه الأرض. لكنها ليست أية امرأة، أليس كذلك؟ إنها تتحلى بقيم أخلاقية عالية. أرغمت ميرسي نفسها على التفكير بذلك، فأبدت ملاحظتها بشكل عادي قائلة: «من الطبيعي أن أفعل. فأنا أعترض بشدة على قبض أجوري من غير أن أؤدي واجباتي على أكمل وجه».

الابتسامة العريضة التي ظهرت على شفتيه جذبت ميرسي إلى سحره المغناطيسي، ما أطلق نواقيس الخطر في رأسها. رفع أندريو الصينية الثقيلة كما لو أن وزنها لا يزيد عن وزن ورقة شجر متساقطة، وقال: «لنتناول الفطور خارجاً».

خرج من باب الفناء الخارجي، فوضع الصينية على طاولة خشبية متينة تقبع تحت غصنٍ مغطّى بالكرمة، وتابع: «الطقس رائعٌ جداً، ويجب ألاّ يضيع سدى، كما أن اليوم هو يوم إجازة لكلينا. أخبريني، ما الذي ترغبين بفعله؟».

ثم أمسك الكرسي لها كي تجلس. جلست ميرسي متجاهلة دقات قلبها المتسارعة، ثم أجابته وهي تكتم ما يدور في خلدها: «فكّرت أن أغسل أرضية المطبخ».

- بصفتي رب عملك، أمنعك من القيام بذلك.

سكب أندريو القهوة وناولها فنجانها. ثم جلس على الكرسي المقابل لها، ماداً رجليه الطويلتين، فيما بدت ابتسامته الساحرة مليئة بالإغواء وهو يتمتم: «اليوم سوف أقوم أنا بتدليلك، فنستمتع بذلك معاً. يمكننا أن نقود السيارة نزولاً نحو أمالفي، فنتناول الغداء ونمضي النهار هناك، كما يمكننا الاسترخاء هنا سوياً في حوض السباحة وتحت الظلال التي تحيط به لنتحدث قليلاً. هنالك الكثير مما أود معرفته عنك. اليوم، انسي بأنني مستخدمك وبأنك من تغسل جواربي وتمسح أرضيات منزلي، وكوني فقط ملاك الرحمة الجميل الذي يعتني بي أثناء مرضي. ميرسي. . . ! اسمك يعني الرحمة. أحسن والداك باختيار هذا الاسم لك. أليس كذلك؟».

إنه يغازلها! يا إلهي! أتراه يشعر بالملل بسبب قلّة الحركة، وهو أمر غير اعتيادي بالنسبة إليه؟ هل تدفعه طبيعته الحيوية المتململة إلى البحث عن

المتعة على حسابها؟

رفضت ميرسي هدر المزيد من الجهد في محاولة إيجاد الأجوبة عن أسئلتها، فارتشفت رشفة كبيرة من القهوة أحرقت فمها، فيما قال أندريو: «قرري أيُّ الأمرين يرضيك أكثر أثناء تناولنا للطعام. ما من داع للعجلة، فلدينا كل الوقت الموجود في العالم».

كلا الخيارين مستحيلٌ بالنسبة إليها، نظراً إلى حالة مشاعرها! عليها أن تتملص من الذهاب معه إلى أي مكان، أو القيام بأي شيء برفقته. ابتلعت أنيناً صامتاً ينم عن إحباطها، وفكرت مرتعبة بالخيارين اللذين عرضهما عليها أندريو. عند مجيئهما، قاد أندريو السيارة نزولاً من التلال، فمرا بأراضٍ زراعية على شكل جلول، وصولاً إلى أمالفي، حينها أصرّ أندريو على شراء ذلك الثوب الخاص بالسباحة لها. بدا لها من الممتع التجول في أنحاء الأزقّة الأثرية وساحات المدينة القديمة، وهما يستكشفان السوق المطل على الواجهة البحرية. يومها قرّرا أن الشاطىء مكتظ جداً كي يتمشيا عليه، بعدئذ قادها أندريو نحو المدينة حيث تناولا غداءً من ثمار البحر، إلاّ أنه ظل صامتاً في الغالب، وذلك وضع غير اعتيادي بالنسبة إليه. عزت ميرسي صمته هذا إلى الوهن الناتج عن الانفلونزا. أما اليوم فبدا مليئاً بالحيوية من جديد وهي لا تظن أن بمقدورها تحمُّل قضاء يومٍ كامل برفقته. أعلنت ميرسي قائلة: «أفضل البقاء هنا».

لاحظت أنه أنهى تناول الطعام، فاتكأ إلى الخلف، فيما لف إحدى ذراعيه خلف مسند الكرسي. راح ينظر إليها، وتلك الابتسامة الشيطانية تتراقص فوق زاويتي فمه المكتنز. قفزت ميرسي واقفة على قدميها، وبدأت تكدّس الصحون الفارغة على الصينية، فيما تمنّت لو أنها حملت البذلة الرمادية الفضفاضة بين أغراضها، فهي على الأقل تعطيها هيبة مدبّرة المنزل. قالت لأندريو: «أنت أردت أخذ إجازة. لذا يمكنك الاستمتاع بها. أما أنا فلدي عمل أقوم به».

امتدت يد أندريو على الفور لتوقفها، فيما أحكمت أنامله الطويلة القبضة

حول معصمها، وقال: «توقفي! ليس عليك أن تهربي مني». راح يداعب بشرة رسغها الخلفية الرقيقة بابهامه، فحبست ميرسي أنفاسها راغبة بأن تنفض يده لتبعدها عنها. علمت أن يجدر بها فعل ذلك، لكنها بشكل ما تركتها حيث هي تماماً، مخدرة بالاحساس الذي بعثته فيها.

طمأنها أندريو بكلام تشوبه الضبابية: «أنا لست عدوّك».

النبرة الرقيقة التي تلفظ بها بتلك العبارة جعلت عظامها تذوب، إلاّ أنها وقفت تتحداه دفاعاً عن نفسها، فردّت قائلة: «أنت رب عملي، سيدي. لا شيء آخر».

بل أنت ببساطة حب حياتي! ساورتها رغبة قوية بأن تبكي بكاءاً شديداً. نهض أندريو واقفاً على قدميه، وهو ما يزال ممسكاً برسغها عبر الطاولة، ثم جذبها إلى جانبه، فأصبحا قريبين جداً من بعضهما حتى كادا يتلامسان.

ارتخت اليد الممسكة برسغها... أدركت ميرسي أنه يجدر بها الابتعاد، لكنها لم تستطع إجبار نفسها على ذلك. كما اضطرت إلى مقاومة رغبة عارمة تدفعها إلى الدنو منه أكثر.

- يمكنني أن أكون... شيئاً آخر.

تعمدت ميرسي أن تسيء فهم ما يبدو بوضوح غزلاً وتقرباً منها، فأجبرت نفسها على مقاومة الإغواء الذي يقدم لها بأي شكل من الأشكال. نزعت يدها من حيث أمسك بها أندريو، وردّت عليه بكلامٍ لاذعٍ: «أنا واثقة من أنك قادر على أن تكون شيئاً مختلفاً».

ثم رفعت ذقنها وتابعت: «لِمَ لا تبدأ بحسن السلوك والتصرف، مع توفر الدروس المناسبة».

تجمدت ملامح أندريو وظهر عليه سكونٍ وجمودٍ مفاجئين لوهلة فقط، قبل أن يتقوس حاجباه منحدرين نزولاً. ثم سألها وهو يضع يديه على وركيه النحيلين: «أتتهمينني بسوء السلوك وبالتصرف المشين؟».

تأججت عيناه ذات الرموش الكثيفة بالنيران، وهما تنظران نزولاً نحوها، فيما ضاق أنفه الأنيق الرفيع الحاد بسبب انزعاجه العميق.

عضّت ميرسي على شفتها وهي تكتم بسرعة قهقهة كادت تفلت منها. لو أنها اتهمت بابا روما بأنه قوّاد لما ظهر عليه مثل هذا الغضب الدال على عزّة نفس قوية. لقد أغضبت أندريو إلى حد كبير، فالنظرة التي ظهرت في عينيه كانت ستدفع بأي موظف متملّق كي يحاول تغطية ما قاله، إلا أنها لم تسبب الخوف لميرسي التي بادلت غضبه هذا بابتسامة ساحرة، لأنها ببساطة لم تعد قادرة على تفادي الابتسام. بعدئذٍ قومت كتفيها واستعدت لتواجه أي نقد لاذع جاحد بارد يقرر أندريو أن يرميها به.

فجأة تلاشى غضب أندريو، وكأن تلك الابتسامة الرائعة التي ظهرت على وجه ميرسي هي ما يطلبه. لطالما فعلت ابتسامتها ذلك السحر، فحوّلت الامرأة الشابة الجذابة المثيرة للاهتمام، إلى آية من الجمال بشكل يثير الحماس والشوق. عادت الحرارة لتندفع في عروق أندريو بشكل لا يمكن إيقافه. في تلك اللحظة قرر أن الصبر لم يعد يجدي نفعاً، فودّع خطّة تقربه منها بالأسلوب الرقيق الناعم إلى غير رجعة. أمسك بجسدها الرائع الجمال بين ذراعيه، وأخفض رأسه نحوها، وعانقها...

شعر أندريو أنه يتوق إليها بحماس يائس، وهو إحساسٌ جديد تماماً بالنسبة إليه. إنه اليأس الذي شتت كل ما خطط له من إغواء رقيق، فذهب مخططه مع الريح. أما آخر فكرة متماسكة عبرت في رأسه كالغيمة الرقيقة، فهي أن ما من امرأة غيرها امتلكت القدرة على جعله يبدّل مجرى مخططاته التي وضعها من قبل. لا أحد سوى ميرسي استطاع أن يمحو لديه كل أثر للسيطرة على الذات وقوة الإرادة.

توقفت ميرسي عن التنفس ما إن اشتد ضغط ذراعي أندريو عليها. بادلته عناقه فيما تسارعت دقات قلبها، وأحسّت أن كل ما تمتلكه من تفكير عقلاني يتبخر ويذهب بعيداً. شعرت بنفسها تذوب بين ذراعي الرجل الذي تحبه بشغف، وتلك كانت آخر فكرة متماسكة راودتها، قبل أن تتحرك يد أندريو لتداعب خصلات شعرها.

شهقت ميرسي بصوتٍ مسموع، بينما ارتعشت كل ذرّة في جسدها متجاوبة

معه. عندئذ ابتعد أندريو قليلاً عنها، قائلاً بصوتٍ متهدج: «أنت رائعة! وأنا أشعر بالانجذاب نحوك. أريدك دوماً في حياتي... إلى جانبي..».

كان أندريو يعرض عليها الجنّة، وأحسّت ميرسي أن جسدها يهددها بالانهيار، قبل أن تصفعها هبّة هواء جليدي من المنطق سببت لها الخجل.

وبسرعة، أعادت التفكير بالأمر، مفكرة أنه أقرب إلى الجحيم منه إلى الجنة. جاهدت لاستعادة ربطة جأشها، وقدرتها على التفكير السليم. بالطبع، سوف تحظى ببضعة أسابيع في الجنة، قبل أن يسأم أندريو منها، فيجرح مشاعرها، ويحطم قلبها، ويطرحها جانباً كما يطرح قطعة من الملابس ملّ استخدامها. من المؤكد أنه لن يشعر بأسف أو بندم، فهو لم يحزن ولم يأسف مطلقاً حين أعطى تريشا أوامره بأن تبتعد عنه وتخرج من حياته.

لحسن الحظ أن ميرسي حظيت بتحذير مسبق منه، وذلك درع عليها استعماله لصدّ أية جروح مريرة قد تلمُّ بقلبها مستقبلاً.

أخيراً نطقت قائلة: «لا!».

في الواقع أرادت أن تزعق بأعلى صوتها أنها لن تحب أبداً أي رجلٍ آخر كما أحبت أندريو. لكن...

ردّ أندريو: «أنت لا تعنين ذلك».

متجاهلاً محاولاتها لوضع مسافة بينهما، أمسك بوجهها، فاحتضنه بأنامل طويلة رقيقة، مصرّاً على أن تنظر مباشرة في الدفء الفضي لعينيه، وقال: «أعلم أنك لا تفعلين. أنا لم أشعر يوماً بانجذاب تجاه امرأة كما أشعر حيالك الآن، ولقد رأيت ذلك في عينيك أيضاً. علمت ذلك منذ جلست إلى جانبي في سريري، فتجاوبك معي كان أكبر مما حلمت به يوماً. لكنني أندم بمرارة لأنني حينها لم أكن أقوى على جعل الأمر تاماً، نظراً إلى حالتي الصحية الواهنة».

أطلقت ميرسي بصعوبة صرخة تنم عن الصدمة: «أوه!».

فيما تأجج وجهها باحمرارٍ ينمُّ عن الإحراج والخجل. إنه يعلم! كان يعلم طيلة الوقت! يا له من ادّعاء كريهٍ، ادعائه بأنه فقد ذكرى مجريات أحداث ذاك

النهار في غمامة من الهذيان!

حاولت بغير جدوى أن تتلوى فتبتعد عن أندريو، لكنها وجدت نفسها أسيرة ذراعين قويتين، فقد أمسكها أندريو بإحكام بالقرب من جسده الرشيق اللين.

أحسّت أنها غبية جداً، فقد كان أندريو حتما يسخر منها، مدركاً بوضوح أنها تجاوبت معه، بشكل فاعل حماسي! انتظر أندريو حلول الوقت المناسب ليقوم بخطوته. وضع إحدى يديه على خصرها، وشدها نحوه. شعرت ميرسي بالرعب، وكان هذا جل ما تستطيع التركيز عليه، إلى أن وجه أندريو ملاحظته لها محدثاً: «الأحاسيس الطبيعية ليست أمراً يدعو للخجل. أنا لم أتعرف أبداً بأيٍّ من والديك بالطبع، لكن أيٌّ واحدٍ منهما علّمك أن المشاعر الطبيعية هي خطيئة؟».

بدا ذلك بالنسبة إلى عقلها أمراً يدعو إلى الشجار، لكن ذهنها الممتلىء بالخجل والحياء كان غافلاً في تلك اللحظة. فردّت: «لا أحد منهما! ولا تجرؤ على اقتراح أي شيء!».

ابتسم أندريو ابتسامة عريضة. ميرسي التي يهتم لأمرها، هي المرأة الوحيدة التي تتمتع بحسّ المجازفة والتهوّر حتى تزعق في وجهه وتصدّه. وجد ميلها إلى التصرف بهذا الأسلوب، أمراً منعشاً بشكل ملحوظ منذ البداية. جعله هذا يدرك كم هو مملٌ أن يحظى دوماً بنساء يتملقنه ويتوددنَ إليه، فيبتسمنَ ابتسامة مصطنعة ويوافقنَه على أيّ رأيٍ يدلي به، مهما كان مشيناً وخارجاً عن المألوف!

أمسك أندريو ميرسي بشدة وتملّك عندما هبّت بوجهه، إذ استشعر نيتها بتحرير نفسها من قبضته، ولتمشي مرفوعة الرأس بعيداً عنه، فيما عيناها الزرقاوان الرائعتان تنضحان بالحنق والغيظ. تابعت ميرسي مدافعة: «علمني والداي أن أحترم جسدي. بالإضافة إلى ذلك، لا نيّة لدي مطلقاً أن أكون مدبرة منزلك خلال النهار وغانيتك خلال الليل! وأن يقال...»

ارتعش صوتها متذبذباً، لكنها عبّرت بشكل رائع عن وجهة نظرها قائلة: «... أن يقال لي بأن أنصرف حالما تسأم مني».

ردّ أندريو معاكساً بأسلوب ناعم حريري، فيما ارتسمت ابتسامة مغيظة على فمه العنيد، فقال: «أنت لن تضّجريني أبداً، أما فيما يخص احترامك لجسدك، فعليك أن تفعلي ذلك. أن تحترمي ما يمليه عليك... أنا وأنت خُلقنا لبعضنا البعض».

وضع يده تحت ذقنها وراح يمرر أصابعه برفق ونعومة حول محيط وجهها ثم تابع: «انسي دور مدبرة المنزل... أخرجيه من رأسك!».

في تلك اللحظة بالذات شعر أندريو بالصدمة لدى إدراكه أمراً جديداً: هو لم يعد يرغب بأن تكون ميرسي في موضع التابعة له أو الموظفة لديه، لذا نقّى حلقه وتابع بصوتٍ خشن: «سوف أوظف عشرات عاملات التنظيف حتى يتبعن تعليماتك، ما يسمح لك بأن تكوني امرأتي، فتعملين على إطعامي وجباتٍ ملائمة، وتملأين غرف منزلي بالأزهار، وتعلّقين صوراً مأخوذة من علب الشوكولا على جدران غرفة الطعام».

عضّت ميرسي على لسانها، فهي تتمتع بحسٍّ جيد ينبئها متى ينبغي عليها أن تلزم الصمت. كانت قد شعرت بالدهشة في داخلها لصمت أندريو الملحوظ حينما علّقت صورة مطبوعة بين مجموعة لوحات الفن المعاصر المعلقة في منزله، وهي صورة كوخ مسقوفٍ بالقش، ومحاط بملايين الأزهار. ذكرها المنظر بقريتها حيث عاشت طفولتها. من جهة أخرى هي لم تتمكن يوماً من فهم ما يفترض أن تمثّله لوحات أندريو تلك. تمكنت من استعادة بعضاً من سلامة العقل لديها حتى تتطرّق - ولو بصوتٍ أبح مخجل - إلى الموضوع الأهم: «أنا بحاجة إلى كسب قوتي، إذا كنت قد نسيت الأمر».

رفع أندريو أحد حاجبيه السوداوين بتكاسل، فيما ظهر على فمه استمتاعه الشديد وهو يردُّ: «أنت لن تحتاجي إلى أي شيء يا ملاكي. سوف تحصلين على ما ترغبين به من الملابس الفاخرة، والياقوت الأزرق الرائع ليناسب عينيك الجميلتين، والماس الملائم لنقاء قلبك الملائكي، والياقوت الأحمر لخصوصية لحظاتنا الحميمة».

أطبقت ميرسي أسنانها بإحكام، وابتلعت فقاعة من الهستيريا. إن فكرة

امرأة يحتفظ بها أندريو، ويغمرها بالجواهر لا تتلائم مع ما تفكر به عن نفسها مطلقاً، كما أنه لا يجدر بها أن تفسح المجال في رأسها لتلك الصورة الحقيرة المذلّة. عليها أن تقول له في الحال: «شكراً، لكن لا! شكراً على عرضك». سوف تقوم بأعمال التدبير المنزلي لصالحه، إذ لا خيار آخر لديها إن كانت ما تزال تنوي مساعدة شقيقها فعلاً، لكن عليه أن ينسى موضوع محاولة إغوائها، لأن كل الجواهر الموجودة في العالم لا تقدر على شفاء جروح قلبٍ مفطور.

دخلت ميرسي في معركة ضارية مع أحاسيسها، فحاولت إيجاد الكلام المناسب لإقناعه بأنها ليست ذاك الصنف المبتذل من النساء. أولئك النساء اللواتي اعتاد أن يأخذهنَّ إلى سريره، ثم يهرع بسرعة خارجاً من العلاقة حالمايشعر بالملل، أو حينما يدخل في مرأى نظره جسد امرأة أشد إغراءً.

٩ - آسفة حبيبي!

دفعت نفسها إلى التكلم، فخرج صوتها أشبه بصرير وهي تقول: «أنا لا أرضى بعلاقة عاطفية دون ارتباط طويل الأمد».

أجبرت نفسها على تذكر ذلك أكثر مما هدفت إلى وضع شروطها أمام أندريو. أخذت يداها تدفعان صدره للتراجع، فيما كانتا قبل قليل تمسدان بعطف وحنان شعره الحريري الأسود، وقالت: «أرجوك اتركني».

لاحظت أنه يستشيط غيظاً وقد بدا محبطاً، ظهر ذلك على عظمتي خديه، فيما أنزلها لتقف على قدميها بتهذيب مفاجىء بارد وغير شخصي. أما عيناه الرائعتان فبدتا كثيبتين باردتين. أحسّت ميرسي بشعورٍ مريعٍ حقاً، أحسّت أنها ضعيفة وهشة بشكل فظيع.

كانت ميرسي على وشك أن ترجوه أن يحاول فهم وجهة نظرها فلا يكرهها كثيراً. لكن الكلمات توقفت عالقة في حلقها، عندما اخترق هواء الباحة الساكن الساخن، صوت امرأة تنادي باسم أندريو.

- أمي!

مشى أندريو متخطياً ميرسي بعد لحظة طويلة من الصمت المطبق، فيما بدت نبرته رسمية جداً، وتصلبت عيناه كالصوان الرمادي، كما غاب نور الحيوية منهما. توجه نحو المرأة النحيلة الواقفة في مدخل الباب المقوّس الذي يؤدي إلى الباحة الخارجية للفيلاّ.

يا له من توقيتٍ سيء! فكرت ميرسي وهي تتعذب بشدة. إن حبيبها أندريو الذي تعشقه بشدة، قد أُلقي عليه دلوٌ من المياه المجلّدة.

أخذت عينا ميرسي تلاحقان أندريو خلسة، فيما راح قلبها يتخبط بقوة،

www.elromancia.com

راقبته وهو يرفع يد المرأة المسنة ويقبّل أناملها، قبل أن يسألها بجفاف: «لمن أدين بمتعة وجودك هنا؟».

- بما أنني لم أسمع منك أية أخبار منذ ذلك الاتصال الهاتفي القصير لمناسبة عيد الميلاد الماضي، وبما أنني لم أتمكن من الحصول على أي رد من منزلك في لندن أو شقتك في روما، قمت بالاتصال بسوفينيا على هاتفها الخليوي فوجدت أنها في إجازة.

انجرفت عينا المرأة الرماديتان الفاتحتان الخاليتان من التعابير نحو ميرسي، فسمّرتها في موقع أخذت تتساءل فيه هذه الأخيرة وهي تشعر بالغثيان عن مدى ما شاهدته والدة أندريو من ذاك المشهد المريع وهي تقف صامتة. بالحكم على نظرة عدم الرضى التي ارتسمت على ذلك الوجه البارد المتعجرف، استنتجت ميرسي أنها على الأرجح شاهدته بأكمله!

وجهت المرأة أيضاً نظرة عدم رضى نحو ابنها حسبما لاحظت ميرسي، ثم اندفعت موضحة: «استغربت سوفينيا حصولها على إجازة مفاجئة، فقامت بإجراء اتصالاتها السرية، واكتشفت أنك هنا برفقة امرأة».

عبرت ومضة ارتباك وحيرة على الملامح المستبدة البادية على وجه المرأة، فيما لاحظت بشرة ميرسي المحمرة خجلاً، ثم قالت: «ألن تعرفنا على بعضنا؟».

لاحظت ميرسي انصياع أندريو ببرود، من غير أن يذكر وضعها كمدبرة منزل تعمل لديه، بالحكم على النظرة المرتسمة على وجهها، فهي قد ترتعب لو علمت أن أندريو كان يغازل خادمة لديه!

خطت السنيورا باسكالي متقدمة داخل الباحة الخارجية، لكنها توقفت فجأة، فوضعت يدها على صدرها المغطى بملابس حريرية رمادية، ثم ترنحت بغير ثبات على قدميها، وتحول وجهها إلى لون رمادي مثير للقلق، بينما تسارعت أنفاسها وغدت سطحية. وقف أندريو فوراً إلى جانبها ودسّ يده تحت مرفقها ليسندها، ثم قال: «أرهقت نفسك فوق الحد في هذه الحرارة، ماما. تعالي، اجلسي».

تحدثت السيدة بإيجاز فيما نفضت ذراعها بعيداً عن يد ابنها التي تسندها،

فقالت: «إنه ليس بالأمر المهم».

ثم تابعت سيرها بعزّة نفس، متقدمة ببطء نحو الكراسي المحيطة بالطاولة، وقالت: «طلبت من سائقي أن يقلني إلى هنا، لأنني أردت إخبارك شخصياً بأنني سأجري عملية جراحية لقلبي خلال أسبوع. سوف يضعون لي منظماً لدقات القلب. وفكرت، باعتبارك ولدي الوحيد، أنه يجدر بك معرفة هذا الأمر».

شَحُبَ وجه أندريو بشكل ملحوظ، فيما سحب كرسياً نحو ظلال غصن الشجرة، وحرص على إجلاس والدته، ثم طالبها قائلاً: «هل الأمر جدي؟ لِمَ لَم تخبريني أنك لست على ما يرام قبل الآن؟».

- هل كنت ستجد الوقت في حياتك المليئة بالضجيج حتى تهتم ولو من بعيد؟

سحب أندريو أنفاسه، فيما طالبها قائلاً: «أخبريني عن اسم طبيبك، وأنا سأتحدث معه عن وضعك».

انسلّت ميرسي بهدوء عائدة إلى الڤيلا، فقد تأثرت بشدّة لدى مشاهدة ما جرى بين الأم وابنها. في الواقع هي لا تعرف أي شيء تقريباً فيما يخص عائلة أندريو باستثناء أن والده توفي منذ سنوات خلت، وأن جدّه أعطاه نصيحة فظّة حقاً. تذكرت كم كانت مقربة من والديها، لذا لم تتمكن من حمل نفسها على فهم السبب الذي جعل هذان الاثنان يبدوان وكأنهما عدوان.

لكنها تعلم حقاً أن ذلك النوع من الكلام اللاذع خلال الحديث الذي جرى بين الأم وابنها لا يمكن أن يكون جيداً أو ملائماً لامرأة صحتها ليست على ما يرام.

أخرجت زجاجة مياه معدنية من الثلاجة الكبيرة، الموجودة في المطبخ ذي الطراز الريفي، ثم ملأت كوباً طويلاً بالماء وأضافت إليه مكعبات الثلج، وهرعت عائدة إلى الفناء الخارجي.

السنيورة باسكالي ليست بحاجة إلى هدر طاقتها عبر إطلاق التعليقات اللاذعة. عليها أن تتناول القليل من الماء سواء رغبت بذلك أم لا.

قالت ميرسي بصوتٍ رقيق: «ارتشفي هذا، فسيساعدك على أن تشعري ببعض الانتعاش».

فيما وضعت الكوب بين يدَيّ المرأة النحيلتين الطويلتي الأنامل، ثم تابعت تقول وهي تعانق المرأة: «ها قد أصبحت أفضل حالاً للتو. لقد عاد اللون إلى وجهك».

فهي تؤمن أنه يجب أن يكون المرء متفائلاً خلال وجوده مع المرضى والواهنين، لأن الحكم عليهم بالكآبة لن يجدي إلا في زيادة حال المتألم سوءاً.

أعلن أندريو، وقد بدت على وجهه نظرة رجلٍ حظي بنصرٍ آني: «والدتي ستبقى هنا لقضاء الليلة».

ثم تأرجح على عقبيه وأبلغها: «أما لوكا، سائقها، فسوف يقيم مع سوفينيا. سأرتب الأمر بنفسي».

جلست ميرسي على كرسي مقابل السينيورا، وقالت: «سوف أعدُّ لك غرفة، ثم يمكنك أن تستريحي. هل اضطررت إلى قطع مسافة طويلة؟».

- مئة كيلومتر.

أي حوالى الثمانين ميلاً! حاولت ميرسي ترجمة تلك المسافة، متجاهلة الأسلوب البارد في إيصال تلك المعلومة. بعدئذٍ قالت: «من المنطقي أن تأخذي استراحة لبعض الوقت قبل عودتك إلى المنزل. إنه لطف منك أن تبذلي المجهود كي تحضري إلى هنا شخصياً لإطلاع أندريو على الأمر، فذلك سيعني الكثير بالنسبة إليه، في حين أنه كان بمقدورك التقاط سماعة الهاتف وإخباره بذلك حالما علمت بمكان تواجده».

راحت ميرسي تتحدث متحمسة للموضوع، متجاهلة الأجواء الشائكة بين الأم وابنها. من الواضح أنهما في نزاع حول شيء ما، إلاّ أن المرأة الأكبر سناً والتي تبدو الآن حانقة، لا بد أنها في أعماقها فخورة جداً بابنها وهي تحبه كثيراً، وإلا لما قطعت كل هذه المسافة لرؤيته.

تابعت ميرسي قائلة: «من الطبيعي أن يلجأ المرء إلى الأشخاص العزيزين على قلبه خلال أوقات المحن أو الضغوط، ولا بد أنك قلقة وخائفة جداً».

لعلّها على الأرجح تتساءل إن كانت ستنجو من تلك العملية الجراحية، ما يفتر رغبتها برؤية ابنها لإطلاعه على الخبر المفاجىء شخصياً. مسكينة هي!

استأنفت ميرسي كلامها: «من الطبيعي أن تشعري ببعض القلق، لكنني سمعت أن معدلات نجاح هذه العملية بالتحديد هي عالية جداً، وما تقدر على تحقيقه العمليات الجراحية العصرية بات مدهشاً حقاً».

علّق أندريو قائلاً من خلف ميرسي: «أرى أن مدبرة منزلي تقوم بدور ملاك الرحمة كالمعتاد. لقد اكتشفت بأنها تبرع حقاً بذلك من جراء تجربتي الشخصية».

هل كان ينبغي عليه تذكيرها بذلك؟ رغبت ميرسي بأن تصفعه لمجرد أنه ذكّرها بطريقة تصرفها أثناء مرضه. والآن ها هو يسكب الزيت على النار، فوالدته الأرستقراطية ستستشيط غيظاً لو علمت أن ابنها كان يتودد إليها، وهو يرغب بعلاقة حميمة مع مستخدمة لديه.

لم تكن تنوي أن تكذب على المرأة بشأن مركزها كمدبرة منزل، لكن من أجل راحة بال والدته من الأفضل لو أنه لم يقل شيئاً. لِمَ كان عليه أن يتدخل بالأمر؟

ألقت ميرسي نظرة من فوق كتفها إلى حيثُ كان أندريو واقفاً، فالتقت بابتسامته المفعمة بالكاريزما. عادت وأدارت رأسها بسرعة، وقد شعرت بالحماوة والارتباك، فيما أخذت معدتها تتلوى بجنون. عندها هبت واقفة بتعثّر، وأعلنت بصوتٍ غير مستقر: «سوف أعدُّ لك الغرفة سينيورا، ثم غداءً صغيراً خفيفاً».

* * *

الغرفة التي اختارت ميرسي إعدادها لإقامة السينيورا باسكالي تشرف على الباحة الخارجية المبلّطة. أما الستائر الرقيقة الشفافة التي ترفرف أمام النوافذ الطويلة المفتوحة، فتسمح بدخول نسيم محمل بعبير الأعشاب إلى الغرفة.

غطت السرير بالملاءات النظيفة المعطرة برائحة الخزامى. ثم وضعت المناشف النظيفة والصابون في الحمام المفتوح على الغرفة، وزجاجة من المياه المثلجة إلى جانب كوب من الكريستال على المنضدة إلى جانب السرير.

غادرت ميرسي الغرفة وتوجهت نحو الطابق السفلي وهي تشعر بالارتعاش والهلع في أعماقها، فهي لم تعد قادرة على إيجاد عذرٍ يسمح لها بالتباطؤ أكثر مما فعلت حتى الآن. أحست أن شيئاً ما في داخلها ما زال يتلوى من فرط الاحراج والخزي، وهي تتذكر ما حدث في وقت مبكر من هذا الصباح. تذكرت كم تجاوبت مع أندريو بشغف وحماسة، ثم تراجعت. لا بد أنه يشعر بالكره العميق تجاهها، وأنه منزعجٌ منها حقاً.

أما والدته الارستقراطية، فهل كان يجدر بها أن تصل لتكون شاهدة على هذا المشهد المريع بين ابنها الوسيم الثري وبين الخادمة، ما جعلها تشعر بعدم الارتياح؟ أمن المحتمل أن تنظر السينيورا باسكالي إلى ميرسي على أنها امرأة مجردة من المبادىء الأخلاقية تسعى خلف الثروة؟ أتراها ستظنها امرأة من الطبقات الدنيا، مستعدة لتحمّل رب عملها الثري لأجل ماله.

أدركت ميرسي أنها مصابة بالوسواس، فلا يمكن أن يكون هنالك شخص بهذا الغرور والتكبر، أو بالأحرى إنها تتمنى ذلك حقاً وبكل إخلاص. قومت ظهرها ودخلت إلى المطبخ الفسيح المضاء، وهمّت بتحضير سلطة السلمون البارد، بعد أن تأكدت من أن مكيف الهواء في غرفة الطعام الفخمة يعمل بشكل جيد، كما وضعت الأدوات والصحون الضرورية لشخصين على الطاولة، واستغرقت وقتها بتأنٍ لفعل ذلك. هي سوف تتناول طعامها في المطبخ، فتترك الأم وابنها ليتحدثا على انفراد.

وضعت ميرسي ابتسامة هادئة معدّة بحذر على وجهها، وأملت أن يكون أندريو ووالدته قد توقفا عن تمزيق بعضهما بالكلام اللاذع. راح قلبها يرتطم بأضلاعها فيما مشت أخيراً، متوجهة نحو الباحة الخارجية لتعلن أن الغداء جاهز، لكنها وجدتها خالية من أي بشري.

أحسّت بالارتباك الفظيع لدى شعورها فجأة بالخسارة. أتراها كانت حقاً تتطلّع قدماً متشوقة لأن تمتع عينيها برؤية أندريو المطلق الوسامة؟ إذا كان هذا صحيحاً، فهي حقاً مجنونة، وواقعة في معضلة حقيقية جدية. فبعد الكارثة التي وقعت بينهما هذا الصباح، لا بد أنه لا يرغب بالتعاطي معها مجدداً، ولا

يمكنها أن تلومه على ذلك، فهي ليست من ذاك الصنف من النساء اللواتي يسحرن الرجل بجماهنَّ، اللواتي يمكنهنَّ الوصول إلى أعماق الرجل بسهولة.

لا بد أنه سيعود إلى مناداتها باسم هاورد، وسوف يبذل ما في وسعه ليتجاهلها، فيما يبقي عينيه مفتحتين جيداً بحثاً عن بديلةٍ لها. ويعود الذنب في كل هذا عليها هي وحدها! ارتعبت ميرسي فهرعت باحثة عن الأم وابنها، فتوجهت نحو غرفة الجلوس الداخلية.

من المحتمل أن يكون أندريو قد اصطحب والدته إلى هناك، بعيداً عن حرارة الخارج. رأت ميرسي كيفية اندفاعه مسرعاً ليقدم لها المساعدة حينما بدت على وشك الإغماء، ورأت كيف شحب لونه حين أطلعته على العملية الجراحية التي ستجريها لقلبها. كذلك فهي لاحظت أن السينيورا باسكالي دفعت يد أندريو جانباً، وكأنها لا تحتمل أي دعم يصدر عنه. بالرغم من البرودة التي حيّا بها أندريو والدته في البداية، حين ظهرت فجأة وبشكل غير متوقع، إلا أنه شعر بالقلق الشديد عندما علم بأمر العملية الآتية.

عزّت ميرسي استقبال أندريو البارد لوالدته، ببساطة إلى ذاك المشهد الانفعالي الحساس بينهما الذي قاطعته السينيورا باسكالي، ولأن أندريو كان في حالة من الإحباط الشديد.

عبرت الباب المقوّس نحو غرفة الجلوس الفخمة ذات اللون الأزرق الغامق ولون الكريما. وجدت هناك السينيورا باسكالي تشغل الغرفة بمفردها، وهي تجثم متصلبة على أحد المقاعد العريضة المنجّدة بقماشٍ من اللونين الأزرق والذهبي الباهت.

عانت ميرسي فجأة من مقتٍ لهذه المرأة الباردة القاسية التي لم تبدِ أي فيضٍ من الحب الأمومي تجاه الرجل الذي تهيم هي بحبه. أحسّت أن ابتسامتها الثابتة تؤلم وجهها، لذا أعلنت بأقصى ما استطاعت أن تبديه من لياقة وأدب: «وضعت غداءاً بارداً في غرفة الطعام. عليّ إبلاغ السينيور باسكالي. هل يمكنك إطلاعي أين يمكنني إيجاده؟».

نهضت المرأة الأكبر سناً. واقفة على قدميها. وقالت: «نظراً للظروف

www.elromancia.com

الراهنة، ما من داعٍ لأن تتكلمي عن أندريو بالصفة الرسمية».

أحسّت ميرسي بالخجل لإدراكها ما تعنيه عبارة: «الظروف الراهنة». شعرت بوجهها يحمرُّ خجلاً، أمام النظرة التقييمية التي ألقتها عليها العينان الرماديتان المستمتعتان نوعاً ما. إنهما شبيهتان بعيني ابنها، لكنهما تفتقران إلى الشرارة الحيوية الشيطانية.

- أندريو ليس هنا، أصرَّ على الاتصال بطبيبي المعالج، ثم أصرّ على أن يقود سيارته إلى نابولي فوراً حتى يقابله بخصوص موضوع حالي الصحية! إنه عنيد ومتصلب، لا يولي اعتباراً لأي شيء منذ يوم ولادته! يا إلهي. إنه دوماً سخيفٌ بتهوره! أعطيني ذراعك. أنت وأنا سنتناول الغداء سوياً، وإلاّ سأجد نفسي متروكة ووحيدة.

تورّد خدا ميرسي وشعرت بالغيظ، لكنها أخذت بعين الاعتبار حالة قلبها المريض، فوفّرت لها الدعم مقدمة ذراعها، ثم أعلمتها قائلة ببرود: «سينيورا، لا أظن أن تصرفاته تظهر أي قلّة اعتبار. فإصراره بأن يتفقّد بنفسه شخصياً وضعك الصحي يظهر اهتمامه بك، كما أن طبيعته المبدعة هي التي تجعله يتصرّف بتهور وطيش».

أطلقت المرأة ضحكة مكتومة، وعلّقت بالقول: «ها أنت تهرعين للدفاع عنه. ذلك أمرٌ جيد!».

ثم تابعت محدثة: «أرجوك، ناديني كلوديا».

وفيما دخلتا غرفة الطعام أكملت حديثها بالقول: «تلك السلطة تبدو شهية حقاً. يقول ابني إنك أفضل مدبرة منزل تمكن من إيجادها يوماً».

جلست والدة أندريو إلى الطاولة، فناولتها ميرسي ملاعق التقديم وصحن الكريستال الذي جمعت فيه قطع السلمون البارد مع القريدس وشرائح الأفوكادو والطماطم الصغيرة الحجم.

علمت ميرسي أنها قد تتألم إلى حدٍ لا يُحتمل لو أن أندريو قال لها إنه يستغني عن خدماتها كمدبرة منزل لديه، وإنها لن تراه مجدداً، لكن ذلك الاحتمال قد يكون التعامل معه أسهل من بقائها بجواره.

إن ميرسي تحبه حقاً، لكن أندريو ليس لها، لذا ينبغي أن تتمتع بقوة الشخصية حتى ترحل حالما يصلان عائدين إلى لندن، فلا تعود لرؤيته مجدداً، وتوفر على نفسها حملاً ثقيلاً من الحزن والأسى جرّاء انجراح قلبها في المستقبل. إن فقدان وظيفتها العالية المدخول سيكون ضربة قاسية لجيمس، لكنها، وللمرة الأولى في حياتها، ستضع مصلحتها الشخصية في رأس قائمة الأولويات.

دخل صوت السينيورا البارد الهادىء على أفكار ميرسي المكدّرة المضطربة، فقالت: «أطلعني ابني على كل ما يتعلّق بك خلال الفترة الوجيزة قبل رحيله إلى نابولي... بناءً على إلحاحي بالطبع، كما اكتشفت في هذه الفترة المتأخرة. أن حالتي الصحية الضعيفة تقوى على استخراج الأسرار من ابني المنغلق المتكتم».

- جميعها؟

أعادت ميرسي بحذر كبير الشوكة إلى الصحن. ماذا... قال لها... بالضبط؟

أزاحت كلوديا قطعة قريدس، وابتسمت قليلاً، ثم قالت: «أوه! أشك بذلك. لكنه قال ما يكفي حول خلفيتك وشخصيتك لإقناعي بأنك مختلفة إلى حد بعيد عن النساء اللواتي اعتاد على اصطحابهنَّ إلى سريره. أوه...».

لوّحت السيدة بيدها بشكل معبّر وتابعت: «أنا لم ألتقِ بأي واحدة منهنَّ في الواقع، ولم تكن لدي رغبة مطلقاً بذلك، لكنني رأيت صورهنَّ معه في صفحات المجلات والجرائد، كما قرأت المقالات في أعمدة الشائعات. لطالما حاولت إبقائها مخفية عن والده. مسكين ألدو! خاب ظنّه بابنه الوحيد، وأنا لم أرغب في زيادة الأمور سوءاً. أما أنا، فقد صلّيت كل ليلة بأن يلتقي أندريو بامرأة حنونة عقلانية تعمل على ترويضه وجعله يهتم بالمنزل، فتتزوجه وتضع حدّاً لأساليبه الهمجية».

خنقت ميرسي قهقهة هيستيرية كادت تخرج منها. ما من امرأة عاقلة قد ترغب بترويض أندريو أبداً، أو بتبديله. فأي امرأة تحبه سوف تجد متعة في تقلّبه وحيويته وفي قلّة ترتيبه الهائلة وفي طبيعته المتهورة المسرفة. لكن على أي

www.elromancia.com

حال، ليس لدى أندريو نية بالزواج مطلقاً، ليس في المستقبل القريب على أي حال. طردت هذه الفكرة الجدية أي ميل إلى القهقهة، وجعلتها تتمنى لو أنها لم تتناول غداءها، لأنها فجأة أحسّت بالغثيان

وضعت كلوديا شوكتها جانباً. بدا بوضوح أنها غير مدركة للأحاسيس المشوشة التي تضطرم في كيان رفيقتها، حينما قالت: «أخيراً أصبح لدي أمل بأن يتعلم ولدي المنطق. أنت امرأة مهذبة، محترمة، فخدّاك يحمران بسرعة، ما يفسر طبيعتك الحساسة، ولست معتادة على الأساليب الملتوية. كما أنك تطهين الطعام بشكل رائع، كما قيل لي، أما الغداء فهو مميز جداً. أنت لا تملكين المال أو المركز الاجتماعي، لكن ذلك لا يهم نظراً إلى تربيتك الجديرة بالثناء، فأنت ابنة قسٍ من الريف، وتتمتعين بمواهب في التدبير المنزلي وبالحس المنطقي... نعم..».

قوّست كلوديا أحد حاجبيها المرسومين بدقّة وتابعت: «... أخبرني أنك حاولت حتى كيح تبذيره الفاحش في المنزل. لكن في الوقت الراهن سأمسك نفسي عن الكلام وأبقي آمالي مرتفعة. وربما يمكنك إرشادي إلى الغرفة، حيث يفترض أن أستريح».

امتثلت ميرسي، وأجبرت نفسها على كبت الكلمات التي من شأنها أن تقوّم تفكير والدة أندريو. لم تكن لدى أندريو أي نية بالزواج، وعندما يفعل ذلك، فلن يكون ذلك من شخص مثلها هي. فهو سوف يعقد قرانه على إنسانة تمتلك أموالاً طائلة في جعبتها. ولن يهتم عندئذٍ حتى لو كانت بشعة، وذات وجه يشبه سلة المهملات.

قررت ميرسي أن تمسك نفسها عن التكلم بذاك الموضوع، باعتباره الشيء الخيّر الصائب لتفعله. فلتحتفظ المرأة المسكينة بأوهامها وآمالها إلى أن تتعافى من عمليتها الجراحية، فتصبح في حالة سليمة تسمح لها بأن تفهم أن آمال الأمومة تلك كانت سخيفة.

لكن فيما فتحت ميرسي الباب على الغرفة التي أعدّتها، لم تتمالك نفسها عن الإشارة قائلة: «أندريو ليس شخصاً ميؤوساً منه. فهو محترم جداً، وذلك ليس

فقط في مجال عمله. وأظن أنك تحبينه أكثر مما تودين إظهاره للعلن. فلو لم تكوني كذلك، لما تكبدتِ عناء المجيء إلى هنا اليوم. أظن أنه يفترض بك إظهار إعجابك به أكثر، استمتعي به كما هو وكوني فخورة به».

* * *

جلست ميرسي في وقت لاحق من ذاك المساء في أحد مقاعد غرفة الجلوس تتخبط في أفكارها، بانتظار عودة أندريو. قررت أن الاعتناء بكلوديا باسكالي أشبه بالاهتمام بطفل قوي الإرادة، وفي الوقت نفسه تبدو المرأة راقية كأنها من طبقة الملوك.

استعادت ذهنياً تجارب نهارها، لكي تبعد تفكيرها عن سرب الفراشات التي راحت ترفرف في معدتها.

بعد أن أمضت كلوديا قيلولة بعد الظهر، نزلت إلى الطابق السفلي فدفعتها إلى ريّ الأعشاب في الباحة الخارجية. ثم طلبت استخدام الهاتف، وورقة مع قلم حبر.

- سوف يصل سائقي إلى هنا خلال عشر دقائق، لكي يقلّك إلى المدينة. دونت لك قائمة بالأغراض التي أحتاجها. فلم أكن أتوقع قضاء الليل هنا، لذا أنا غير مستعدة.

شقت ميرسي طريقها عبر الحشود في حرارة ما بعد الظهر، فيما حملت بيدها قائمة الأغراض، لكي تبحث عن الكم الهائل من ضروريات تمضية الليل، المدونة على الورقة بتفاصيلها الدقيقة. عندما عادت، طالبتها كلوديا بعصير الليمون الطازج، وتبع ذلك مساعدتها للقيام بجولة قصيرة حول الملكية.

كان الأمر مجرد عذرٍ لشيء يشبه محكمة الاستجواب الإسبانية في القرون الوسطى. لكنها أجابت بكل ما استطاعت من صدق، فأخبرتها التفاصيل عن خلفيتها، عن والديها، عن معرفتها غير العميقة بجدّيها من جهتيّ الأم والأب، عن آرائها ونظرياتها بالمجتمع المتساهل، وعن نيتها بإنجاب الأطفال.

تلا ذلك السؤال عما ترغب به كلوديا للعشاء، والذي سيتم تناوله في المطبخ.

استقرت ميرسي في نهاية الأمر على إعداد عجة بيض بسيطة بالأعشاب، مع

السلطة الخضراء، ليتبع ذلك حبة فاكهة صغيرة مقطعة إلى مربعات صغيرة.

أعلنت كلوديا في اللحظة التي أنهت فيها ميرسي تحضير العجة الخفيفة الذهبية الهشَّة: «أحسُّ بأنني متعبة أكثر مما كنت أتوقع، لذا لن أنتظر عودة أندريو. كانت فكرته هو بأن يذهب لرؤية الطبيب، وليست فكرتي أنا. سوف أتكلم معه مجدداً في الصباح قبل مغادرتي».

بعدئذٍ نهضت عن الكرسي حيث كانت جالسة تقيّم كل حركة تقوم بها ميرسي، بعينين متفحصتين تشبهان عيني النسر، فطالبتها قائلة: «أحضري صينية الطعام إلى غرفتي بعد نصف ساعة. سوف أفك رُزم الأغراض التي جلبتها لي، ثم أنام باكراً».

بعد مرور نصف ساعة، ستجمد العجة! لا بد من إعداد واحدة أخرى لتكون حاضرة بعد نصف ساعة تماماً!

يبدو أن المرأة الأكبر سناً تشبه ابنها إلى حد بعيد، فكرت ميرسي بذلك فيما حملت الصينية نحو غرفة كلوديا في الوقت المحدد. هناك تم استقبالها ببحر من الأغلفة المرمية، والأكياس الورقية، وأوراق المحارم، والحمّالات. ثم أعلمتها المرأة بأن رداء النوم سيفي بالغرض، لكن كمي الرداء الذي يغطيه طويلان جداً. أما فرشاة الأسنان فهي ذات شعيرات قاسية جداً، لكن كريم الليل مناسبٌ تماماً.

والآن أخذت ميرسي تنتظر وهي تشعر بالإرهاق، ثم بدأت تزداد توتراً مع مرور كل لحظة. أما عيناها فشردتا باستمرار نحو ساعة الحائط الصغيرة الموضوعة على رف الموقد.

ما الذي عساها تستطيع قوله له حتى تعيد الأمور إلى سابق عهدها، وتبقى خادمة مفيدة في حياة أندريو؟ حتى لو وجدت التركيبة السحرية، فما الذي يحصل؟

أحسَّت ميرسي أن أعصابها تتحول إلى أسلاك حامية. وما لبثت أن قفزت واقفة على قدميها، وفرّت نحو المطبخ لتمسح الأرضية، في محاولة لإلهاء نفسها.

كانت تجثو على يديها وقدميها حين تلاشى السواد الظاهر خلف نوافذ

المطبخ، وانتشر مكانه ضوءٌ كهربائي خفيف، ما يدل على أن أحدهم أطلق أنوار الحماية.

أندريو!؟

قفزت معدة ميرسي حتى كادت تصل إلى حلقها، كأنها تختنق هلعاً، ثم سقطت كأنما وصلت إلى كاحليها.

www.elromancia.com

١٠ ـ لقاء ووداع

ماذا تفعل؟

أتقول الحقيقة وتلعن الشيطان؟

تلك قاعدة عامة ترسخت في داخل ميرسي بشدّة منذ ولادتها.

لطالما اعتادت أن تكون صادقة، فهل تكون كذلك الآن وتعترف له بأنها وقعت في حبه بقوة وعمق؟ لكنها أجبن من أن ترضى بلقب ملكة القلب المجروح.

بدت مرتبكة، وراح قلبها يدق بقوة فيما رفعت دلو المياه الساخنة لكي تفرغه في مجرور تصريف المياه الخارجي، لكنها اصطدمت بأندريو وهي تستعجل راكضة بتهور.

أحسّت أن اليدين القويتين اللتين ثبتتاها في مكانها تحرقان بشرتها كالنار، لكنها علمت أنه لا يجدر بها أن تتصرف بخصوصية، لأن ملامح أندريو بدت باردة وكئيبة أكثر من أي مرّة سابقة.

لو قالت له الحقيقة، فإنه حتماً سينعتها بالغبية، ثم يضحك بشدة لا ترحم. لكن أندريو لم يبدُ قادراً على الضحك على أي شيء. تخلص من محتويات الدلو ثم أسقطهُ محدثاً جلبة وطقطقة.

ثم قال لها: «ابقي برفقتي لتواسيني. أستنتج أن والدتي نامت باكراً هذه الليلة. أليس كذلك؟».

لم ينتظر جوابها، وتابع: «لا أرغب في البقاء وحدي».

بدت عيناه فارغتين، فيما ظهر الكدر على ملامح وجهه. ثم توجه نحو غرفة الجلوس، أما ميرسي فتبعته بعد لحظة التردد المزعج.

إنه يريد منها أن ترافقُه وتبقى إلى جواره. لا بد أن ذلك يعني أنه لم يعد غاضباً منها بسبب أسلوبها في رفض مغازلته لها هذا الصباح. حسناً! لن تضطر إلى الإجابة عن أية أسئلة غريبة، ولا إلى الإصغاء إليه وهو يناديها بتسميات بغيضة. في الواقع، هذا ما كانت تتوقعه منه حالما تتسنى له فرصة مكالمتها على انفراد، بحيث يرمقها بنظرات الازدراء. على الرغم من ذلك، فهي رغبت بشدة أن تعتذر منه على تصرفها، لأنها تحبه حقاً.

آه... ! كيف تستطيع أن تكون أنانية، فتفكر بنفسها فقط؟ فالأمر لا يتعلق بها أبداً!

أندريو نسي على الأرجح كل ما يتعلق بالعناق الذي جرى بينهما، ولا بد أن الرجل ألغى الموضوع من تفكيره باعتباره حدثاً غير ذي أهمية، ثم أعادها بحزم إلى الخانة التي استخدمها أصلاً لتملأها، أي الخادمة التي تلبي كل رغباته وتتحمل كل أمزجته. إن ما يشغل باله الآن هو قلقه على والدته. هو فقط يرغب بوجودها إلى جواره، كي تجلب له ما يحتاجه، وربما لتحضّر له شيئاً من الطعام.

جلس أندريو على حافة أحد المقعدين المنجدّين، محنياً رأسه إلى الأسفل. لم تتصور ميرسي أبداً أن أندريو باسكالي البالغ الثقة بنفسه، الشديد الحيوية، قد يبدو بهذه الحساسية والقابلية للجرح والأذى.

اسودت عيناها قلقاً واهتماماً، وتاقت لأن تغمره بذراعيها المطمئنتين، وأن ترجوه بألاّ يقلق، لكنها خمّنت أنه لن يقبل بذلك. عوضاً عن ذلك، جلست إلى جانبه حريصة على ألاّ تكون قريبة جداً منه، ثم سألته: «ما الذي قاله الطبيب؟ هل كان تشخيصه جيداً».

ثم حبست نَفَسها، مفكرة أنه لو كان تشخيص الطبيب جيداً، لما بدا أندريو مكدراً ومرهقاً إلى هذا الحد.

وجه أندريو نحوها نظرة جانبية، فسقطت إحدى خصلات شعره فوق أحد حاجبيه البارزين. أحسّت ميرسي أن أناملها تستحكها لأن تعيد الخصلة برقة إلى مكانها، لذا جمعت يديها على شكل قبضتين ووضعتهما في حضنها حرصاً

على عدم قيامها بذلك.

– نعم. إنه تشخيصٌ جيد، لكن تبقى هنالك دوماً نسبة من الخطر.

هدّأته ميرسي قائلة: «حسناً! حاول أن تفكر بإيجابية».

عضّ أندريو شفته بشدة، فيما رفع رأسه بحدّة إلى الأعلى، وتوهجت عيناه بازدراء مفاجيء، وعلق قائلاً: «لكنني لست مثلك، أليس كذلك؟ أنا لست شعاعاً صغيراً من الشمس، لست مثالياً أيضاً! أراهن على أنك كنت مفخرة في عيني والديك، فلم تسببي لهما أية لحظة من القلق!».

استلقى أندريو إلى الوراء على وسائد الأريكة، فيما أطبق عينيه كما لو أن انفعاله جرّده من طاقته كلها، ثم قال: «أنت لا تعلمين عما تتكلمين».

عقد العبوس حاجبي ميرسي الناعمين، فمن الواضح أن أندريو متضايقٌ ومنزعجٌ جداً. لم يكن بمقدورها تصوّر سبب ذاك الانفعال الذي يظهر عليه، فقالت له: «نوّرني إذاً».

صمت أندريو مجدداً، ومرّر أنامله في شعره الأشعث، ثم صرّ بأسنانه في انفجار من الاحباط الوحشي، فقال: «ذلك سيتطلب بعض الوقت!».

تجولت عينا أندريو الضيقتان على عينيها المتسعتين البريئتين، وعلى الانحناء الرقيق لشفتيها الجميلتين. ثم زمّ فمه، ورمى كلامه قائلاً: «أيعقل أن تفهمي كيف يشعر المرء حين يكون مصدر خيبة أمل لوالديه منذ اللحظة التي تعلّم فيها المشي؟ توفي والدي قبل أن أكتسب رضاه على أي شيء يتعلق بي، وأشعر الآن بالصدمة لمعرفتي أن الأمر قد يتكرر مع والدتي التي أحبها حباً جماً. أراضية أنت؟».

قالت ميرسي بغير ثبات: «أنا لا أفهم».

غطّت تلقائياً أحدى يديه بيدها لأنه يتألم، ثم تابعت: «لمَ قد يشعر أحدهم أن ظنه خاب بك أنت؟ لو أنك كنت ابني أنا، لكنت فخورةً جداً بك».

اكتسبت ميرسي ابتسامة بطيئة غير متوقعة من قبله، بالإضافة إلى رد أندريو المبهم: «لو كنت ابنك أنت لشعرت أنني مخدوع».

تحركت الآن يد أندريو التي كانت تقبع هادئة تحت يدها، فشبك أنامله

بأناملها، وترك ميرسي في حالة من عدم الشك بما يقصده. أحسّت أن قلبها ينقلب في مكانه، أما ذهنها فهوى في سقطة حرة، بعد أن فشل في التحكم بالتغيير المفاجيء في مزاج أندريو. لمَ عاد إلى التقرب منها ومغازلتها؟ فبعد أن صدته هذا الصباح، لا يبدو الأمر منطقياً بالنسبة إليها.

حدّق أندريو في عيني ميرسي المدهوشتين، فاعترف لها بصوتٍ متقطع مجروح: «أنا آسف. لا يحق لي أن ألقي همومي عليك».

اشتدت أنامله الممسكة بأناملها، فيما أخبر ميرسي: «كان والدي محامياً ذا سمعة عظيمة، فقد تحدر من عائلة من المحامين المرموقين. كان رصيناً، كادحاً، وجافاً. أرادني والداي أن أسير على الخطى الجليلة الشهيرة لأسلافي المحترمين، أما أنا فكانت لدي أفكار مختلفة عنهم».

ثم هزّ كتفيه وتابع: «عرفت ما الذي أرغب بفعله، فسرت فيه قدماً...».

طمأنته ميرسي: «حققت نجاحاً كبيراً في ذلك».

فيما بذلت مجهوداً لتمالك نفسها، تساءلت كيف يستطيع أي والد أو والدة أن يتحكما إلى هذا الحد بابنهما، فلا يشعران بالسرور لقيامه بملاحقة ما يهواه.

تابعت تطمئنه: «لا بد أنهما استطاعا رؤية ذلك؟».

هزّ أندريو رأسه نفياً، فقال: «جل ما لاحظه كلٌ منهما هو أسلوب حياتي. كنت أقود السيارات السريعة وأواعد النساء غير المناسبات، واخترت مهنة اعتبراها مبتذلة ومصدر ضجة وخداع. كان يجدر بي أن أمارس مهنة صعبة... مملة... وأن أستقر وأنشيء عائلة! حفظت تعاليمهما عن ظهر قلب، وذلك هو السبب الذي دفعني إلى تقليل عدد زياراتي لهما أكثر فأكثر على مر السنين».

ضاقت ملامح أندريو مظهرة الندم المرير، وتابع: «كان بوسعي أن أحاول أكثر جعلهما يفهمان الواقع، فلا يعتقدان أنني أرفضهما كأشخاص».

أحسّت ميرسي في داخلها بالحنق والغضب تجاه والدي أندريو، اللذين حمّلاه هذا الذنب غير الضروري، لكن رغبتها وحاجتها لأن تهدّئه كانت أقوى من أي رغبة أخرى.

رفعت يدها الأخرى فوضعتها على عظمة خدّه المشدودة ، ثم واسته برقة قائلة: «ما زال أمامك متسع من الوقت للقيام بذلك. ليس فقط بعد إجراء والدتك العملية، وعودتها إلى كامل سلامتها السابقة، لكن قبل ذلك. إنها حقاً مولعة بك. لم تكن لترغب برؤيتك حتى تطلعك على النبأ شخصياً، لو لم تكن كذلك. قد لا تبرع حقاً في إظهار حبها لك، فبعض الأشخاص لا يجيدون التعبير عن عواطفهم، لكن حب الأم أقوى من كل تلك الأمور المتعلقة بالتقاليد. جل ما عليك فعله هو فتح قلبك لها. أخبرها بما قلته لي للتو، أي إنك لا ترفضهما تماماً كما رفضت آراءهما».

أربك أندريو ميرسي عندما رفع يدها التي قصدت بها أن تهدىء من روعه، فضغط بفمه على كفّها وقال: «أنت.. لا شك أنك ستصبحين أمّاً كاملة... تامة».

أجابته ميرسي بصوت أبحّ، وقد فارقتها القدرة على التقاط الأنفاس: «لا تذهب إلى هذا الحد».

- لماذا؟

تقوّس أحد حاجبي أندريو السوداوين اللذين يعلوان عينيه المذهلتين، لم تعد ميرسي قادرة على الكلام، وقد قيدها أندريو بعينيه الفضيتين الجذابتين. راحت أفكارها تتسارع؛ إنها تحبه حتى الجنون، ما يحتاج إليه الآن هو الدفء والحنان والاهتمام!

من الواضح أن أندريو تربّى على يد والدين غير موافقين على ما يفعله، وقد تلقّى نصيحة مضحكة من قبل جدّه، كما أنه لم يختبر أبداً إظهار الحب نحو الخارج إلاّ بأشكالٍ لاذعة، لذا فهو لا يعرف كيف يعطي الحب بدوره.

أحسّت ميرسي كأن كتلة ما تسدُّ حلقها، فانحنت باندفاع تلقائي مقتربة من أندريو ممسدة يدها الأخرى على قمة رأسه المنحني. قصدت بتصرفها هذا أن تبدي بادرة صداقة ومساندة، من النوع الذي يقدمه المرء لأي شخص منزعج ويشعر بالكدر. لكن ردة فعل أندريو حولتها إلى شيء مختلف تماماً.

رفع أندريو رأسه، فأحاط ميرسي بذراعيه وقربها من جسمه، وراح يعانقها.

ارتعشت ميرسي بعنف، وشعرت أن عظامها تذوب تماماً تحت تأثير عناقه المتفجّر تلقائياً. هذا هو الرجل الوحيد الذي تحبه وتعشقه، وهو بحاجة إلى دفء الاتصال الإنساني، فكيف عساها تحرمه منه، في حين أنها مولعة به، وستبقى كذلك دوماً؟. إن أندريو بحاجة إليها، وهي بدورها تحتاج إليه، تفتحت براعم السعادة والغبطة في أعماقها. ولفّت ذراعيها حول عنقه مستسلمة لعناقه كما لو أن هذا العناق هو الأمر الأكثر صوابية في تلك اللحظات.

أحسّت ميرسي بجسده القوي الممشوق يسترخي ويرتاح، بعدئذٍ جذب أندريو نفساً عميقاً إلى رئتيه، ودفن رأسه في انحناءة عنقها، قائلاً: «كم أتوق شوقاً إليك!».

* * *

عند الصباح استيقظت ميرسي فوجدت أن الوقت قد تأخر كما توقعت. ذكّرت نفسها بتلك اللحظات الحميمة التي أمضتها بالامس مع اندريو، لقد عانقها أندريو وهي بادلته العناق بلهفة وشغف لأنها مولعة به، ولأنه كان بحاجة إليها.

استكان أندريو بين ذراعيها بعد أن ألقى رأسه على كتفها، وبعد حين هدأت أنفاسه وغفا كالطفل الصغير على كتف أمه. لم يطاوعها قلبها أن توقظه ليذهب إلى سريره إلاّ بعد مرور وقت طويل، طامعة ببقائه بالقرب منها أطول فترة ممكنة. كان بحاجة إلى الطمأنينة والراحة التي يبعثها فيه قرب امرأة، وهي كانت موجودة هناك، راغبة بملء إرادتها في مواساته. لا شك لديها أنه سوف ينساها تماماً بعد حين كجميع الأخريات، علمت ميرسي ذلك، وقبلته. قررت أنها لن تتحول إلى امرأة متطلبة تلتصق به دوماً وتطالبه بالبقاء بقربها، ولا إلى متوسلة تتضرع للحب الذي لا يملكه حتى يهبه لأي كان. بالرغم من ذلك، راح قلب ميرسي يتخبط في صدرها كما لو أنها تمارس الألعاب البهلوانية، حين قرع أندريو الباب ثم دخل الغرفة. إنه يمثل

روعة الرجولة التامة! لاحظت أن خصلة شعر قد سقطت على جبهته، وأنه ارتدى قميصاً زرقاء غامقة بغير كمين مفتوحة عند العنق، مع سروال جينز من ماركة شهيرة.

- آسف لإزعاجك، لكنني أريد التحدث إليك.

ابتلعت ميرسي ريقها بسرعة، فقد كرهت الأسلوب الذي جف به فمها إلى هذا الحد. سألته محاولة جهدها بأن تبدو غير مكترثة، فقالت: «كنت على وشك النهوض. كم تأخر الوقت؟».

كانت تريده أن يفهم أن لا نية لها بالتعلّق به، وأنها لا تتوقع منه أكثر مما هو قادر على منحه لها.

وقف أندريو وقد ركّز رجليه مبتعدتين قليلاً عن بعضهما، ووضع يديه في جيبي سرواله الجينز. بدت عيناه مستغرقتين في التفكير حين أبلغها: «هنالك أمرٌ لم أعلمك به ليلة الأمس. فبعد مقابلتي لطبيب والدتي، أخبرني أنه أجّل موعد عمليتها إلى ما بعد يوم غد، لذا يمكنني استغلال وقت توأجدي هنا في إيطاليا لأكون برفقتها. لوكا سوف يقود سيارتها إلى المنزل هذا الصباح، فهي لا تثق بقيادتي...».

سمح أندريو لنفسه بإطلاق ابتسامة ساخرة، وتابع: «... لذا سوف أتبعها، وأبقى إلى جانبها إلى أن تتعافى، ثم أحضر لها ممرضة متخصصة تبقى معها طيلة فترة تعافيها. لقد أطلعتها على الترتيبات الجديدة الآن للتو عندما أخذت لها صينية الفطور».

غمر الخوف ميرسي بسرعة، ما جعلها تشعر بالدوار إلى حد ما. أندريو سيغادر قريباً... قريباً جداً. لن يكون هنالك مكان لها ضمن برنامجه للسهر على صحة والدته.

أحسّت بالغثيان بسبب تلك الأفكار المتجولة في ذهنها، وهي من النوع الذي وعدت نفسها بألاّ تبقيه في رأسها. دفعت جسمها إلى الأعلى فجلست بين الوسائد المتكومة.

سألته: «كيف تقبّلت الأمر؟».

أملت أن المرأة الأكبر سنّاً لم تفاجأ بسبب تأخير موعد العملية الجراحية، التي كانت على الأرجح تخشاها.

قال لها بصوتٍ رقيق: «تقبلته بصورة جيدة، و... ميرسي، سوف أتكلم معها، كما اقترحت عليّ بأن أفعل، شكراً لك! لم تسنح لي الفرصة لكي أتصالح مع والدي، لذا من المهم ألاّ أرتكب الخطأ نفسه مرة ثانية. حتى لو بدأت أمي بإلقاء تلك المواعظ عليّ، أعلم أنني حاولت فعلاً التصالح معها».

بدت نظرة ميرسي مشجعة وإيجابية، لكنها ظلت تشبك أناملها بقوة تحت الأغطية، وقالت: «أنا متأكدة بأنها لن تفعل ذلك!».

لا بد أن والدة أندريو سوف ترى الأمور من وجهة نظره هو في نهاية الأمر، فتفهم أنه لا يمكن إجبار المرء على فعل شيء لا يرغب به فعلاً في الحياة، فتشعر بالفخر لأن ابنها نجح فعلاً في المهنة التي اختارها لنفسه.

قال لها بصوتٍ عادي: «سوفينيا، مدبرة منزلي، سوف تصل خلال ساعة. ولا حقاً سيقوم زوجها جياني بإيصالك إلى المطار حتى تستقلي رحلة المساء المبكرة العائدة إلى لندن. لقد رتبت الأمر، وبطاقة السفر ستكون حاضرة بانتظارك لدى مكتب تسجيل الحقائب في المطار».

ألقى أندريو نظرة مرتبكة على ساعة يده الذهبية الرقيقة، وتابع: «سوف أعود إلى لندن لأكون معك بعد حوالى الأسبوعين، وعندها ستتمكن من إجراء حديث مطول».

عمّ ستتحدث؟ سألت ميرسي نفسها، فيما راقبت أندريو يخرج من الغرفة. لا بد أنها ستسمع ما قاله أندريو سابقاً، إنه دوماً يضع الشروط لدى بداية العلاقة الغرامية. لا ارتباطات، ولا وعود... وهي لا ترغب بسماع ذلك.

بعد خروجه أجبرت نفسها على الخروج من السرير، فتوجهت نحو الحمام المفتوح على غرفة النوم. خلال أسبوعين سيكون أندريو قد عاد إلى منزله في لندن، لكنها ستكون قد رحلت.

١١ - الرجل الآخر

مشى أندريو بخطى واسعة خارج المستشفى الخاصة، وقد بدا في مزاج مرح. جرت عملية كلوديا على خير ما يرام، وتخطت المريضة المرحلة الحرجة التي تلي العملية، فبدت متعافية وعاد اللون إلى وجهها. وعدها الجرَّاح بالتعافي التام، وبسنوات عديدة جيدة أمامها، لذا شعر أندريو أنه أصبح أخيراً قادراً على التنفس بارتياح، بعد أن ارتفع الحمل الثقيل عن كاهله.

أحسّ كأنه يسير على نسمات الهواء، فيما مشى المسافة القصيرة المؤدية إلى الفندق، حيث نزل في نابولي، فالفندق قريبٌ جداً من المستشفى. إن رفع الضغط والتوتر عنه جعله يشعر براحة البال والجذل. الليلة ستكون المرّة الأولى التي يحظى فيها بالنوم بعد مرور ما يزيد عن الثماني والأربعين ساعة.

كان نسيم المساء الحار يضجُّ بأصوات زحمة السير وبحركة الناس، لذا غمره ارتياحٌ عميق عندما دخل إلى سكينة جناحه المكيف بالهواء البارد، فطلب من خدمة الغرفة القريدس المشوي والقهوة السوداء والعصير. خلع بعد ذلك ملابسه وتوجه لأخذ حمام.

سوف يجلس صباح الغد برفقة كلوديا لمدة ساعة أو اثنتين، فهو سيستمتع بمعرفة أنها ستتعافى تماماً، وسيتابع بناء تلك العلاقة الودية التي بدأت مجدداً بينهما، بعد أن تحدثا مطولاً خلال الأمسية السابقة لدخولها إلى المستشفى. بعدئذٍ سوف يترك والدته لتستريح، ويقود سيارته إلى ضاحية شيايا الهادئة حيث تقيم. فبعد وفاة والده، اشترت كلوديا ڤيلاً صغيرة في المدينة التي هي مسقط رأسها. هناك سوف يتكلم مع رفيقة كلوديا، ماريا، ومع بقية الموظفين لديها، فيعلمهم أنه وظف ممرضة خاصة لتقيم معهم، وذلك لكي تحرص على ألاّ تقوم

كلوديا بأي شيء يرهقها طيلة فترة نقاهتها، بعد خروجها من المستشفى. أما هو فعليه العودة إلى لندن.

بعد مرور عشرين دقيقة، سكب لنفسه فنجاناً من القهوة السوداء، مدركاً أن التوتر رجع إليه.

ميرسي!

كره اضطراره إلى ترك الأمور عالقة بينهما. لكن لم يكن بيده خيارٌ آخر تحت وطأة الظروف الراهنة المشحونة، وبسبب تبديل المخططات. لا بد أنها ستتفهم موقفه...

إن ملاكه ميرسي، هي أكثر إنسانة متفهمة عرفها يوماً. إنها تتحلى بالجمال والرقة من الداخل والخارج. أحسّ أن قلبه يعتصر متألماً داخل صدره فهنالك الكثير مما يرغب بقوله لها. لكن لم يكن هنالك متسع من الوقت خلال الساعات القليلة الماضية. فقد سيطر عليه جوٌّ من الاستعجال والانهماك بسبب والدته، كما اضطر إلى أن يبدو هادئاً ومتفائلاً لأجلها.

إنه يعلم ما يحتاجه: أضواء شموع، موسيقى ناعمة، عشاء جيد، أجواء رومنسية، وبعض عبارات الغزل. وضع الفنجان بقوة على الطاولة، وأدخل يديه المكورتين على شكل قبضتين إلى رداء المنشفة الذي يرتديه، وأخذ يمشي بخطوات واسعة في الغرفة.

إنه يفتقدها بيأس وجنون... إنه بحاجة لأن يكون معها... إنه يريد أن يكون برفقتها... لكن ذلك غير ممكن في الوقت الراهن.

كان يجدر به أن يصرَّ على بقائها في إيطاليا برفقته. لعن نفسه بحدّة لأن الفكرة لم تطرأ على باله حينها.

حسناً! يمكنه التحدث إليها عبر الهاتف...

الآن!

طافت يداه فوق هاتفه الخليوي، ثم عادتا ونزلتا إلى جانبه.

ماذا يمكنه أن يقول... ما الذي سيقوله لها؟ أيقول إنه يحبها؟

ميرسي لن تصدقه، فهي على معرفة بسجله الماضي، وبآرائه حول

الارتباط. سمعت الأمر بنفسها من فمه الكبير شخصياً!

إنه بحاجة لأن يبرهن حبه، بحاجة إلى بعض الوقت ليقنعها أنه تغيّر. سوف يأخذ ما شاء من الوقت... إلى ما لا نهاية لو اضطر الأمر. سوف يعمل على إغوائها ومغازلتها مراراً وتكراراً، إلى أن تصدقه... إلى أن تقتنع أنها لا تستطيع أن تحيا من دونه.

شعر أندريو أنه يتوهج من شدة الاحباط، فأوى إلى السرير، مفكراً أنه سينام باكراً حتى يعوض ما فاته من نوم، كما قد يفعل أي رجل عقلاني. لكن المشكلة تكمن في أنه لم يكن يشعر بالعقلانية. يا إلهي! إنه ليس معتاداً على طول الصبر والأناة، لذا عليه أن يتعلم الصبر الآن، وبسرعة.

ضغط بابهامه على الزر الذي يطفىء الإنارة، ثم حدّق في العتمة.

ورأى وجه ميرسي...

ذاك الوجه الجدي اللطيف الجميل، المحاط بتلك الخصل المتموجة المجعدة الهائجة، وهي تجبره على تناول فطور مناسب، فيما جسدها مغطى بذاك الرداء الرمادي الضخم الخالي من الشكل، الذي اعتادت ارتداءه في أرجاء المنزل. ذلك الرداء الذي تبدو فيه كحزمة كبيرة من الغسيل، ولا يعطي أدنى تلميح إلى الاستدارات الرائعة المخبأة تحته.

أما ابتسامة ميرسي الآسرة، فلم تفشل أبداً في جعل قلبه يزداد خفقاناً ويسارع ضرباته، إلى أن يشعر كأنه يغرق في شعاعها المتوهج الساحر. ما زال أندريو يذكر الألم الذي ظهر في عينيها المذهلتين بزرقتهما عندما اتهمته بأنه يعتبرها سمينة وبشعة، وهذا هو سبب استخدامها لتصوير الإعلان التلفزيوني.

تذكر تلون وجنتيها بلونٍ زهري باهت ينم عن السرور، حين فسّر لها بأنها ليست بشعة، بل في الواقع هي من ذلك الصنف من النساء الذي يفضله الرجل الحقيقي على أيّ عدد من النساء التافهات المختبئات خلف ملابس لمّاعة. يومها كان يعني كل كلمة قالها من غير أي تحفظات، على الرغم من أنه لغبائه لم يتعرف إلى مدلول ذاك الأمر حينها.

استلزم الأمر صدمة رؤية ميرسي متغيرة المظهر حتى يرى ذلك. في تلك اللحظة أراد أن يأخذها فوراً بين ذراعيه. كما أنه استغرق المزيد من الوقت حتى... يا لغبائه الشديد! حتى يفهم بأنه يحتاج إلى أكثر من ذلك. لأول مرّة في حياته وجد أندريو المرأة الوحيدة التي يمكنه أن يحبها، والتي يمكنه أن يمضي بقية حياته برفقتها، ويكون وفياً لها حتى النهاية.

لكن هل ترغب ميرسي بما يرغب به هو؟

لكم أندريو الوسادة حتى سقطت على الأرض. تمّ! كيف عساه يتوقع من نفسه أن ينام في حين أن ذهنه مضطربٌ بشدة؟

أطلق تنهيدة تنم عن المزاج السيء حقاً، وقال لنفسه إن من الطبيعي أن ترغب ميرسي بما يرغب به هو، أي الارتباط التام. ما من داعٍ لأن يتعب نفسه بالتفكير، أليس كذلك؟ فمن الواضح أنها تشعر بالانجذاب نحوه، فقد تجاوبت بقوة مع عناقه لها. إن ملاكه ميرسي ليست من صنف النساء اللواتي يسمحن للرجل بمغازلتهن ومعانقتهن من غير أن يتأثّرنَ أبداً. إنها ليست من النوع الذي يأمل بالحصول على شيء منه، ولا تشبه أولئك النسوة اللواتي مررنَ في حياته فيما مضى من دون أن يذرفن أية دمعة.

ميرسي هي ابنة قسٍ، وقد تلقت تربية صالحة حقاً، بحق السماء!

ألم تطلب منه صباح ذلك اليوم المميت بأن يتوقف، قائلة له إنها لا ترضى بعلاقة عابرة من غير ارتباط طويل الأمد؟ عوضاً عن الشعور بالغضب والاحباط، انتابت أندريو موجة ضخمة من الرقة والاحترام والتبجيل، والسبب في ذلك الاكتشاف الذي عرفه عن نفسه، فهو أيضاً يرغب بالارتباط الطويل الأمد، أكثر من رغبته بأي شيء آخر في الحياة. أراد يومها أن يطلع ميرسي على نواياه لولا وصول كلوديا مع أخبارها المزعجة، ما أجّلَ هذا الاعتراف حينها.

لم يشعر أندريو طيلة حياته أنه غير واثق من نفسه إلى هذا الحد. إنه يشعر كذلك الآن، ولا يعجبه الأمر!

لم يكن بمقدوره الانتظار بصبر حتى يتم إخراج كلوديا من المستشفى فيصبح

حرّاً ليعود إلى لندن.

سوف ينسى الخطة المطولة... الموسيقى الناعمة والشموع والرومنسية.. أي خطة التقرب من ميرسي برقة وأناة.

ضغط بسرعة بإبهامه على زر الإنارة، فبهرت عينيه الأضواء المشعة التي تكفي لإنارة ملعب بأكمله، ثم حمل هاتفه الخليوي.

* * *

أجبرت ميرسي نفسها على الإحساس بالتفاؤل، فيما كانت تغسل كوب الشاي الوحيد تحت صنبور المياه فوق المجلى الموجود في المطبخ.

اليوم هو اليوم الثالث على عودتها إلى لندن، ولقد تمكنت فعلاً من إخراج نفسها من ضباب التعاسة الذي لفّها، والذي حلّ عليها منذ راقبت أندريو وهو يضع والدته بحنان في المقعد الخلفي لسيارة الليموزين التي سيقودها سائقها الخاص. عادت بعدئذٍ إلى الڤيلا، حيث كانت سوفينيا تتفحّص بدقة مطبخها بحثاً عن أي فوضى أو تخريب خلال فترة تغيُّبها القصيرة.

لم تتمكن ميرسي من مراقبة رحيل عزيزها أندريو بسيارته، وهي تعلم بأنها لن تراه مجدداً.

كان هذا اليوم متعباً تماماً لها. صرّت على أسنانها وأجبرت نفسها على التوقف عن الأحلام وإنهاء شعورها بالكآبة، وكأنه محكومٌ عليها بالدمار. أجبرت نفسها على القيام بشيء إيجابي، فحجزت لنفسها غرفة في نزل متواضع، ثم عادت وسجلت اسمها في وكالة الأعمال المنزلية. لأن المال الذي وفّرته والذي حصّلته من تصوير ذلك الإعلان، قد دفعته لتسديد حساب جيمس، لذا فهي في الواقع مفلسة، وبحاجة إلى إيجاد عمل على الفور.

وضّبت ميرسي معظم أغراضها، وغداً سوف تحرص على جعل منزل أندريو مثالي النظافة والترتيب، ثم ستكتب ملاحظة قصيرة تشرح له فيها بأنها غادرت إلى مكان آخر. بعدئذٍ ستحمل حقائبها، وتقفل الباب خلفها وتعيد المفتاح إليه عبر علبة البريد، ثم تسير مبتعدة. ذلك ما يجب أن تفعله، فهذا الأمر لصالحها. لذا فهي لن تسمح لنفسها بالبكاء. لن تسمح! إذا ما

بقيت قريبة منه، وأحبته، وازداد تعلّقها به واعتمادها عليه مع مرور الأيام، فسوف تعيش في العذاب والمرارة.

أندريو باسكالي السريع الاشتعال، المتململ الطائر الحر الطليق، لا يرغب بالارتباط بأحد. حتى لو كان مهتماً بها، فكل ما سيقترحه عليها هو إقامة علاقة غرامية، وهو أمرٌ سيدوم فقط إلى أن تظهر امرأة أخرى أكثر فتنة وسحراً وجاذبية على الشاشة. ما يعني أن العلاقة بينها وبين أندريو ستستمر حوالى الأسبوعين، هذا إذا كان الحظ حليفها!

حالتها مع أندريو ميؤوسٌ منها. فهي بكل بساطة لا تستطيع أن تثق بنفسها عندما يكون قريباً منها، فهو يسيطر على حواسها وكيانها، فتغدو مأخوذة به.

لا يمكنها أن تنتظر آملة بيأس أن يبدل الفهد جلده بسحر ساحر، فتتبدل البقع التي تميّزه يوماً وتتحول علاقتهما الغرامية إلى علاقة حب وطيدة تدوم لمدى العمر. فهي تدرك في أعمق أعماق قلبها أن ذلك من سابع المستحيلات، ولن يحصل مطلقاً.

ما يزال هناك أمرٌ واحدٌ تقوم به قبل أن تخلد إلى النوم تملصاً من الأفكار. جففت ميرسي يديها بمنشفة المطبخ، وابتلعت كتلة تسدُّ حلقها، فيما أحسّت بالتردد والخوف في داخلها، فبعد وصولها في وقت متأخر من بعد ظهر اليوم، لاحظت أن الضوء الأحمر على الآلة المجيبة يومض مشيراً إلى وجود رسالة صوتية.

أهي من أندريو؟

أحسّت ميرسي بالجبن حينها، فذهبت إلى الجناح الخاص بها لتوضب أغراضها. نظراً لحالتها المتقلقلة الآن، فهي تخشى أن تنقلب من فوق الهاوية لدى سماع صوت أندريو المحبب. سيؤدي الأمر بها إلى البكاء المرير!

أما الآن فهي مضطرة إلى الدخول للاستماع إلى الرسالة الصوتية. لا بد أن عملية كلوديا الجراحية قد انتهت الآن، وأملت ألاّ تكون الأخبار سيئة. أحسّت ميرسي أنها تصرفت بأنانية لعدم استماعها فوراً إلى مضمون رسالته، لذا دخلت إلى غرفة مكتبه، واستعدت مهيئة نفسها لسماع نبرة

صوته المسجَّل، لكنها شعرت بالخيبة المريعة عندما اكتشفت أن الرسالة ليست منه، وذلك برهن لها كم هي حمقاء ميؤوس منها.

سمعت صوت جيمس يبلغها: «لدي أخبارٌ جيدة، أختي. سوف أمرُّ بك مساء الغد حينما تكونين خارج الخدمة، وسأخبرك كل ما يتعلّق بالأمر. إنه خبرٌ جيّد لك أيضاً. أراك غداً!».

تنهدت ميرسي وازداد إحساسها بأنانيتها، فقد كانت شديدة الانغماس بمشاعرها حيال أندريو، ومهووسة به إلى حد أنها لم تفكر بإعلام شقيقها أنها ستكون خارج البلاد لأسبوعين على الأقل.

لا بد أن جيمس كان سيشعر بالانزعاج لو أنه تكبد عناء المجيء لرؤيتها ولم يجد أحداً في المنزل. هذا ما كان سيحصل لو أن إقامتها وأندريو في إيطاليا لم تختصر، أما الآن فعليها تبديل مخططاتها، والبقاء في هذا المنزل لمدة يوم آخر.

إنه أمرٌ صعب، لأنه يفطر قلبها. تواجدها في منزله، ملامستها للأغراض التي لامسها، والسير حيث كان يمشي، . . . آه! فليكن الله في عونها.

تذكرت ميرسي المرة الأولى التي وقع نظرها عليه فيها، هنا في هذه الغرفة بالذات. لقد جلبت على نفسها بليّة حقيقية منذ تلك اللحظة، فأخذت تمضي غالبية وقتها محاولة أن تؤكد لنفسها أن ما تشعر به نحوه هو مجرد نزوة عابرة. حاولت أن تطمئن نفسها أنه أمر عادي جداً، وليس شيئاً تكترث له. لأنه لا يمكن لأي امرأة تراه ألا تحلم به، إلاّ إذا كانت على فراش موتها وتطلق نفسها الأخير.

أقرّت ميرسي لاحقاً بأن ما تشعر به ليس نزوة سخيفة قد تتخطاها سريعاً، فهي مغرمة به بجنون، وقد قلب حياتها رأساً على عقب. إنها مغرمة برجل لن يحبّها أبداً، ولن يبادلها الشعور نفسه. رجلٌ لا يرغب إلاّ بإقامة علاقة عابرة معها.

سارت نحو الباب مجرجرة قدميها، ثم قفزت هلعاً حينما رنَّ جرس الهاتف. أحسّت لوهلة أنها مشلولة، ثم استراحت ملامح وجهها الجامدة في ابتسامة رقيقة.

جيمس! لا بد أنه هو. يبدو أنه يرغب بالتحقق من أنها تلقّت رسالته. لطالما كان شقيقها متنبهاً لأمور كهذه، فهو لا يقوم بأي شيء بالصدفة، وهو لن يرغب بهدر وقته في حال لم تكن متواجدة في المنزل.

كانت ميرسي بحاجة إلى شيء يرفع من معنوياتها ويبهجها قليلاً. فرفعت السماعة وهي تتساءل ما عساه يكون الخبر الجيد، فتكلمت بصوت مشرق قائلة: «مرحباً! أهذا أنت، جيمس؟».

– من هو جيمس؟

هزّها صوت أندريو بقوة، ذلك الصوت الذي بدا حاداً كالسكين. أخذ ذهن ميرسي يتسارع قبل أن تتمكن من فك تشابك أوتارها الصوتية.

بغض النظر عن أسباب اتصال أندريو بها، بدا لها أنه شعر بالانزعاج عندما تحقق أنها تتوقع اتصالاً من رجل آخر. يا للسخرية! ماذا لو أعتقد أنها مع عودتها إلى لندن أخذت تتسكع هائمة؟ في تلك الحالة فإن أندريو قد يقوم بفعل أكثر أمرٍ تخشاه، وذلك بأن يقترح عليها بأن ينطلقا في إنشاء علاقة غرامية كاملة، لكن بغير ارتباطات، إلى أن يشعر بالملل فيوقف الأمر.

نقرحت أذن ميرسي بسبب صوت أندريو المحمَّل بنفاد الصبر، فقال: «حسناً!؟».

استجمعت ميرسي شجاعتها، وتدبرت أن تجيبه بصوت باردٍ إلى حدٍ ما نظراً إلى الظروف الراهنة، فقالت: «لا أحد ينبغي أن تعلم بشأنه».

قصدت أن تعلمه بأنها تتوقع منه ألاّ يتدخل في ما لا يعنيه، ثم تابعت كلامها باهتمام وقلق حقيقيين، فسألته: «كيف حال كلوديا؟ هل جرت عمليتها الجراحية على ما يرام؟».

ظنّت أنها سمعته يصرّ أسنانه، ثم ردّ قائلاً: «بشكل ممتاز».

أحسّت ميرسي بأصابع قدميها تنكمش، فنبرة أندريو الرقيقة الآسرة لم تبدُ واضحة لها بهذا الشكل من قبل. لطالما جعلها صوت أندريو تشعر بالضعف في ركبتيها، لذا اضطرت إلى سحب كرسي من خلف مكتبه لتجلس عليه، أما هو فتابع كلامه واسترسل في إعلامها قائلاً: «أريدك أن تتزوجيني. يا إلهي . . . !

هذا ما كنت أفكر به، صدقيني!».

بدأ رأسها يسبح في دوامة ضبابية، فيما رقّت نبرته وهو يعترف قائلاً: «نظراً للظروف الراهنة اضطررت إلى مفاجأتك بالأمر، فلم يعد باستطاعتي الانتظار إلى حين أوافيك في لندن».

بعد ذلك عاد الاستبداد والثقة الكبيرة بالنفس إلى صوت أندريو، فيما تابع: «هذا الرجل الذي كنت تتوقعين اتصاله... انسيه! فأنت مخطوبة. وإذا كنت في حاجة إلى فعل شيء ما لتمضية الوقت، فابدأي بالتفكير بما تريدين ابتياعه كجهاز عروس. أحب أن أراك وأنت ترتدين الحرير والساتان، ابتاعي أشياء صغيرة محرّمة ذات شرائط...».

اصطبغ وجه ميرسي بالاحمرار وصولاً حتى أذنيها، لكنها ما لبثت أن أحسّت بالغثيان وبالإذلال الكريه. اسقطت السماعة على حضنها، فهي لا تستطيع احتمال الإصغاء إلى هذا. لقد آلمها الأمر كثيراً.

ميرسي تعرف بالضبط ما هي دوافعه. إنه لا يعرض عليها الزواج بدافع حبّه لها ورغبته بتمضية بقية حياته معها.

كل ما في الأمر هو أن كلوديا ترغب يائسة في أن ترى ابنها الوحيد متزوجاً، مستقراً ولديه الكثير من الأطفال. فهي تريده أن يتوقف عن التنقل بسرعة فائقة من امرأة غير مناسبة إلى أخرى تنتظر دورها. ويبدو أن كلوديا أحبت ميرسي لسبب ما، وهي تعتقد بأنها الزوجة المناسبة لابنها. لا بد أنها تفحّصت خلفية ميرسي، وأرضاها ما سمعته عنها. أما أندريو فهو يرغب بيأس بمصالحة والدته التي لم يبق لديه سواها من عائلته. والآن، وفيما يلوح الخطر في الأفق بسبب العملية الجراحية التي يهابها في تفكيره، فهو مستعد للقيام بأي شيء حتى يهدىء بال والدته، فيكسب رضاها لأول مرة في حياته، حتى ولو كلفه ذلك أن يعدها بأنه سيستقر ويتزوج ويمنحها الأحفاد.

جذبت ميرسي نفساً عميقاً مرتعداً. فيما رفعت السماعة وأعادتها إلى أذنها. سمعت ذلك الصوت المثير يصف لها الآن شهر عسلهما، فقاطعته مذعورة: «اصمت! أنا لم أقل إنني سأتزوجك!».

- لكنك ستفعلين!

بدا أندريو واثقاً جداً، فيما بدا صوته دافئاً كالعسل الذائب، وتخيلت أنها ترى ابتسامته المثيرة، المستهينة، المستهترة! فأخذت ترتجف ثم صرخت قائلة: «كلا! لن أفعل!».

ثم صفقت السماعة وأقفلت الخط.

www.elromancia.com

١٢ - دعني وشأني!

- إذاً، ستغادر لتعود إلى لندن؟

قالت كلوديا ملاحظتها بجفاف، لكنها لحسن الحظ لم تبدُ مرتعبة بالقدر الذي كان أندريو يخشاه. جلست مستندة إلى الوسائد البيضاء المشرقة ذات الرائحة المنعشة، وقد بدت مرتاحة تماماً.

- لبضعة أيام فقط، ماما. ستقوم ماريا باستخدام جناحي في الفندق إلى حين عودتي. يمكنها القدوم إليك ومجالستك في أي وقت ترغبين فيه بوجودها معك، فهي ستؤدي لك الخدمات، وتقوم بشراء ما تحتاجينه، فتؤانسك وتسليك.

ضاقت عيناها باتجاه ابنها الوسيم، وقالت: «ذلك لطفٌ منك، عزيزي».

ارتسمت على وجه أندريو تلك النظرة العنيدة التي تعرفها جيداً، فيما بدا فكّه جامداً، أما عيناه الجميلتان فبدتا كأنهما تتفكران بمشروع معقد لكنه غير محدد. لذا جسّت كلوديا النبض بغير أسف قائلة: «هل قلت إنه عملٌ طارىء؟ هل له علاقة باشتياقك لخطيبتك الصغيرة الجميلة؟».

أجبر أندريو نفسه على الابتسام. فهو لم يندم لأنه أخبر والدته بأنه وجد في ميرسي المرأة الوحيدة التي كان يبحث عنها في عقله اللاواعي، طيلة حياته. إنها المرأة الوحيدة التي سوف يشعر بالفخر لأن يدعوها زوجته.

في الوقت الذي أطلع فيه والدته على نيته بالزواج، كان يؤمن حقاً بأن ميرسي تبادله الشعور، أي أنها تحبه، أو بأنه قادر على جعلها تحبه. شعرت كلوديا بالنشوة لشدة سعادتها عندما أطلعها أندريو العنيد المتمرد، أنه على وشك أن يستقر وينجب لها الأحفاد الذين كادت تفقد الأمل بالحصول

عليهم. والآن، لا يستطيع أندريو أن يبين الحقيقة لكلوديا، طالما أن صحتها ما زالت في حالة متقلقلة. إنه لا يستطيع إخبارها أن ميرسي كانت تنتظر اتصالاً من رجلٍ آخر، وأنها بدت مسرورة ومبتهجة عندما ظنته ذلك الرجل، وأنها تهرّبت من الإجابة عن سؤاله، وبدّلت الموضوع حين طالبها بمعرفة من يكون الرجل الآخر. الشيء الوحيد الذي يعرفه أندريو عن الرجل المجهول الذي يتدخل بينه وبين ميرسي هو أن اسمه جيمس.

كما أنه لا يستطيع إطلاع كلوديا على أن ميرسي رفضت عرضه بكل بساطة، وأنها في الواقع أقفلت السماعة في وجهه!

ردّ موافقاً بنبرة رقيقة لا تظهر يأسه الحاد، فقال: «سوف أقابل ميرسي خلال وجودي في لندن».

أدخل يديه في جيبي سرواله، وابتسم إلى أن تصلب وجهه.

وتجته كلوديا قائلة: «لا يمكنني أن أفهم لِمَا سمحت لها بالعودة إلى لندن. كان ينبغي عليك أن تصرَّ على بقائها هنا، حيث بإمكانها أن تزورني، فنجري أحاديث حميمة حول ترتيبات الزفاف».

لا يمكن لأندريو أن يطلع كلوديا على حقيقة أنه لن يكون هناك أي زفاف، ليس الآن على الأقل، إذا ما اعتبر ردّ ميرسي على عرضه جدياً.

لكنه سوف يغيّر ذلك.

لطالما حصل أندريو باسكالي على مبتغاه، وهو لم يرغب طيلة حياته بأي شيء، كرغبته بالحصول على ميرسي كزوجة له.

ودّع أندريو والدته، ثم رفع يدها وقبّلها. توجه بعدئذٍ إلى خارج الغرفة وقد بدت عيناه داكنتين وممتلئتين بالعزم والتصميم.

* * *

لم يكن جيمس قد أعاد الاتصال بميرسي حتى تؤكد له أنها موجودة في المنزل. لذا لم تكن لديها أدنى فكرة عن موعد وصوله، فالمساء قد يرمز إلى أي وقت ما بين السادسة والعاشرة.

حوالى الساعة الثامنة، تفقدت طاولة المطبخ. بدا غطاء الطاولة الكتاني

جيد المظهر فوق خشب الصنوبر، أما أكواب العصير فبدت لمّاعة.

أما أندريو . . . فهي ببساطة لم ترغب بأن تفكر به، أو بعرضه المهين لها. لو أنه حقاً مغرمٌ بها، لما اعتبرت أن هذا العرض مهين لها، بل لاعتبرته أروع شيء في الكون بأسره.

حلّق قلب ميرسي المسكين لمدّة جزء من المليون من الثانية على أجنحة من النشوة العارمة، حين قال لها أندريو تلك الكلمات السحرية، ثم عاد فسقط مرتطماً بالأرض، كما لو أنه بالون من الرصاص، عندما عاد التفكير العقلاني ليسيطر على ذهنها.

أندريو لا يحبها، وهي تعلم ذلك. كما أنها تتمتع باحترام كبير لنفسها، لا يسمح لها بأن تخدع نفسها في تصديق العكس. أراد أندريو إقامة علاقة معها، وعندما قاومته أدرك أن ذلك ليس ممكناً من دون الارتباط بها.

سوف تكون ببساطة مجرد أنثى جديدة في سرير أندريو، لا شيء أكثر. وحالما تزول الرغبة المستجدة، سيقول لها الوداع. وداع حازمٌ جداً . . .

فهذا هو الأسلوب الذي اعتاد أن يعامل عشيقاته به، ولتكن السماء بعون أي امرأة تحاول التعلّق به. ألم تكن هي شاهدة على مناسبة كهذه بنفسها؟

ألم يقل لها أندريو بنفسه إن لا نيّة لديه بالزواج وبربط نفسه بأي امرأة خلال المستقبل المنظور؟ ألم يصارحها بأنه سوف يعضّ على الجرح ويتزوج في وقت ما من المستقبل المبهم والبعيد جداً، من امرأة تمتلك ثروتها الخاصة المريحة، أي المرأة التي ستنجب له الورثة؟ ألم يقل إن تلك المرأة ستغض النظر عن خيانته لها في بعض المناسبات، وإن ذلك أمرٌ معروف حتماً؟

ثمّ تغيّر كل شيء . . . صعق أندريو بشدّة لدى سماعه الأخبار المختصة بحالة والدته الصحية المتدهورة وقلبها الضعيف. توفي والده وهو ما يزال غير راضٍ عن أسلوبه في الحياة وعن المهنة التي اختارها والنساء اللواتي يواعدهنّ، أي كلّ ما يتعلّق به. إنه عملياً قد تبرأ من الابن الذي رفض أن ينصاع لأوامره، وذلك الأمر سبب الحزن العميق لأندريو.

خشي أندريو أن يخسر والدته أيضاً من دون أن يحظى بموافقتها ورضاها

عليه، ما أوقعه في حفرة عميقة من الجزع والقلق الكئيبين. نزف قلب ميرسي ألماً وتعاطفاً مع أندريو، فبناءً على نصيحتها له لا بد أنه استغل آخر ليلة له مع كلوديا ليحدثها ويفتح لها قلبه. لا بد أنه جعلها ترى أنه بالرغم من رفضه الحازم جداً للمهنة ولأسلوب الحياة اللذين أرادهما له كلٌ من والديه، فقد كان محقاً في اتباع نجمه اللامع المبدع الخاص به، فها هو قد أصبح شخصاً ذا مكانة مرموقة يمكن لكلوديا أن تفخر به. كما ذهب أندريو إلى أبعد من ذلك، فأراح بال والدته بإخبارها أن المرأة التي كانت برفقته في الڤيلا، ليست واحدة من أولئك العشيقات العاديات. قال لها بأن ميرسي هي عروسه العتيدة، ومن هنا جاء عرضه المفاجيء لها بالزواج.

فكرت ميرسي أنه من غير المستعبد أن يفعل أندريو أمراً كهذا! فهو مندفع، وعنيد أيضاً ومتصلبٌ في رأيه. لا بد أنه أراد بيأس أن يريح بال كلوديا قبل إجرائها للعملية، ولم يجد أفضل من هذه الطريقة، وهي طمأنتها بأنه على وشك أن يستقر وينشيء عائلة.

يجب ألاّ تتدخل مشاعرها الخاصة تجاهه في الأمر. إذا ما وافقت على الزواج به، لا شك أنها ستعيش في أحضان الرفاهية، لكنها ستبقى منسية في مكان بعيد، حيث يتركها أندريو لتربي أولاده، من غير أن تعلم أين هو، وبرفقة من يمضي أوقاته!

سالت على خد ميرسي دمعة مزعجة من الشفقة على نفسها، فمسحتها بكم ثوبها القديم وتجهمت. إنها تنتظر انتهاء النهار بنفاد الصبر، إلى درجة أنها قد استحمت وارتدت ملابس نومها في وقت مبكر جداً، وكأن ذلك سوف يسرّع بمجيء الصباح.

مشت ميرسي وحاشية ردائها تنجر خلفها. أجبرت نفسها على إبعاد تفكيرها عن أندريو باسكالي الجذاب المتلاعب الذي لا يطاق، وذهبت لكي تتفحص مقلاة الدجاج مع الفطر الذي كانت قد أعدته.

على العكس منها، يبدو جيمس طويلاً ونحيلاً، حتى إنه يبدو كأنه يعاني من الجوع. لطالما كانت والدتهما تتذمر لأنه ينسى تناول الطعام لولا وجود أحدهم

بجواره ليذكره بذلك. لم تشعر ميرسي أبداً بفقدان الشهية كما تحسُّ الآن، لكن عليها أن تحرص على أن يتناول شقيقها الأصغر وجبة مشبعة. يمكنه أن يطلعها على الخبر السار أثناء تناولهما للطعام، وهي يمكنها أن تعطيه عنوان النزل الذي ستقيم فيه، حتى يعلم بمكان وجودها، ويتصل بها إذا ما رغب بذلك.

ما إن وقفت ميرسي باستقامة وأغلقت باب الفرن المشتعل على مهل، حتى سمعت صوت جرس الباب المنخفض، فغمرها الارتياح.

جيمس!

لكنه لم يكن هو.

كان أندريو يرتدي قميصاً عادية ذات لون أزرق غامق، دسها تحت سروال ضيّق من الجينز، فبدا رائعاً جداً. ظهرت ابتسامة بطيئة على فمه الأنيق الرائع، فيما بدت عيناه متألقتين بلونٍ فضي دافيء خلف رموشه السوداء الكثيفة.

قال لها بخفة فيما هو يعبر من أمامها: «تركت مفاتيحي في نابولي».

ثم لاحظ مظهرها المهمل، إذ بدت كما لو أنها تعرضت للقصف في معركة بشحوبها غير الاعتيادي، فسألها: «أتأوين إلى الفراش باكراً؟».

تشرّبت عيناه ببطء منظر رداءها المربوط بإحكام حول خصرها النحيل.

وتسارعت نبضات قلب أندريو لكونه قريباً إلى هذا الحد من جميلته المحبوبة ميرسي، وتصلّبت عضلات جسده.

تكلم برقة، كابحاً رغبته بجنون لأن يحتضنها ولا يفلتها أبداً، فقال: «أيمكنك تحمّل البقاء مستيقظة لمدة ساعة بعد؟ أرغب في التحدث إليك».

لن ينجرف خلف اندفاعه المتهور لمعانقتها إلى أن تهتز الأرض تحت قدميها، فوقوعه في حب الساحرة ميرسي هاورد قد بدّل كل شيء. في السابق كان لينقاد وراء غرائزه: يأخذها بين ذراعيه إلى أن يسلب عقلها فتنسى في أي يوم هي، لكنه لأول مرة في حياته لم يكن ينوي الدخول بخطوات سريعة لأخذ ما يريده. لن يستخدم الإغواء حتى يدفعها إلى قبول الزواج منه تحت تأثير موجة من المشاعر البدائية الساحقة التي تجعلها ضعيفة الحيلة.

إن ميرسي ثمينة جداً ومهمة جداً بالنسبة إليه، وهو لن يفعل ذلك بها. بشكل

ما، ينبغي عليه أن يعلّمها كيف تحبّه. عليه أن يكسب محبتها وأن يستحق ثقتها.

لم يكن بمقدور ميرسي إلاّ أن تتبعه وهي تجر قدميها وقد تسارعت نبضات قلبها، ثم جفّ فمها إلى حد ما عادت قادرة معه على الكلام. أما أندريو فسار متباطئاً نحو المطبخ، واقترح قائلاً: «سوف أعد القهوة لكلينا. تعالي!».

لماذا جاء إلى هنا بعد الأسلوب الفظ الذي رفضت به عرضه السخيف؟ ألا يجدر به أن يكون في نابولي مع كلوديا، ليرعاها إلى أن تتخطى هذه المرحلة الحرجة من النقاهة بعد العملية؟

وقف أندريو في مدخل باب المطبخ متردداً، فيما أمسكت ميرسي بطيتي صدر ردائها وجذبتهما على صدرها. كانت على وشك أن تسأله عما يفكر به، حين سألها أندريو بحزم فيما بقي ظهره مواجهاً لها: «هل تتوقعين مجيء أحدهم؟».

رأى في تلك اللحظة المكانين المعدّين على الطاولة، فيما فاحت نكهة كسرولة الدجاج ممتزجة برائحة البطاطا ووضعت إلى جانبها زجاجة العصير والكوبان.

بدا صوت ميرسي أجش وكئيباً من غير أي لمحة للمرح الهادىء العادي الذي قصدته فيما ردت: «ألا يبدو هذا واضحاً؟».

عندئذٍ استدار أندريو، وضاقت عيناه الذكيتان فيما أجالهما عليها متفحصاً ملامحها. تحركت الغيرة في أعماقه كالسكين الحاد الخطير الجامح. براءة ميرسي وطبعها المتزمت المحافظ جعله يفكر أنها ما تزال عذراء، وأنها ليست من النوع الذي يقيم علاقات عابرة. لكن كيف عساه يكون متأكداً تماماً من ذلك؟ على الرغم من قلّة خبرتها الواضحة، إلاّ أنها تجاوبت مع عناقه بشكل رائع، بتلقائية وشغف. لكن، بحق السماء! هو لن يقف مكتوف اليدين فيما تقوم ميرسي بمنح رجلٍ آخر هذا الفيض من الرقة والحنان فيتمتع بعواطفها المكتشفة حديثاً!

سواء كانت ميرسي تدرك ذلك أم لا، لكنها امرأته هو! ملكه هو!

قام أندريو ببذل مجهودٍ كبير لكي يهدأ ويبرد أعصابه، ثم أجبر كتفيه

المتصلبتين وعموده الفقري على الاسترخاء.

كيف يمكنه أن يفكر بهذا السوء حيال ملاكه العذب؟ إنها ليست من الصنف الذي ينتقل من سرير رجل إلى سرير آخر، أم تُراها كذلك؟ بالطبع لا! فهو منذ اللحظة الأولى التي عرفها فيها، وجد حسّها الأخلاقي الصادق محبباً مثيراً للاهتمام. جعلها ذلك تبدو مختلفة بشكل منعش عن أولئك النسوة اللواتي شاركنه حياته لوقتٍ قصيرٍ ثم ذهبنَ في النسيان.

إنها على الأرجح تتوقع وصول صديقتها تلك. خطا أندريو خطوة باتجاه ميرسي، فجعلتها ابتسامته الرقيقة المستميلة ترتجف.

- لعل بإمكانك الاتصال بصديقتك لكي تلغي زيارتها. قدّمي لها اعتذاراتي، فأنا حقاً أرغب بالتحدث إليك حول مستقبلنا يا عزيزتي الغالية.

اضطربت ميرسي لظهور الرجل الذي تحبه إلى حد شتت فكرها، أما ذلك التحبب وذكر أمر المستقبل، فجعلاها تشعر كأنها تدور على عقبيها دورات متتالية. حدّقت إليه بعينين متسعتين جداً. حتماً هو ليس على وشك أن يعيد على مسامعها ذلك العرض المؤلم. بدا من السهل إلى حدٍّ ما أن تصرخ بوجهه لا عبر سماعة الهاتف، لكن الأمر مختلفٌ تماماً عندما يواجهها الرجل الذي يجسّد كل أحلامها بلحمه وعظمه مباشرة.

ماذا لو أصر على الأمر؟ لكن هل تراه يفعل ذلك؟ لا بد أن الأسلوب الذي استخدمته لإنهاء المكالمة بقوة قد ترك أثراً حاداً على غروره الكبير. فبحسب معرفتها بأندريو، إنه لن يتناسى أو يسامح استخفافاً من هذا النوع. لا يمكن لميرسي إلاّ أن تشعر بالاندهاش لأن أندريو لم يقم بتوجيه كلام ساخر لها بواسطة لسانه اللاذع، ذلك لأنها تهوّرت بشكل طائش إلى حدٍّ دفعهَا إلى رفض عرضٍ كهذا، أي أن تتزوج من أحد أكثر الرجال العازبين شهرة في لندن.

أما إذا كان أندريو يائساً جداً ويرغب بإسعاد كلوديا، واكتساب رضاها لأول مرّة في حياته، فهو بكل سهولة يستطيع أن يفرقع أصابعه مشيراً إلى أية واحدة من عشيقاته السابقات، حتى يحصل على ما يريد، فلا شك أن كلاً منهنَّ متشوقة لأن تكون عروساً له.

بحثت ميرسي عن الجواب في ملامح وجه أندريو التي يصعب نسيانها، فيما آلمها حلقها لشدّة التوتر. راحت الكلمات تتجمع في حلقها الضيق، لكنها بقيت غير منطوقة، لأنها فجأة، علمت - أو بالأحرى بدت واثقة إلى حد بعيد - أن الكلمات بقيت مكانها.

تريشا التي هجرها أندريو بغير أسف ولا ندم هي مثالٌ حي على نوع النساء اللواتي يختارهن ليكنَّ عشيقاته لوقتٍ قصير. أما ميرسي فهي على عكسهنَّ تماماً. وبحسب ما يفكر أندريو، فإنه لو رغب في إسعاد والدته أخيراً، وفي كسب رضاها عليه، عليه أن يتزوج ويمنحها الأحفاد. إذاً من أفضل من ميرسي هاورد الصغيرة؟ لا بد أنها ستكون بالنسبة إليه زوجة جيدة تستحق التقدير. لو انتشلها أندريو من العمل في الخدمة المنزلية، ستكون ممتنة له إلى الأبد. فهي امرأة متواضعة وخاضعة، وسوف ترضى بأن تقبع بسلام في خلفية حياته. ذلك يعني أن تدع أندريو حرّاً ليقيم علاقات غرامية سرية مع ذاك الصنف من النساء اللواتي يتوافقن تماماً مع مواصفات المظهر الجميل والتميّز الاجتماعي.

لا! ليس إذا كان في مقدورها رفض ذلك!

أما كيفية رفضها لعرض أندريو بالزواج فجاء بقولها له: «فات الأوان الآن لإلغاء الموعد. سوف يصل جيمس في أية لحظة. ومهما كان الأمر الذي ترغب بقوله، يمكنه أن ينتظر».

ضاق فم أندريو الواسع وغمق لون عينيه، وامتلأتا بالغضب المقيت، أما الكلام الذي قاله فطعنه كالوتد في قلبه أيضاً، لكنه لم يتمالك نفسه من القول بخشونة مبالغ فيها: «هل تقابلين رجلاً آخر بعد ساعات فقط على مبادلتي العناق والمشاعر الجياشة؟ يبدو جلياً من ارتدائك للملابس المنزلية أن الطعام ليس الأمر الوحيد على القائمة لديك!».

أرادت ميرسي أن ترد عليه بالقول إن الفئران تسرح بحرية في غياب الهر، لكنها لم تنطق بذلك. هي تستطيع تحمّل مزاجه المتأجج، لا مشكلة في ذلك، لكنها لا تستطيع أن تتحمّل اشمئزازه منها ومقته لها. لا خيار آخر لديها الآن

سوى تحمّل الأمر، لأنها تعمدت أن تجلب ذلك لنفسها بنفسها. اكتفت بإظهار التمرّد، وتمتمت: «أنت لا تعرفني! يمكنني أن أستقبل أي شخصٍ أريد، في أي وقت أرغب بذلك».

انكمشت ملامح وجه أندريو البالغ الوسامة، وأصابها الشحوب، فيما لاحظ الاحمرار الذي زحف صعوداً إلى عنقها النحيل. أحسّ كأن قلبه قد قطع إلى نصفين بواسطة فأس حادة، مسبباً له الألم المرير.

لا بد أن يقرَّ بأن هذه الفتاة المستهترة هي حقاً داهية. فهي قادته خلفها، وجعلته يصدق أنها مختلفة عن غيرها. ارتدت قناع الطيبة والبراءة كالجلد المزيف، ثم تسلّلت بمكر لتقابل غيره حالما أدار لها ظهره. لقد حولته إلى غبي مسلوب العقل، بل إلى مخبول بما يكفي لأن يرغب بالزواج منها!

إن رفض ميرسي عرضه بالزواج، لم يعنِ شيئاً في بادىء الأمر. لقد خاضت مجازفة مدروسة، وكان من الممكن أن تحقق مأربها. تلك الساحرة الصغيرة تستطيع فهمه وقراءة أفكاره كما لو كانت كتاباً مفتوحاً. رفضها له لم يكن يعني إلاّ أنه سوف يكرر عرضه بالزواج لها، ويعدها بكل شيء تريده في الدنيا، فيعدها بالقمر والنجوم. وحينما تحصل عليه متذللاً عند قدميها، راغباً بفعل كل شيء وأي شيء لأجلها، فقط حينها قد توافق ميرسي بكل لباقة!

لكن الأمر ساء بشكل مريع بالنسبة إليها. لا عجب أنها بدت مصدومة جداً حين ظهر أمامها على عتبة الباب. لم تكن ميرسي لتتوقع منه أن يسافر بهذه السرعة ليكون إلى جانبها فوراً، في حين أن كلوديا ما تزال في المستشفى.

لا عجب أنه بدا مدعاة للسخرية! تذكر أندريو، حينما عاد إلى المنزل من سفرته السابقة، في وقتٍ أبكر من المتوقع، ثم ذهب إلى جناح ميرسي ليقرع بابها، لكنه سمع ضحكة رجلٍ تنبعث من غرفتها. يومها أحسّ بغيرة عنيفة إلى درجة أنه أقسم على طردها. هو، أندريو باسكالي، الذي لم يشعر بأية لحظة غيرة طيلة حياته. لا بد أنه كان يقع في غرامها في ذلك الحين.

تمنّى أندريو هو يغلي غضباً، لو أنه طردها في ذلك الوقت، فوفّر على نفسه هذا الأسى. لكنه أصيب يومها بفيروسٍ ما، وجرت الأمور تباعاً...

منع أندريو نفسه من التفوه بمشاعره بإرادة صلبة كالحديد، فلم يفصح عمّا يدور في خلده من ألم، أو عن خيبته الموجعة. إنه رجلٌ يتمتع بالكرامة، ولن يقلل من قدر نفسه أمامها.

استدار على عقبيه، ومشى مبتعداً عن ميرسي، بعد أن رماها بنظرة أخيرة جارحة ومميتة.

www.elromancia.com

١٣ - هدية

قامت ميرسي بالأمر الصائب الذي يجدر بها القيام به، لكنها لم تشعر أبداً طيلة حياتها بمثل هذا البؤس وهذه التعاسة. لم تحس بشعور مماثل قبل الآن، حتى خلال الأيام الكئيبة التي تبعت وفاة والديها، لأنها كانت قادرة على تهدئة حزنها عبر استحضار الذكريات السعيدة ومعرفتها أنها محبوبة ومقدّرة. أما هذا النوع من البؤس فهو مختلف تماماً. لم تدرِ كم من الوقت بقيت واقفة في مكانها، كما لو كانت تمثالاً من الرصاص، تحدق في الباب الذي أغلقه أندريو خلفه. أهي دقائق أم ساعات؟

مهما يكن، عليها أن تتمالك نفسها بشكل ما. ولو لم يكن ذلك إلا لأجل شقيقها. فمن المتوقّع وصول جيمس في أية لحظة، وهو لن يرغب بإيجادها كتلة تبكي مشفقة على نفسها، وتذرف الدموع بغزارة على الخبر السعيد الذي ينوي زفه إليها. إنه يحمل أخباراً جيدة بحسب ما قال، كما أنها ستشعر بالذنب حقاً لو أنها أثبطت عزيمته، بغض النظر عن ماهية الخبر.

لقد اتخذت القرار الصائب، على الرغم من ألمها الذي لا يُحتمل. فميرسي تعرف نقطة ضعفها تجاه أندريو باسكالي. لو أن نيته كانت بتكرار عرضه بالزواج عليها، فهي لن تتحلى بالقدرة العقلية اللازمة لرفضه مجدداً. خصوصاً إذا استخدم أندريو أسلوبه السابق الرقيق.

ظلت ميرسي مشتتة الذهن ضائعة في أفكارها لفترة من الزمن. لذا فهي لم تنتبه لوصول جيمس، إلى أن دُفعَ باب المطبخ ففُتِحَ على مصراعيه. مرَّ بذهنها أن يكون أندريو قد اندفع غاضباً بسرعة حتى يغادر، فقد أراد بشدّة أن يرحل من أمام وجودها الكريه، إلى حدّ أنه لم يفكر بإغلاق باب المدخل الرئيسي خلفه.

جعلها هذا الأمر تشعر بحالٍ أسوأ حتى.

دخل جيمس وهو يبتسم ابتسامة عريضة، وقد بدت على خدّه الأيسر علامة حمراء تدعو إلى الريبة. أما أندريو فدخل خلفه مباشرة، وقد بدا كالهر الذي وجد حبش عيد الميلاد بغير حراسة.

صُعِقَت ميرسي إلى حد أنها تراجعت إلى الوراء لتستند إلى طاولة المطبخ. لِمَ تراه عاد؟ إنها لا تستطيع احتمال الأمر.

أعلمها أندريو بصوتٍ ذي نبرة تنمُّ عن الأناقة والشفافية النادرتين فقال: «شقيقك يود إطلاعك على أمرٍ ما».

اتسعت عيناها، وفارقتا أندريو لتتشبثا بجيمس، ثم همست بحماقة: «هل التقيتما؟».

بدا شقيق ميرسي الأصغر أنيقاً بشكل غير اعتيادي، وقد ارتدى سروالاً رمادياً غامقاً جديداً تماماً مع قميصٍ أنيقة غير رسمية بلون الجلد.

ابتسم جيمس ابتسامة عريضة، مشيراً إلى فكّه بإحدى يديه، فيما امتدت اليد الأخرى إلى جيب سرواله لتناول قطعة مطوية من الورق، فأخرجها وهو يقول: «لقد تواصلنا».

سلَّم أندريو بالأمر وهو يهزُّ كتفيه بأسلوب لاتيني صرف، فقال: «قبضتي مع فكّه».

زودها جيمس بالمزيد من المعلومات بغير ضغينة: «بل رماني أرضاً. كنت واقفاً على عتبة الباب، حين اندفع أندريو خارجاً، وسألني إذا كنت أنا جيمس... ثم لكمني».

- أمرٌ أعتذر بشأنه بغير تحفظ.

أدانت ميرسي الرجل الإيطالي غير القابل للإصلاح بعد أن أطلقت نحوه نظره عبوسٍ تحمل اللوم والتوبيخ، فقالت: «يا إلهي! كيف استطعت أن تفعل ذلك؟».

مشت باتجاه شقيقها، وحدقت إلى الأعلى نحو وجهه، وقالت: «هل أنت على ما يرام؟».

– لم أكن أبداً بحالٍ أفضل. كان رب عملك يدافع عن شرفك، فقبل أن يلطمني سألني إن كنت أنا جيمس، معتقداً أنني الرجل البائس الذي أنت على علاقة به.

أحسّت ميرسي بمشاعر الذنب تمزّقها، لأنها هي من وضع تلك الفكرة في رأس أندريو المندفع السريع الاشتعال. وقفت على رؤوس أصابع قدميها، وطبقت قبلة رقيقة على فكّ جيمس الذي يعلوه الاحمرار. عندئذٍ تشدّق أندريو قائلاً: «أنت تؤخرينه ميرسي، فشقيقك لديه موعد غرامي».

احمرّت وجنتا جيمس، ثم مرّر يديه في شعره وقال: «يا إلهي، نعم! أنا سأقابل فتاة شابة لتتناول العشاء سوياً، ولا أريد أن أتأخر».

وفّر أندريو المعلومات لميرسي حين قال: «إنها طالبة تمريض تعرّف إليها في أحد أجنحة المستشفى، اسمها آني، ولديهما طاولة محجوزة في المطعم عند الساعة التاسعة والنصف».

نقلت ميرسي نظرها باستغراب بين الرجلين، وتلعثمت قائلة: «يبدو أنكما أجريتما حديثاً هاماً».

بدا أندريو مقهوراً لأول مرّة فيما قال: «إنه أمر طبيعي. حالما تأكدت من أنه على ما يرام، ومن أنه ينوي زيارة شقيقته، جلسنا في البهو وتبادلنا الأسرار. في وقتٍ ما في المستقبل القريب سوف نجري لقاءً عائلياً لائقاً، أما الآن...».

رفع أندريو أحد حاجبيه السوداوين في اتجاه جيمس، ثم أمسك باب المطبخ مفتوحاً له. بسرعة دفع جيمس بقطعة الورق إلى يد ميرسي وقال: «هذا صحيح. عليّ الاسراع! أختي... هذا لك. إنه شيكٌ مصرفي يغطي كل ما دفعته لحسابي. لطالما شعرت أنني بغيضٌ لأنك أصريت على إعالتي وحرمت نفسك من أشياء كثيرة لأجلي. الآن يمكنني أن أردّ الدين لك».

فغرت ميرسي فاها، وأبقته مفتوحاً. أما جيمس فغمغم بكلام ما، فمن الواضح أنه كان ينتظر بفارغ الصبر أن يذهب في سبيله. لكنه تابع: «أتذكرين سندات المراهنة التي اشتراها لي والدي عند ولادتي؟ حسناً! سواء صدقت الأمر أم لا، فإن أحدها أصاب الهدف الرابح! أراك قريباً... وسوف

أعرّفك على آني».

عانقها جيمس بسرعة، ثم تبختر خارجاً من الغرفة، أما ميرسي فارتخت رجلاها ما اضطرها إلى الاستناد إلى الطاولة، فيما راح قلبها يخفق باضطراب، وقد أطبقت بأناملها على الشيك.

تسلل صوت أندريو إلى أفكار ميرسي المدهوشة التي ابتلعت ريقها بصعوبة، فيما قال لها: «أتسامحيني؟».

جرى الكثير من الأحداث خلال الدقائق القليلة الماضية، لذا كان من المستحيل تماماً أن تستوعب أي شيء بشكل ملائم.

– ألأنك ضربت جيمس المسكين؟

سحب أندريو أحد الكراسي وهو يتقدم نحوها، ثم قال: «اجلسي قبل أن تهوي إلى الأرض».

أخذ بعدها الشيك الذي كان يواجه خطر أن تمزّقه ميرسي، فارتفع حاجباه لدى رؤية ضخامة المبلغ الذي كان جيمس يدين لها به، ثم قال: «لا بد أنك كنت تعطينه كل قرشٍ جنيته يوماً».

ركّزت ميرسي بصعوبة على التصريح الذي قاله أندريو للتو فدحضته قائلة: «بالكاد. لقد صرفت معظم المال الذي جنيته في ذاك العمل الإعلاني».

أحسّت بالاضطراب وهي تتساءل لِمَا ضرب أندريو شقيقها جيمس أصلاً، ولِمَا عاد بمزاج جيد، في حين أنها توقعت أن يعاملها بخشونة، لأنها جعلته يظن أن شقيقها هو الرجل الجديد الذي دخل حياتها، فذلك يتلاءم أكثر مع طبيعته. أرادت ميرسي أن تُفهمه أن الأمر لا يخصه ولا يعنيه.

أوه، فقط لو أنه يغادر من جديد، فيتوقف عن تعذيبها بدنوه منها! إنها على الأقل ستتمكن من استئجار شقة لائقة نسبياً بتلك الدفعة غير المتوقعة، فتلغي حجزها في ذلك النزل المريع.

سحب أندريو كرسياً آخر، فجلس في مواجهتها. وتفحصّت عيناه الفضيتان المتألقتان ملامح وجهها المكدّرة. وقال: «لم تخبريني من قبل أن لديك شقيقاً».

أحسّت ميرسي أنه على وشك أن يحطم دفاعاتها ويشعل فيها النار مجدداً، لذا اضطرّت إلى استجماع كل ما لديها من غرائز دفاع عن النفس لتذكرّه بحدّة لاذعة قائلة: «أنت لم تسأل. كنت مغيظاً إلى حد أنك سألتني إن كان لدي أي قريب مسن عاجز أو أقرباء مرضى أو أولاد غير شرعيين مخبئين في مكان ما! وأنا أجبتك صدقاً بالنفي».

- لكنك تهربت من قول الحقيقة حين جعلتني أصدّق أنك على وشك استقبال عشيقٍ لك. لم تقولي لي إنك تنوين إطعام شقيقك الأصغر. لماذا فعلت ذلك؟

شعرت ميرسي بالخجل. لم يكن ذاك شيئاً تفخر به ولو من بعيد. لكن لمَ عساها تعتذر عن خداع بدا لها حينها أنه يحقق النتيجة النهائية المرغوبة؟ ألا يُفترض أن يكون الهجوم أفضل أساليب الدفاع؟

احمرَّ وجهها، متجاهلة حقيقة أن أندريو افترض في بادىء الأمر أنها كانت تنتظر صديقة لها، فردّت: «أنت دخلت إلى المطبخ، وقررّت أنني أنتظر رجلاً ما، وأنا في ملابس النوم مستعدة... نظرت إليّ كما لو أنني من الفتيات الرخيصات، ثم خرجت مبتعداً. ما الذي توقعت أن أفعله؟ أن أزحف خلفك متذللة لأخبرك بأن الرجل الذي أنتظر قدومه هو شقيقي؟».

اهتزَّت ميرسي حتى أعماق كيانها لدى رؤية ابتسامة أندريو المفاجئة، ثم قال لها بنبرة إعجاب جعلتها تشكك بقدرتها على السمع: «إن قدرتك التامة على عدم الزحف والتذلل معي، هي إحدى الأمور العديدة التي أحبها فيك».

هبّت ميرسي واقفة على قدميها، وأخذت أجراس الإنذار بالخطر ترنُّ في رأسها. سواء تخيّلت ذلك الجزء المتعلّق «بالحب» أم لا، ها هو أندريو يقوم بالأمر مجدداً. إنه يجعلها تحسُّ بالضعف في ركبتيها، والارتخاء في عمودها الفقري. خشيت أن تصبح شديدة الشوق إليه، وتتطلّع قدماً نحو أي شيء يريده منها، وأن تكون مهما يريد منها أن تكون. لكن بأي ثمن؟

نهض أندريو أيضاً، وقد بدت عيناه الجميلتان دافئتين فيما تلاقتا مع الزرقة العاصفة لعينيها الزرقاوين.

انسحبت ميرسي بسرعة نحو الجانب البعيد من الطاولة، متجاهلة ابتسامته المفتوحة، فأطبقت يديها في قبضتين محكمتين ووضعتهما على خاصرتيها.

إنها ليست معتادة على التعامل مع أنصاف الحقائق والمراوغات. سوف تقرُّ له بالحقيقة، ولن تنزلق في مجرى الحديث إلى الاعتراف بأنها مغرمة به حتى أعماق قلبه، لأنها إن فعلت ستضطر إلى احتمال الاذلال والإهانة، إما لأنه سيموت ضحكاً عليها، أو لأنه سيشفق عليها.

أخبرته بصوت لا يخلو من الارتعاش: «جعلتك تظنّ بي ما ظننته لكي أجعلك تدعني بسلام. قد أكون مخطئة، لكنك بحسب ما قلت سابقاً عن المستقبل وما شابه، تركت لدي الانطباع بأنك تنوي تكرار ذاك العرض المضحك بالزواج».

إن صدى الرضى والارتياح الذي بدا في صوت أندريو جعل ميرسي تشعر كأن جلدها يحترق حين قال: «ذلك ما كنت آمل به. فبعد أن اكتشفت حقيقة من هو الرجل الذي يزورك، استنتجت الأمر بنفسي».

لم يتدخل التفاخر بالنفس في كلامه! غضبت ميرسي وزاد ارتباكها حين تابع أندريو برقة متفوهاً بالحقيقة كما هي، فسقطت على رأسها كوقع المطرقة، حيث قال: «لم تستطيعي الوثوق بنفسك بأنك سترفضين عرضي بالزواج مرة ثانية. لذا ابتدعتِ عشيقاً لك حتى تجعليني أرحل!».

آه! ها هو إذلالها يبدأ هنا بالضبط. لكن ميرسي صممت على التمسك بالحزم، فقالت: «إذاً ما الذي يقوله لك هذا؟ لا أريد أن اضطر إلى سماعك تطلب مني الزواج مجدداً أبداً».

مشت نحو الفرن لتنقذ مقلاة البطاطا المشوية، التي لم تعد الآن مغرية للعشاء. ثم ألقتها على الطاولة بقوة غير ضرورية، وقالت: «كُل إذا كنت تشعر بالجوع. أنا ذاهبة إلى السرير. سوف أغادر صباحاً، ويمكنك الحصول على ورقة استقالتي مكتوبة».

أحسّت ميرسي بالوهن والضعف الذي أفزعها حين تقدم أندريو فوقف خلفها. استلقت يداه بسرعة فوق كتفيها، ثم قال لها: «أنا لا أشعر بالجوع إلاّ

لشيء واحد».

تجمدت ميرسي في مكانها، لكنها تدبرت أن تقول بصوتٍ مخنوق: «لا تفعل ذلك!».

قال: «لِمَ لا؟».

علمت ميرسي أنه يجدر بها التحرك والذهاب، فأندريو خبير في الإغواء، في حين أنها هي غبية ضعيفة، وهي تحبه، وتحتاج إليه... أدارها أندريو برشاقة نحوه، حتى أصبحت في مواجهته، ثم أمسك وجهها بين يديه برقة، وقال: «إذاً، أخبريني لِمَ لا تريدين أن تصبحي زوجتي؟».

راحت رجلا ميرسي ترتعشان بشدة إلى درجة أنها اضطرت أن تستند إلى أندريو لتدعم نفسها. إنها حقاً ترغب بأن تكون زوجته، أكثر من أي شيء آخر. لكن ليس إذا كان لا يحبها، بل ينظر إليها باعتبارها فرصة ملائمة. إنها تريده، لكن ليس بأي ثمن.

رفع أندريو رأسها الذي كان مستقراً مدفوناً في كتفه، فقال: «أخبريني... انظري إليّ عزيزتي، وقولي لي الحقيقة».

ابتلعت ميرسي ريقها بصعوبة، ثم نفخت هامسة سؤالاً بدورها: «هل أخبرت كلوديا قبل أن تجري عمليتها الجراحية أنك تنوي الزواج بي والاستقرار؟».

وعلى الرغم من محاولاتها الجاهدة للتحكم بنفسها، إلاّ أن دمعة منفردة سالت نزولاً على جانب وجهها. عندئذٍ أطلق أندريو أنيناً ولفّ ذراعيه حولها ممسكاً بها قربه، فقال: «لا تبكي...! ليس هنالك ما يدعو للبكاء، يا ملاكي».

لطالما وجد أندريو في الماضي، أن دموع المرأة أمرٌ يزعجه ويُشعِره بالاشمئزاز، فهي أداة احتيال تستخدمها للحصول على ما تبتغيه. لكن الأمر بدا مختلفاً مع ميرسي، حبيبته. أحسَّ بحاجة حارقة ملحة مؤلمة لأن يواسيها، وأن يجعل كل شيء على ما يرام بالنسبة لها.

- هذا ليس مكاناً...

رفعها أندريو بتهورٍ متميزٍ طائش، فحملها إلى غرفة الجلوس ووضعها بكل احترام وتبجيل على أريكة مريحة. وبالكاد تمهَّل حتى لالتقاط أنفاسه.

راحت ميرسي تحتج بصوتٍ مرتفع، فقالت: «ماذا تظن نفسك فاعلاً؟».

انضم أندريو إليها على الأريكة، مستنداً على أحد مرفقيه، فيما سمّرتها يده الأخرى حيث أجلسها تماماً، وقال: «أحاول إيجاد شيء مشترك بيننا».

رطّبت ميرسي شفتيها الجافتين بطرف لسانها وارتعشت بشكل خارج عن السيطرة حين لامست يده برقة خدها ملاطفة، ثم تمتم: «أخبريني لماذا رفضت عرضي بالزواج، وقلت إنه مضحك».

تصاعد التوتر داخل ميرسي واندفع نحو رأسها، فيما قاومت بشدة موجات الشوق الحار الذي تملّك جسدها الغدّار.

خاضت ميرسي معركة ضارية لمجابهة ردّات فعل جسدها. لم تساعدها هذه الأحاسيس تماماً على البقاء باردة هادئة ومتماسكة، لكي تنطق بأسباب رفضها للزواج بشكل جيد، واضح ومختصر.

لكن يجدر بها أن تحاول ذلك، الآن تماماً. قبل أن تذوب بين ذراعي أندريو وتنسى نفسها في غمرة عناقه، فليساعدها الله.

جذبت ميرسي نفساً عميقاً إلى رئتيها اللتين كانتا على حافة الانفجار.

أخيراً تمكنت من التكلم، بالرغم من أن لسانها قد التصق بسقف فمها الجاف، فقالت: «أنا لن أكون وسيلة راحة تلائمك».

اختفت ابتسامة أندريو الجذابة، والتوى فمه وهو يقول: «اشرحي لي الأمر، فبحسب معرفتي بك، يمكنني أن أتفهَّم تلك العبارة لو أنني دعوتك إلى إقامة علاقة غرامية قصيرة معي».

أصبح لون عيني أندريو داكناً بشكل قوي فيما تفحصّ ميرسي بنظرة غير ثابتة، وتابع: «يا إلهي! أنا أطلب منك أن تكوني زوجتي!».

التغيير المفاجيء الذي طرأ على أندريو، فتحول من الإغواء الخطير إلى رجلٍ إيطالي ذي غرور غاضب، جعل ميرسي تحسُّ كأن دلواً من المياه المثلجة قد انسكب على رأسها. حاولت بذل أقصى جهدها كي لا تشعر

بإحساس الخسارة، وتمتمت: «الأمر سيان».

ثم ذكرته: «أنت أخبرتني مرّة بأنك لن تتزوج قبل مرور سنوات طويلة، وحين تقرر الزواج، فذلك سيحصل بهدف الحصول على وريث، وليس لأي سببٍ آخر. قلت إنك ستختار امرأة تمتلك أموالاً طائلة خاصة بها. فلِمَ اخترتني أنا إذاً؟».

تحمّست ميرسي للفكرة التي تريد إيصالها، فظهر الانفعال والغضب واضحين على ملامحها، لأن أندريو جعلها تفقد رشدها وتقع في غرامه. وقوعها في حبه جعلها تشعر بالألم الرهيب، وتابعت منجرفة: «سوف أخبرك! لم يشعر والداك بالرضى على ما تفعله أبداً، وشعرت بأنك مشتت وانتابك الذنب الشديد عندما توفي والدك، والآن، عندما واجهتك كلوديا بمشكلة قلبها الضعيف وبعمليتها القادمة، صممت على الحصول على رضاها. أليس الأمر كذلك؟ لذا، أخبرتها بأنك مستعد لأن تستقر وتتزوج وتمنحها الأحفاد. حسناً! ألم تفعل؟ لم تكن قد سألتني رأيي بالأمر حتى. لكن، آه... فكرت أنني قد أكون راغبة بالحصول على الثروة والمكانة الاجتماعية، إنه ربح إضافي نوعاً ما. فأنا امرأة متواضعة يسهل إرضاءها بالقليل، وسوف أكون ممتنة جداً؛ خادمة منزلية فقيرة تتزوج من رجلٍ فاحش الثراء. يا لي من محظوظة! ظننت أنني سأبقي فمي مقفلاً، وأنتظر في المنزل وأنا أحيك ملابس الأطفال، أما أنت فتستمر في إقامة علاقاتك الغرامية مع أولئك التافهات اللواتي يبدو أنك تجدهنَّ ضروريات بالنسبة إليك».

كان الزخم والاندفاع قد نفد من ميرسي، فأحسّت أن فمها يرتجف.

آه! إنه الآن يعلم بأنها رأت الحقيقة من خلاله. الآن هو الوقت المناسب له ليهبَّ واقفاً على قدميه، مدفوعاً بالغرور والتفاخر، فيخرج من الغرفة بسرعة. لكنه لم يفعل...

انحنى أندريو إلى الأمام وطبع قبلة خفيفة على يدها، ثم قال: «يا حبيبتي! الآن أرى أنك مغرمة بي حقاً».

أحسّت ميرسي بارتعاشة تزحف نزولاً على امتداد عمودها الفقري، ثم تصعد مجدداً. لقد أوضحت كل ما يدور في خلدها من عوائق واعتراضات، فكيف وصل إلى هذا الاستنتاج؟.

تمتم وهو يقبّل برقة راحة يدها: «بعد أن تصنّعت ذاك السيناريو المدهش، أقول لك إن أية امرأة منطقية مكانك كانت لتهرع موافقة على عرضي الذي يوفر لها حياة ارتياح ورفاهية. وما من شيء آخر سوى الحب قد يجعل المرأة مترددة وخائفة كما هي حالك».

تحركت أصابع أندريو نحو عنقها فوجدتا ضربات نبضها الشديد الاهتياج، فيما تابع يشرح لها: «لكنك أنت، يا جميلتي، مختلفة تماماً. أصبحت الأمور واضحة الآن. فقط امرأة مثلك أنت... امرأة مغرمة تضع الحب المتبادل في مرتبة أعلى من عالم مليء بالرفاهية والأمان. رفضت عرض الزواج، واقفلت السماعة في وجهي بغير تردد، خشية أن أتمكن من إقناعك بأن تسمحي لنفسك أن تكوني زوجة ملائمة، وهذا أمر سيفطر قلبك الرقيق حتماً».

أمسكت يد أندريو ذات الأنامل الطويلة السمراء برأسها وقربته من كتفه الصلبة ليرتاح عليها. ثم راحت تلك اليد تمسد شعرها برقة.

تنهدت ميرسي وقد احتاج معدتها سربٌ من الفراشات المرفرفة، إلاّ أنها أطبقت يديها بقوة إلى أن ابيضت مفاصل أصابعها، لكي تمنع نفسها من التشبث به. بدت هذه المعركة الداخلية مع نفسها شنيعة جداً، بعد أن علمت أنه اكتشف سرّها، ما أعطاه القوة والأفضلية عليها، وهذا الأمر زاد من حساسيتها وقابليتها للانجراح.

رفع أندريو رأسها مجدداً ما جعلها تشعر بالحرمان الرهيب، وقال لها: «أصابك الذعر عندما سافرت حالاً لأكون إلى جانبك، فجعلتني أصدق أنك تنتظرين عشيقاً ما. لكنك لم تتيحي لي الفرصة ولو مرّة واحدة لأخبرك كم أعشقك بقوة».

تمايل قلب ميرسي بألم، فقالت: «أنت فقط تقول لي ما تعتقد أنني أرغب

بسماعه».

– لو لم أكن أعني ما أقوله أكثر من أي شيء عنيته يوماً، هل كنت سأتصرف كالمهووس؟ هل كان جنوني سيثور بسبب الألم والغيرة اللذين شعرت بهما، إلى درجة أنني أوقعت أرضاً أول رجل ردَّ على اسم جيمس؟ لو أنني أردت زوجة ملائمة فقط لإرضاء والدتي، كنت سأغض النظر عن هفوتك المصطنعة، وسأحاول إقناعك بأنك ستستمتعين بحياة رغدٍ وأمانٍ مالي، لو أنك أسديتني خدمة وتزوجتني حالاً.

تمتمت ميرسي مصدومة: «هل شعرت بالغيرة حقاً؟».

أم عساه كان ببساطة غاضباً إلى حد كبير، لأنها كما يبدو تفضّل رجلاً آخر عليه، مما جعله يتصرف بعنف؟ تمتمت وهي تخفض بصرها: «أراهن على أنك قلت لكل نسائك السابقات إنك تحبّهن كثيراً، أيضاً. وأراهن على أنك لا تبقى وفياً لمدة تزيد عن بضعة أسابيع».

وضع أندريو إصبعه النحيل تحت ذقنها ليجبرها على النظر إليه، قائلاً: «انظري إليّ، أقسم بحياتي إنني لم أغرم بامرأة من قبل، ولم أقل يوماً لأي امرأة إنني أحبها، لكن حبي لك غيّرني. سوف أبقى وفياً لك كالكلب لسيده، سأكون عبدك إلى الأبد».

تعهّد أندريو بذلك بإسراف مفرط. ثم تابع: «أما إذا ظننت أنني قررت الزواج لإرضاء كلوديا، فأنت مخطئة جداً. أنا أخبرتها بذلك لأنني كنت واثقاً من أنك تبادلينني شعوري هذا، فأنا لم أشعر بهذه السعادة من قبل. أخبرتها لأنني لم أقع في الحب من قبل أبداً طيلة حياتي، ولم أكن قادراً على الاحتفاظ بالأمر لنفسي فقط. في الواقع، توقعت منها أن تنهال عليّ بالتوبيخ، فتؤنبني لأنني اخترت الزواج من مدبرة منزلي، فتطالبني بالبحث عن أصلك وسلسلة نسبك، بالإضافة إلى دفتر حسابك المصرفي. في الواقع اعتقدت حقاً أنني بعيد جداً عن إرضائها، وأنني على وشك أن ألطّخ صفحتي في نظرها من جديد. لم أكن أعرف في تلك اللحظة بأنها أعجبت بك بشدة».

رقَّ فم أندريو الأنيق، وتابع: «على الرغم من أنه كان يجدر بي معرفة ذلك، فأي شخص يتمتع بعقل سليم يمكنه ألاّ يحبك؟».

رمشت ميرسي بعينيها، وابتلعت ريقها بصعوبة. إنه يحبها حقاً! لقد عنى ما قاله! تساءلت إن كان ما تسمعه هو جوقة مرتّلين من السماء، أم أنه ببساطة قلبها المغرد بسرور؟ بشهقة هي أقرب إلى الهذيان، لفت ميرسي ذراعيها حول عنق أندريو وحدّقت بعمق في عينيه، وسألته: «متى أدركت أنك مغرم بي؟».

– توقفي عن الكلام! وعانقيني..

عانقها أندريو بروعة واشتياق، وبعد مرور بضع دقائق من الدوران بين ذراعي بعضهما، رفع رأسه ليبلغها بصوتٍ أبح: «نما حبك في قلبي يوماً بعد يوم، فأنت المرأة الوحيدة التي لم تسبب لي الضجر. أنّبتني، أغضبتني، سليتني، لكنك لم تضجريني قط. بدأت أتوق إليك، وتطور الأمر شيئاً فشيئاً حتى وقعت في حبك بقوة وشدة».

مرّر أندريو يده برقة وتقدير وإعجاب حول وجهها، ثم تابع: «أريدك أن تكوني كذلك دوماً».

ردّت ميرسي موافقة بشهقة متجاوبة: «آه! سوف أفعل، فأنا أحبك بجنون.

أطلق أندريو باتجاهها ابتسامة ملتوية لطالما جعلت قلبها يتقلب، ثم أعلمها برضى: «أعلم أنك كذلك حبيبتي. علمت ذلك أثناء مرضي، حين جلست بقربي كي تدفئيني. جعلتك تعتقدين أنني أهذي وأنني لم أتذكر أي شيء. لكنني كنت في أقصى حالات يقظتي واهتمامي، بل تذكرت كل لحظة. ثم خمّنت أنك ارتعبت من تصرفك، فأنت ابنة قسيس تلقّت تربية صالحة في طفولتها، ولست معتادة على العبث في علاقة لا تدوم لأكثر من ليلة واحدة. بعدئذٍ قررت أن إقامة علاقة غرامية مع مدبرة منزلي ليست فكرة سيئة حقاً، معتقداً أن الأمور ستسير بشكل جيد في المستقبل».

– لذا، جعلتني أرافقك إلى إيطاليا! كانت تلك خطة مرسومة باحتيال و...

وضع أندريو أحد أنامله على فمها ليسكتها، واعترف قائلاً: «فعلت ذلك

بعد أن أدركت أنني أريد أن يستمر الأمر طيلة العمر. وبالنظر إلى الوراء، أعتقد أنني كنت قد بدأت أقع في غرامك بعد أن ثار جنوني من شدة الغيرة، لأنني سمعت صوت رجلٍ في غرفتك، وذلك حين استضفت صديقة لك في المنزل. من كان ذلك الرجل؟ أهو جيمس؟».

شعرت ميرسي بالدوار لمعرفتها أن أندريو البالغ الروعة، يحبها حقاً. كما أن نظرات عينيه المحبة افقدتها قدرتها. جاهدت لتتذكر الحادثة، فقالت له: «أوه!».

ثم غمزت بعينيها لتغيظه وتابعت: «أوه، ذاك الرجل! دعني أفكر...».

إلا أنها لم تستطع تحمّل جعله يعاني من ذرة شكٍ تجاهها، فلانت ملامحها ولامست بيدها جانب وجهه، ثم اعترفت قائلة: «كان ذلك دارن، خطيب صديقتي كارلي. شعرت بالغيظ حين احضرته كارلي برفقتها، لأنني كنت أنوي طلب نصيحتها حول كيفية تخطّي افتتاني بك، لكنني لم أستطع فعل ذلك بوجود دارن».

ابتسم أندريو ابتسامة رضى، وقال: «أشكر الله على ذلك! ابقي مفتونة كما أنت».

وعدته ميرسي، عالمة أنها لن تقول كلمة أكثر صدقاً: «سأفعل أفضل من ذلك بكثير. سوف أبقى واقعة في حبك بجنون حتى ألفظ آخر أنفاسي».

- آه، يا حبيبتي! هل أستحق ملاكاً مثلك؟

عانقها أندريو باندفاع وشغف، ولدى إحساسه بارتعاشة تجاوبها العميق، وعدها بصدق: «لن أنظر إلى أية امرأة أخرى... كيف عساي أفعل وأنت تمثّلين كل ما أرغب به يوماً؟ سوف أتغيّر. سوف أكفُّ عن رمي جواربي في كل مكان على الأرض، لكي تلتقطيها أنت. سوف أكون رزيناً رصيناً و...».

اشتعلت ميرسي ما إن اخفض أندريو رأسه مجدداً ليعانقها، وبالكاد تدبرت الرد بقولها: «لا سمح الله! إن الرزانة والرصانة سوف تجعلاني أصاب بالسقم!».

رفع أندريو رأسه لوهلة، وقد بدت بوضوح ابتسامته المثيرة، فقال: «في

تلك الحالة يمكنني أن أضجرك في إيطاليا!».

بعد ذاك الكلام، لم يتبادلا أية كلمة لوقت بعيد... لم يتبادلا سوى العناق المليء بالأشواق والحب والشغف.

* * *

روما.. مدينة السحر! توهجت الشموع على الطاولة في أحد أكثر المطاعم تميّزاً في المدينة. في حين جلس أكثر الرجال وسامة في العالم على الكرسي المقابل لميرسي، وقد اسودّت عيناه إخلاصاً لها.

لوّح أندريو للنادل الذي حمل قائمتي الطعام كي يبتعد، ثم وضع علبة صغيرة أمام ميرسي، قائلاً: «لتكن ذكرى أولى سعيدة لزواجنا، يا محبوبتي. افتحيها!».

لوهلة لم تكن قادرة على رفع نظرها عن عينيه، ثم داعبت أنامل ميرسي يد حبيبها الممازح، فهي تحبه بشدة وقوة. إنه ما زال ساحراً جداً، كما عرفته منذ سنة وبضعة شهور، فهو لم يتغير كثيراً، إلاّ إلى النواحي الفضلى. كان أندريو ما يزال متهوراً، فينتقل بها بخفة وسرعة إلى مواقع غريبة، لأنه يعتقد أنه ما تزال هنالك أشياء وأماكن ينبغي أن تراها. واليوم هما قبالة آثار أوستيا القديمة.

كما أن أندريو ما يزال غير مرتب كما كان، ولكن... ألم يوظف مدبرة منزل جديدة؟ ألم يستخدم الأرملة غراي كي تساعدها على التقاط جواربه وعلى إبقاء منزلهما خالياً من البقع وتام النظافة؟ كان أندريو ما يزال يعمل كالسابق، فهو ما زال النابغة المبدع الذي يقف خلف نجاح وكالة باسكالي، لكنه انتدب مفوضاً من قِبله لملاحقة الأعمال اليومية التي تتطلّب ركضاً مستمراً، كي يمضي معظم وقته برفقة ميرسي.

كرر أندريو برقة، فيما أرجحت ابتسامته روحها كالعادة، فقال: «افتحيها!».

فتحت ميرسي العلبة وهتفت: «آه... إنه رائع!».

نهض أندريو ووقف كي يغلق السلسلة الذهبية الجميلة ذات الماسة الشبيهة بالدمعة، حول عنقها. احتك ظاهر أنامله برقبتها، ما أرسل ارتعاشة سرور

نزولاً على عمودها الفقري، ثم أدارت رأسها ورفعت وجهها لتحصل على عناقه.

أخبرته ميرسي وهي تغمره بعد أن عاد إلى كرسيه: «إن هديتي لك مغلفة بإحكام ولن تستطيع فتحها الآن بالذات، لكنها ستعجبك».

تقوّس أحد حاجبيه السوداوين، فهو يحب أسلوبها في إغاظته. إنه يحب بشدة كل ما يتعلق بميرسي، فقال لها: «أوه! هل لدي ثلاثة تخمينات؟».

حصلت ميرسي على التأكيد الذي كانت تنتظره قبل أن يفاجئها أندريو برحلة روما. لا بد أنه سيطير فرحاً، فلطالما تحدثا عن العائلة والأولاد، ووضعا *الخطط للمستقبل. سوف ينتقلان للسكن في الريف، في منزل فسيح* ذي حدائق وإسطبلات، ويستخدمان مربية تساعدهما...

كان أندريو مستلقياً إلى الوراء، فيما شبك أحد ذراعيه خلف مسند الكرسي، فبدا مرتاحاً مطلقاً العنان لنفسه. لذا طارت رغبتها بإغاظته ولو قليلاً.

- بعد مرور حوالى السبعة أشهر سنصبح ثلاثة لا اثنين.

سادت لحظة من السكون، ثم اشرقت ابتسامته المشعة وقال: «يا ملاكي! كم أحبك!».

مدّ أندريو يديه من فوق الطاولة متناولاً يدي ميرسي. فرفعهما وقبّل أناملهما، بينما فاضت عيناه الفضيتان بالرقة والحنان، ثم تكلم بصوت أجش قائلاً: «هل أنت جائعة جداً، أم أن بإمكاننا أن نعود إلى الفندق فنطلب خدمة الغرف في حال شعرنا بالحاجة إلى الطعام؟».

- خدمة الغرف، أرجوك!

نهض أندريو وميرسي وهما ما يزالان ممسكين بيدي بعضهما، وكأنهما لا يستطيعان قطع التواصل بينهما. وقفا متغافلين عن ابتسامات النادلين الحائمين حولهما. وضع أندريو ذراعه حول خصر ميرسي الذي ما زال نحيلاً، ورافقها إلى الخارج قائلاً بصوت أبح: «أشعر برغبة ملحة لتفحّص غلاف أفضل هدية يمكنك أن تمنحيني إياها!».